

# شرح نهج البلاغة

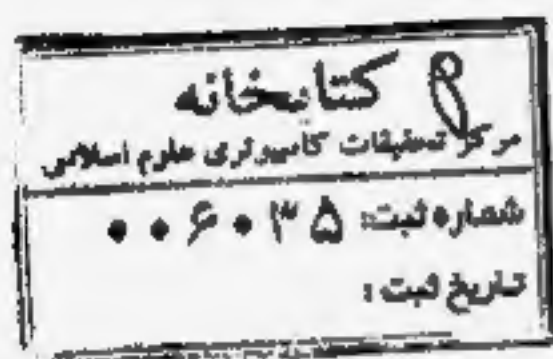
لابن أبي الحديد

محمّد بن  
محمّد بن الفضل بن حسين

دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر  
بيروت - لبنان

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء التاسع

دار الفکر العربیة  
میری البانی الجلی و شریکاء

الطبعة الثانية  
( ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م )  
جميع الحقوق محفوظة



کتابخانه ملی و اسنادی جمهوری اسلامی ایران

منشورات مکتبه آية الله العظمى المرعشي النجفي  
قم - ايران ١٤٠٤ هـ ق

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

[ ذكر أطراف مما شجر بين علي وعثمان في أثناء خلافته ]

واعلم أن هذا الكتاب يستدعي منا أن نذكر أطرافاً مما شجر بين أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان أيام خلافته ؛ إذ كان هذا الكلام الذي شرحناه من ذلك الدمل<sup>(١)</sup> ؛ والشئ يذكر بنظيره ؛ وعادتنا في هذا الشرح أن نذكر الشئ مع ما يناسبه ويفتضئ ذكره .



قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه "أخبار السقيفة" : حدثني محمد بن منصور الرمادي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زباد بن جبيل ، عن أبي كعب الحارثي<sup>(٢)</sup> - وهو ذو الإداوة<sup>(٣)</sup> ، قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وإنما سمي ذا الإداوة لأنه قال : إني خرجت في طلب إبل ضوالة ، فتزودت لبناً في إداوة ، ثم قلت في نفسي : ما أنصفت ربّي ! فأين الوضوء ؟ فأرقت اللبن وملأتها ماء ، فقلت : هذا وضوء وشراب ، وطفقت أبني إبل ، فلما أردت الوضوء اصطبغت من الإداوة ماء فتوضأت ، ثم أردت الشرب ، فلما اصطبغت ؛ إذا ابن فشربت ؛ فكنت بذلك ثلاثاً ؛ فقالت

(١) انظر الجزء الثامن ص ٢٥٢ إلى ٢٦٢ في أخبار أبي ذر الغفاري وإخراجه إلى الربرة وموقف عثمان وعلي منه .

(٢) أبو كعب الحارثي ، أورده ابن حجر في الإصابة ١ : ١٦٥ ؛ ونقل خبره ، عن معمر في إجماعه .

(٣) الإداوة ، بالكسر ؛ إناء صغير من جلد .

له أسماء النحرانية : يا أبا كعب ، أحقينا كان أم حليياً<sup>(١)</sup> : قال : إنك لبطالة ! كان  
بعض من الجوع ويروي من الظأ ، أما إني حدثت بهذا نفرأ من قومي ؛ منهم علي بن  
الحارث سيد بني قنان ؛ فلم يصدقني ، وقال : ما ظن الذي تقول كما قلت ؛ فقلت : الله أعلم  
بذلك . ورجعت إلى منزلي ، فبت ليلتي تلك ، فإذا به صلاة الصبح طلى بابي ، فخرجت إليه ،  
فقلت : رحمك الله ! لم تمنيت ؛ ألا أرسلت إلي فأتيتك ، فإنني لأحق بذلك منك قال :  
ما نمت الليلة إلا أنا أني أت فقال : أنت الذي تكذب من يحدث بما أنعم الله عليه ؛ قال  
أبو كعب : ثم خرجت حتى أتيت المدينة ، فأتيت عثمان بن عفان وهو الخليفة يومئذ  
فألتفت عن شيء من أمر ديني ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، إني رجل من أهل اليمن من  
بني الحارث بن كعب ، وإني أريد أن أحملك فأمر حاجبك ألا يحجبني ، فقال :  
يا وثاب ، إذا جاءك هذا الحارثي فأذن له . قال : فكنت إذا جئت ، ففرعت الباب ،  
قال : من ذا ؟ فقلت : الحارثي . فيقول : ادخل ، فدخلت يوماً فإذا عثمان جالس ، وحوله  
نفر سكوت لا يتكلمون ، كأن على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم جلست ، فلم أسأله عن  
شيء إلا رأيت من عالم وحاله ، فبينما أنا كذلك إذ جاء نفر ، فقالوا : إنه أتى  
أبى يحيى . قال : فغضب وقال : أبى أن يحيى . اذهبوا فحيثوا به ؛ فإن أبى  
يحيى جرحاً .

قال : فكنت قليلاً ، فبعاءوا ومعه رجل آدم طوال أصلع ، في مقدم رأسه شعرات ،  
وفي قفاه شعرات ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : عمار بن ياسر ، فقال له عثمان : أنت الذي  
تأتيك رسلاً فأتى أن يحيى . قال : فكلمة بشيء لم أذير ما هو ، ثم خرج . فسا زالوا

(١) الحقين : الذين الذي قد حق في القضاء لتخرج زبدته . والمليب : الذين المحلوب الذي لم يتغير طعمه .

ينفضون من عنده حتى ما بقي غيري فقام ، فقلت : والله لا أسألُ من هذا الأمر أحداً  
أقول حدثني فلان حتى أدري ما يصنع . فثبتته حتى دخل المسجد ، فإذا عمار جالس إلى  
سارية ، وحوله نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون ، فقال عثمان : يا وثاب  
عليّ بالشرط ، فبعاءوا ، فقال : فارقوا بين هؤلاء ، ففارقوا بينهم .

ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم عثمان فصلّى بهم ، فلما كبرت قالت امرأة من حُجْرَتِهَا : يا أيها  
الناس . ثم تكلمت ، وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما بعثه الله به ، ثم قالت :  
تركتم أمراً لله ، وخالفتم عهده ... ونحو هذا ، ثم صمّئت وتكلمت امرأة أخرى بمثل  
ذلك ، فإذا عمار عائشة وحفصة .

قال : فسلم عثمان ، ثم أقبل على الناس ، وقال : إن هاتين لفتاتان ، يحملان سبهما ،  
وأنا بأصلهما عالم .

فقال له سعد بن أبي وقاص : أقول هذا لهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال :  
وفيم أنت ! وما هاهنا ، ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه ، فأنسل سعد .

فخرج من المسجد ، فاتبعه عثمان ، فلقى علياً عليه السلام بباب المسجد ، فقال له عليه  
السلام : أين تريد ؟ قال : أريد هذا الذي كذا وكذا - يعني سعداً بشيئهم - فقال له عليّ  
عليه السلام : أيها الرجل ، دع عنك هذا . قال : فلم يزل بينهما كلام ، حتى غضبا ، فقال  
عثمان : الست الذي خلقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم تبوك ! فقال عليّ : ألت  
الفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد !

قال : ثم حجّز الناس بينهما . قال : ثم خرجت من المدينة حتى انتهيت إلى الكوفة ،  
فوجدت أهلها أبضا وقع بينهم شر ، ونشبوا في الفتنة ، وردّوا سميد بن العاص فلم يدعوه  
يدخل إليهم . فلما رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومي .

وروى الزبير بن بكار في كتاب "الوفقيات"، عن عمه، عن عيسى بن دواد، عن رجائه، قال: قال ابن عباس رحمه الله: لما بنى عثمان داره بالمدينة، أكثر الناس عليه في ذلك قبله، فخطبنا في يوم جمعة؛ ثم صلى بنا، ثم عاد إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد؛ فإن النعمة إذا حدثت لها حساد حسبها، وأعداء قدرها؛ وإن الله لم يحدث لنا نصيباً ليحدث لها حساد عليها، ومنافسون فيها، ولسكنة قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان إرادة جمع المال فيه، وضم القاصية إليه، فأتانا عن أناس منكم يقولون: أخذ فيثنا، وأنفق شيتنا، واستأثر بأموالنا، يمشون خجراً<sup>(١)</sup>، ويطلقون سراً؛ كأننا غيب عنهم، وكأنهم يهابون مواجهتنا؛ معرفة منهم بدخوض حببتهم؛ فإذا غابوا عنا بروح بعضهم إلى بعض يذكرنا. وقد وجئوا على ذلك أعوانا من نظرائهم، ومؤازرين من شهابهم، فبعداً بكم! ورغماً رغباً. ثم انشد بيتين كأنه يومئ فيها إلى علي عليه السلام:

توقد بنار أينما كنت واشتعل  
فلست ترى مما نعالج شافياً  
نشط فيقضي الأمر دونك أهله  
وشيكاً، ولا تدعى إذا كنت ثانياً

مالي ونفسيكم وأخذ مالكم. ألسن من أكثر قريش مالاً، وأظهرهم من الله نعمة. ألم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده. وهبوني بنيت منزلاً من بيت المال؛ اليس هو لي ولكم. ألم أقم أموركم، وأني من وراء حاجاتكم؟ فما تفقدون من حقوقكم شيئاً، فلم لا أصنع في الفضل ما أحببت؟ فلم كنت إماماً إذا. ألا وإن من أحبب العجب، أنه بلغني عنكم أنكم تقولون: لنفعان به ولنفعان. فيمن نفعون، لله آبائكم. أيتقد البقاع، أم بققع القاع! ألسن أحراركم إن دعا أن يجاب؛ وأمنكم إن أمر أن يطاع.

(١) في الأصل: «هو يدب له الضراء»، ويعني له الحر، يقال لمن ختل صاحبه.

لبنى على بقائى فيكم بعد أصحابى ، وحياتى فيكم بعد أترابى ! يا ليتنى تقدمت قبل هذا ، لكنى لا أحب خلاف ما أحبه الله لى عز وجل ؛ إذا شئتم فإن المصدق المصدق محمد صلى الله عليه وسلم قد حدثنى بما هو كائن من أمرى وأمركم ، وهذا بدء ذلك وأوله ، فكيف الحرب بما حتم وقدر ! أما إنه عليه السلام قد بشرنى فى آخر حديثه بالجنة دونكم ، إذا شئتم فلا أفlech من ندم !

قال : ثم هم بالنزول فبصر بعلى بن أبى طالب عليه السلام ومعه عمار بن ياسر رضى الله عنه ، وناس من أهل هواة يتناجون ؛ فقال : إياها إياها ! أميراً لا جهاراً أأما الذى نفسى بيده ما أحتق على جرّة ، ولا أوتى من ضف ميرة ؛ ولولا النظر لى ولكم والرقى بى وبكم ، لعاجلكم ؛ فقد اغتررتهم ، وأفلتم من أنفكم .

ثم رفع يديه بدمع ويقول : اللهم قد نعم حقى للعافية فألبسنيها ، وإشارى للسلامة فأثنيها .

قال : ففرق القوم عن على عليه السلام ، وقام عدى بن الحيار ؛ فقال : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة ، وزادك فى الكرامة ، والله لأن تحمد أفضل من أن تحمد ؛ ولأن تنافس أجل من أن تنافس ! أنت والله فى حسبنا الصميم ، ومنصبنا الكريم ؛ إن دعوت أجبت ؛ وإن أمرت أطعت ، فقل نفل ، وادع تحب ؛ جعلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختاروا لهم وأميرهم ، وإسهم لبرون مكائك ، ويعرفون مكان غيرك ؛ فاختاروك من بين طائفتين ، غير مكرهين ولا مجبرين ، ما غيرت ولا فارقت ، ولا بدلت ولا خالفت ؛ فعلام يقدمون عليك وهذا رأيهم فيك ! أنت والله كما قال الأول :

إذهب ، إليك فاللحسو د إلا طلائبك تحت العشار



حَكَمْتَ فَا جُرْتَ فِي خَلَّةٍ فَحَكَمَكَ بِالْحَقِّ بَادِي لِنَارٍ  
فَإِنْ يَسْبُوكَ فِيرًا وَقَدْ جَهَرْتَ بِسَيْفِكَ كُلَّ الْجَهَارِ<sup>(١)</sup>

• • •

قال : ونزل عثمان فأتى منزله ، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس ، فلما أخذوا بحالهم ،  
أقبل على ابن عباس ، فقال : مالي ولكم يا ابن عباس ! ما أغراكم بي ، وأولعكم بتعقب  
أمرى ! أتقيمون على أمر العامة ؟ أتيت من وراء حقوقهم ، أم أمركم ؟ فقد جعلتهم  
يؤمنون بمنزلةكم إلا والله لكن الحسد والبغى وتثوير الشر وإحياء الفتن ، والله لقد أتى  
النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، وأخبرني به عن أهله واحداً واحداً ، والله ما كذبت  
ولا أنا بمكذوب .



فقال ابن عباس : على رسيتك يا أمير المؤمنين ، لو الله ما عهدتكم جهرًا بسرك ، ولا مظهرًا  
مافي غيبك ، فما الذي هيجك وتورك أن تألم بولعنا بك أمر ، ولم تتعقب أمرك بشي ، أتيت  
بالكذب ، وأسوق عليك الباطل . والله ما نقمنا عليك لنا ولا العامة ، قد أتيت من وراء حقوقنا  
وحقوقهم ، وقضيت ما يلزمك لنا ولم ، فأما الحسد والبغى وتثوير الفتن ، وإحياء الشر  
فمق رضيت به عترة النبي وأهل بيته ! وكيف وهم منه وإليه على دين الله يشترون الشر ،  
أم على الله يبيعون الفتن ، كلاً ليس البغى ولا الحسد من طبايعهم . فأتيت يا أمير المؤمنين  
وأبصر أورك ، وأمسك عليك ! فإن حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى ! لعمرى أن  
كنت لأثيراً عند رسول الله ، وأن كان ليفضي إليك بسر ما يطوبه عن غيرك ، ولا كذبت  
ولأنت بمكذوب ! أخأ<sup>(٢)</sup> الشيطان عنك ولا يركبك ، وأغلب غضبك ولا يفلحك ، فما  
دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك !

قال : دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب ، فقال ابن عباس : وعسى أن يكذب مبلغك ! قال عثمان : إنه ثقة ، قال ابن عباس : إنه ليس بثقة من بلغ وأغرى . قال عثمان : يا ابن عباس ، آله إنك ما تعلم من علي ما شكوت منه ! قال : اللهم لا ، إلا أن يقول كما يقول الناس ، ويفهم كما يفهمون ! فمن أغراك به وأولئك بذكرك دونهم ! فقال عثمان : إنما آفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر ، وهو علي ابن عمك ، وهذا والله كله من نكده وشؤمه . قال ابن عباس : مهلاً ، استئن يا أمير المؤمنين ، قل : إن شاء الله ، فقال : إن شاء الله . ثم قال : إني أنشدك يا ابن عباس الإسلام والرحيم فقد والله غلبت واثبتت بكم ، والله لو ددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دوني لمحتسوه عني ، وكنت أحد أعوانكم عليه ، وإذا والله لو جددتوني لكم خيراً مما وجدتمكم لي ، ولقد علمت أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوك عنه واختزلوه دونكم ، فوالله ما أدري أذفوه عنكم أم دفعوك عنه !

قال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنا ننشدك الله والإسلام والرحيم ، مثل ما نشدتنا ، أن تطيع فينا وفيك عدواً ، ونشيت بنا وبك حسوداً ! إن أمرك إليك ما كان قولاً ! فإذا صار فضلاً فليس إليك ولا في يدك . وإنا والله لنخالفن إن خولفنا ، ولننازهن إن نوزعنا ! وما نعلمك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ، وبعبب كما عابوا ! فأما صرف قومنا عنا الأمر فمن حدير قد والله عرفته ، وبني قد والله علمته ، فوالله يفتنا وبين قومنا ! وأما قولك : إنك لا تدري أذفوه عنا أم دفعونا عنه ! فلامري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما زدنا به فضلاً إلى فضلنا ، ولا قدراً إلى قدرنا ، وإنا لأهل الفضل وأهل القدر ، وما فضل فاضل إلا بفضلنا ، ولا سبق سابق إلا بسبقنا ! ولولا هدينا ما اهتدى أحد ، ولا أبصرُوا من عني ، ولا قصدوا من جور .

فقال عثمان : حتى متى يا ابن عباس ، يأتيني عنكم ما يأتيني ! هبوني كنتُ بعيداً ، أما كان لي من الحق عليكم أن أراقب وأن أناظر ! بلى ورب السكبة ، والكن الفرقة

سهلت لكم القول في ، وتقدمت لكم إلى الإسراع إلى . والله المستعان .

قال ابن عباس : مهلاً ، حتى ألقى علياً ثم أجول إليك على قدر ما رأى . قال عثمان :  
افعل فقد فعلت ، وطالبا طلبت فلا أطلب<sup>(١)</sup> ، ولا أجاب ولا أعتب .

قال ابن عباس : نخرجت فلقيتُ علياً ، وإذا به من العصب والتلفظ أضاعف  
ما بعثان ، فأردتُ نكيتته فامتنع ، فأنيتُ مرلي وأعلقت باني ، واعتزلهما .

فبلغ ذلك عثمان ، فأرسل إلى ، فأتيته وقد هدأ عصبه ، فنظر إلى ثم ضحك ،  
وقل : يا ابن عباس ، ما أبطأ بك عنا ! إن تركت العود إلينا للذليل على ما رأيت عند  
صاحبك ، وعرفت من حاله ، فاقه يسار وبينه ! خذ بنا في غير ذلك .

قال ابن عباس : فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن علي شيء ، فأردتُ التكذيب  
عنه بقول : ولا يوم الجمعة حين أطلت عنا وتركت العود إلينا ! فلا أدري كيف أرد عليه .



وروى الزبير بن بكار أبا بصير قال في الوفيات : عن ابن عباس رحمه الله ، قال : خرجتُ  
من منزلي سحراً أسابق إلى المسجد ، وأطلب العصيلة ، فسمعت حلي حياً وكلاماً ، فسمعتُه  
إذا حس عثمان وهو يدعو ولا يرى أن أحداً بسمه ، ويقول : اللهم قد تعلم بيتي فأعني  
عليهم ، وتعلم الدين ابتليتُ بهم من ذوي رحي وفرايتي ، فأصلحني لهم ، وأصلحهم لي .  
قال : فقصرت من خطوتي وأسرع في مشيتي ، فالتقينا وسلم ، فرددت عليه ، فقال :  
إني خرجت ليلتنا هذه أطلب الفصل والسابقة إلى المسجد ، فقلت : إني أخرجني  
ما أخرجك ، فقال : والله لئن سأقت إلى الخبر ، إنك لمن سابقين مباركين ، وإني  
لأحبكم وأتقرب إلى الله بحسبكم ، فقلت : برحمتك الله يا أمير المؤمنين ! إنا لنحبك  
ونعرف سابقتك وسنتك وقرانتك وصهرك . قل : يا ابن عباس ، فإني ولاين تحك وابن  
خالي ! قلت : أي بني عمومي وبني أحوالك ؟ قل : اللهم اعفر ! أنسال مسألة الجاهل !

(١) أطلب فلان فلانا ، أحابه إلى طلبه .

قلت: إن بني عمو من بني خؤولتك كثير؛ فأبهم تعني؟ قال: أعني علياً لا غيره، فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم منه إلا حيراً، ولا أعرف له إلا حسناً قال: والله بالحرى أن يستردوك ما يظهره أميرك، ويحبس عنك ما يبسط به إلى سواك.

قال: ورؤينا عمار بن ياسر، وسلم، فرددت عليه سلامه، ثم قال: من معك؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان، قال: نعم، وسلم مكيبته، ولم يسلم عليه بالخلافة، فردّ عليه، ثم قال عمار: ما الذي كنتم فيه، فقد سمعت دَرَوًّا<sup>(١)</sup>؟ قلت: هو ما سمعت، فقال عمار: ربّ مظلوم عاقل، وظالم متعاهل؛ قال عثمان: أما إنك من شُتائنا وأتباعهم، وإيم الله، إن اليد عليك لمببطة، وإن السبيل إليك لسهنة، ولولا إيتار العافية؛ ولم الشعث لحررتك زجرة تكفي ماضى، وتمنع ما بقى.

فقال عمار: والله ما أعتذر من معي علياً، ثم ما اليد بمببطة، ولا السبيل بسهلة؛ إني لأرم حجة، ومقيم على سنة الله وأما إيتار العافية ولم الشعث، فلا رم ذلك. وأما زحري فأملك عنه، فقد كفلك معقبي ثعلبي<sup>(٢)</sup> فقال عثمان: أما والله إنك ما علمت من أعوان الشرّ الحاضين عليه، الخذلة عند الخير، والمتبطّين عنه. فقال عمار: مهلاً يا عثمان، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يصفي نبيك ذلك، قال عثمان: ومتى؟ قال: يوم دخلت عليه منصرفة عن الجمعة، وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه، وقعد ففضله<sup>(٣)</sup>، فقبلت صدره ومحوه وحبته، فقال: «يا عمار، إنك لتحتنا وإنا لمحتك، وإليك لمن الأهوان على الخير المتبطّين من الشرّ»، فقال عثمان: أجل ولسكتك غيرت وبدلت، قال: فرفع عمار يده يدعو، وقال: آمن يا ابن عباس، اللهم من عيق فعبّر به ثلاث مرات.

قال: ودخلنا المسجد، فأهوى عمار إلى مصلاه، ومصبت مع عثمان إلى القنطرة،

(١) القدر: الطرف من القول

(٢) الفصل: التوب بلبه الرجل من بته

فدخل الخراب ، وقال : تابَّتْ عليّ إذا انصرفنا ، فلما رآني عمار وحدي أتاني ، فقال :  
 أما رأيتَ ما بلغ لي آثقا ؟ قلت : أما والله لقد أصعبتَ به وأحزبتَ بك ، وإن له لسنه  
 وفصله وقرايته ، قال : إنَّ له لذلك ؛ ولكن لا حقَّ لمن لا حقَّ عليه . وانصرف .  
 وصلى عثمان ، وانصرفت معه جوكأ عليّ ، فقال : هل سمعتَ ما قال عمار ؟ قلت : نعم ،  
 فسرَّني ذلك وسألتني ، أما مسأته إيتاي فما بلغ بك ، وأما مسرَّته لي فخلعت واحتمالك .  
 فقال : إن عليًّا فارَّقني منذ أيام عليّ للمقاربة ، وإن عمارا آتبه فقاتل له وقاتل ؛ فابذُرهُ  
 إليه ، فإنك أوثق عنده منه وأصدق قولاً ، فأتى الأمرُ إليه عليّ وجهه ، فقلت : نعم  
 وانصرفت أريد عليًّا عليه السلام في المسجد ، فإذا هو خارج منه ، فلما رآني تفجَّع  
 لي من قوَّة الصلاة ، وقال : ما أدركتها ! قلت : بلى ؛ ولكي خرجت مع أمير المؤمنين ،  
 ثم انقضت عليه القصة ، فقال : أما والله يا ابن عباس ، إنه لمعرف قرحة<sup>(١)</sup> ، ليحورن  
 عليه ألها<sup>(٢)</sup> . فقلت : إنَّ له ستموسايفته ، وفرانته وصهره ، قال : إنَّ ذلك له ؛ ولكن  
 لا حقَّ لمن لا حقَّ عليه .

قال : ثم رجعنا<sup>(٣)</sup> عمار ، فبشَّ به عليّ ، ونبشني وجهه ، وسأله ، فقال عمار : يا ابن عباس ،  
 هل أتيت إليه ما كتب فيه ؟ قلت : نعم ؛ قال : أما والله إذاً لقد قلت بلسان عثمان ،  
 ونطقت بهواه ؛ فقلت : ما عدوت الحقَّ جهدي ؛ ولا ذلك من فعلي ؛ وإنك تعلم أيَّ  
 الخطين أحب إليّ ، وأيَّ الخطين أوجبُ عليّ !

قال : فظنَّ عليّ أنَّ عند عمار غيرَ ما أتيتُ إليه ، فأخذ بيده وترك يدي ، فقلت أنه  
 بكره مكاني ، فتخلَّفت عنهما ، وانشعب بنا الطريق ، فلكنا ولم بدعني ، فاطلقتُ إلى  
 منزلي ، فإذا رسول عثمان بدعوني ، فأتيته ، فأجد بيابه مروان وسعيد بن العاص ،

(١) يقال : قرب القرحة ، أي فصرها جد يمسها ؛ وليحورن : ليرحمي .

(٢) رجعنا . عشيما .

في رجال من بني أمية ، فأذن لي والطنسي ، وقرّني وأدّني مجلسي ، ثم قال : ما صنعت ؟ فأخبرته بالتبليغ على وجهه وما قال الرجل ، وقت له - وكنتمته قوله : « إني ليقرب قرحة ليحورن عليه ألها » - إبقاء عليه ، وإجلالا له ؛ وذكرت بحبي - عمار ، وبشئ على له ، وظنّ على أن قتله غير ما أتيت عليه ، وسوكتها حيث سلكتها . قال : وفعلت ؟ قلت : نعم . فاستقبل للقبلة ، ثم قال : اللهم رب السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، الرحمن الرحيم ؛ أصلح لي عيّا ، وأصلح لي أئمتنا يابن عباس ، فأمنت . ثم تحدّثنا طويلا ، وفارقت . وأنت منزل .

\*\*\*

وروى الزبير بن بكار أيضا في الكتاب المذكور ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ما سمعت من أي شيئا قط في أمر عثمان يلوّم فيه ولا يمدّحه ، ولا سأله عن شيء من ذلك بحاجة أن أحجّم منه على مالا يوافقه ؛ وإنما عنده ليلة ونحن نتعشى ، إذ قيل : هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب ، فقال : ائذنوا له ، فدخل فأوسع له على فراشه ، وأصاب من العشاء معه ، فلما رُفِع قام من كان هناك ، وثبت أما . فحيد عثمان الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا خال ، فإني قد جئتك أستعذرك من ابن أخيك علي ؛ سبني ، وشهر أمرى ، وقطع رجلي ، وطعن في ديني ؛ وإني أعوذ بالله منكم يا بني عبيد المطلب ؛ إن كان لكم حق تزعمون أنكم غلبتم عليه ، فقد تركتموه في يدي ، من فعل ذلك بكم ، وأما أقرب إليكم رحما منه ؛ وما لمت منكم أحدا إلا عيّا ، ولقد دعيت أن أسط عليه ، فتركت . والله والرحيم ، وأنا أخاف ألا يتركني فلا أتركه .

قال ابن عباس : فحيد أبي الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا بني أحمق ، فإن كنت لا تحمد عليا لنفسيك فإني لا أحمدك لعلّي ، وما على وحده قال فيك ، بل غيره ؛ فلو أنك

اتهمت نفسك للناس، اتهم الناس أنفسهم لك؛ ولو أنك نزلت بما رُقيت وارتقوا بما نزلوا، فأخذت منهم وأخذوا منك، ما كان بذلك بأس. قال عثمان: فذلك إليك يا خال، وأنت بيني وبينهم. قال: أفأذكر لم ذلك عنك؟ قال: نعم، وانصرف؛ فما لبثنا أن قيل: هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب، قال أبي: انذروا له، فدخل قمام قائما، ولم يجلس، وقال: لا تجعل يا خال حتى أودنك، فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالسا بالباب ينتظره حتى خرج، فهو الذي ثناه من رأيه الأول، فأقبل على أبي، وقال: يا بني، ما لي هذا من أمره شيء، ثم قال: يا بني، أم لك عليك لسانك حتى ترى مالا بد منه؛ ثم رفع يديه، فقال: اللهم اسقني مالا حير لي في إدراكه. فما مرت جمعة حتى مات رحمه الله.

وروى أبو العباس اللرد في "الكامل" عن قنبر مولى علي عليه السلام قال: دخلت مع علي بن عثمان، فأحبنا الخلوة، فأومأ إلي علي عليه السلام بالتمسحي، فتدحيت غير بعيد، فجعل عثمان يمانه وعلي مطرق، فأقبل عليه عثمان، وقال: مالك لا تقول؟ قال: إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

قال أبو العباس: تأويل ذلك: إن قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به علي، فلذلك عتابي، وعندي ألا أفعل - وإن كنت عاتبا - إلا ما تحب<sup>(١)</sup>.

وعندي فيه تأويل آخر؛ وهو: أنني إن قلت واحتذرت فأى شيء حسنته من الأعداء لم يكن ذلك عندك مصدقا، ولم يكن إلا مكروها غير مقبول؛ والله تعالى يعلم أنه ليس لك عندي في باطني وما أطوى عليه جوانحي إلا ما تحب، وإن كنت لا تقبل المماذير التي أذكرها، بل تذكرها وتنو نفسك عنها.

• • •

وروى الواقدي في كتاب "الشورى" عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : شهدت  
عقاب عثمان لملي عليه السلام يوماً ، فقال له في بعض ما قاله : نشدتك الله أن تفتح  
الفرقة باباً ! فلهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ولست بدون واحد منهما ، وأنا أمس بك رجلاً ، وأقرب إليك صبراً ،  
فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فقد رأيتك حين  
توقى نازحتاً ثم أفررت ، فإن كانا لم يركبا من الأمر جديداً ، فكيف أذعنت لهما  
بالبيعة ، وبخعت بالطاعة ! وإن كانا أحسناً فيما ولها ، ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي  
وقرايتي ، فكيف لي كما كنت لهما .

فقال علي عليه السلام : أما الفرقة ، فمأذ الله أن أفتح لها باباً ، وأسهل إليها سبيلاً ،  
ولكى أسألك عما ينهك الله ورسوله عنه ، وأهديك إلى رشدك ، وأما عتيق وابن الخطاب  
فإن كانا أحذا ما جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ، فأت أعم بذلك والمسلمون ،  
ومالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين ! فأما ألا يكون حتى بل المسلمون فيه شرع فقد  
أصاب السهم الثمرة <sup>(١)</sup> ، وأما أن يكون حتى دونهم فقد تركته لم ، طبت به نفسي ،  
ونفست يدي عنه استصلاحاً . وأما التسوية بينك وبينهما ، فليست كأحدهما ، إنها ولها  
هذا الأمر ، فظلفا <sup>(٢)</sup> أنفسهما وأهلها عنه ، وعُت في قومك عوم الساج في اللجة ،  
فارجع إلى الله أبا عمرو ، وانظر هل يبق من عورك إلا كيطمء الحمار <sup>(٣)</sup> ! فحق متى وإلى  
متى ! ألا نهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم ! والله لو ظلم  
عامل من عمالك حيث تقرب الشمس لكان إنعم مشتركاً بينه وبينك .

قال ابن عباس : فقال عثمان : لك العتبي ، وأفعل وأغزل من عمالي كل من تكرهه

(١) الثمرة - ثمره البحر بين الغلوتين . (٢) ظلفا أنفسهما ، أى كفا .

(٣) يقال : ما يبق منه من ظم الحمار ؟ أى لم يبق من حمرة إلا اليسير ؛ لأنه ليس شيء أقصر ظمناً من  
الحمار ، والسلام على المثل .



ويكرهه المسلمون ؛ ثم افترقا ، فصده مروان بن الحكم عن ذلك ، وقال : يحترئ عليك الناس ، فلا تمزل أحدا منهم !

•••

وروى الزبير بن بكار أبصافاً في كتابه ، عن رجال أسند بعضهم عن بعض ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : أرسل إلى عثمان في الهجرة <sup>(١)</sup> ، ففتنمت بشوبى ، وأتيت ، فدخلت عليه وهو على سرير ، وفي يده قصيب ، وبين يديه مال دثر <sup>(٢)</sup> : صبرتان من ورقٍ وذهب ، فقال : ذاك حد من هذا حتى نملأ بطنك فقد أحرقتني . فقلت : وصطك رَحِم ! إن كان هذا المال ورثته ، أو أعطاك معطٍ ، أو اكتسبته من تحارة ؛ كنتُ أحدَ رجلين : إما آخذ وأشكر ، أو أقر وأجهد ، وإن كان من مال الله وفيه حق المسلمين واليتيم وابن السبيل ، فوافقه مالك أن تعطيه ولا لي أن آخذه . فقال : آيتُ الله إلا ما آيت . ثم قام إلى بالقصيب فضربني ، والله ما أردبته ، حتى قصى حاجته ، ففتنمت بشوبى ، ورجعت إلى منزلي ، وقلت : الله بيني وبينك إن كنتُ أمرتك بمعروف أو نهيت عن منكر !

•••

وروى الزبير بن بكار ، عن الزهري ، قال : لما أتني عمرُ بجوهر كسرى ، وضع في المسجد ، فطلعت عليه الشمس فصار كالجر ، فقل نغاز بيت المال : ونحك أرحني من هذا ، واقسم بين المسلمين ، فإن نسي تعدني أنه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قسمته بين المسلمين لم يسمهم ، وليس أحد يشتره لأن ثمنه عظيم ، ولكن تدعه إلى قابل ، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيشتره منهم من يشتره . قال : ارفعه فأدخله بيت المال .

وقتل عمر وهو بحاله ، فأخذه عثمان لما ولي الخلافة على به بناته .

(١) الهجرة : نزل النصارى في القبط . (٢) الدثر : المال الكثير .

قال الزبير : فقال الزهري : كل قد أحسن ؛ عمر حين حرم نفسه وأقاربه ، وعثمان حين وصل أقاربه .

\*\*\*

قال الزبير . وحدثنا محمد بن حرب ، قال : حدثنا سفیان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : جاء رجلا إلى علي عليه السلام يستشفع به إلى عثمان ، فقال : قتال الخطايا لا والله لا أعود إليه أبدا . فأبى منه .

\*\*\*

وروى الزبير أيضا ، عن شداد بن عثمان ، قال : سمعت عوف بن مالك في أيام عمر ، يقول : يا طاعون خذني ، فقلنا له : لم تقول هذا ؛ وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ لِلتَّوْمَنِ لَا يُزِيدُهُ طَوْلُ الْعَمْرِ إِلَّا خَيْرًا » قال : إني أخاف سقاة خلافة بني أمية ، وإمارة السفهاء من أحدهم ، والرَّشْوَةَ فِي الْحُكْمِ ، وَسَفْكَ الْهَمِّ الْحَرَامِ ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ ، وَتَشَأْ يَدُشَأْ ، يتخذون القرآن مزامير .

\*\*\*

وروى الزبير عن أبي عثمان ، عن عمر بن زياد ، عن الأسود بن قيس ، عن عبيد بن عارية ، قال : سمعت عثمان وهو يخطب ، فأكب الناس حوله ، فقال : اجلسوا يا أعداء الله ! فصاح به طلحة : إنهم ليسوا بأعداء الله ؛ لكنهم عباد الله ؛ وقد قرءوا كتابه .

\*\*\*

وروى الزبير ، عن سفیان بن عيينة ، عن إسرائيل عن الحسن ، قال : شهدت المسجد يوم الجمعة ، فخرج عثمان ، فقام رجل ، فقال : أشد كتاب الله ؛ فقال عثمان : اجلس ؛ أما ليكتب الله ناشد غيرك ؛ فجلس ، ثم قام آخر فقال مثل مقالته ، فقال : اجلس ، فأبى .  
( ٢ - نهج - ٩ )

أن يحبس ، فبعث إلى الشرط ليحلبوه ، فقام الناس فخلوا بينهم وبينه ، قال : ثم تراموا بالبطحاء ؛ حتى يقول القائل : ما أكاد أرى أديم السماء من البطحاء .

فزل عثمان ، فدخل داره ولم يصل الجمعة

\*\*\*

[ فصل فيما شجر بين عثمان وابن عباس من الكلام بحضرة علي ]

وروى الزبير أيضا في " الموقيات " عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : صليت العصر يوما ، ثم خرجت فإذا أنا بعثمان بن عفان في أبنام خلافته في بعض أروقة المدينة وحده ، فأتيته إحلالا وتوفيرا لمكانه ، فقال لي : هل رأيت عليا ؟ قلت : حلفت في السعد ، فإن لم يكن الآن فيه فهو من مره ؛ قال : أما منزله فليس فيه فإيه <sup>(١)</sup> لنا في السعد . فتوجهنا إلى المسجد ، وإذا علي عليه السلام يخرج منه ؛ قال ابن عباس : وقد كنت أسس ذلك اليوم عند علي ، فذكر عثمان وتعرّفه عليه ، وقال : أما والله يا ابن عباس ، إن من دوائه لقطع كلامه ، وترك لقائه . فقلت له : برحمتك الله ! كيف لك بهذا ؟ فإن تركته ثم أرسل إليك فما أنت صانع ؟ قال : أعتل ؛ وأعتل ؛ فمن يفسري <sup>(٢)</sup> ! قال : لا أحد .

قال ابن عباس : فلما تراءى بنا له وهو خارج من المسجد ، ظهر منه من التفات والطلب للانصراف ما استبان لعثمان ، فمطر إلى عثمان ، وقال : يا ابن عباس ، أما ترى ابن حاننا يكره لقاء ما ! فقلت : ولم وحقك أرم ، وهو ما فعل أعلم ؛ فلما تقاربا رماه عثمان بالسّلام ، فردّ عليه ، فقال عثمان : إن تدخل فإياك أردنا ، وإن تمس فإياك طمينا . فقال علي : أي ذلك أحسنت ؟ قال : ندخل ، فدخلوا أحد عثمان بيده ، فأهوى به إلى القبلة ، فقصر عنها ، وحلّس قبالتها ، فجلس عثمان إلى حايه ، فكسبت عهما ، فدعوا إلى جميعا ، فأتيتهما ، فعبد عثمان الله ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : أما بعد يا بني ؟ حالتي وإبنتي

(١) إيه : اطله .

(٢) كدائي د ، وق م : « يفسري » .

عني ؛ فإذا جئتك في النداء فسأجيبك في الشكاية ، عن رضائي على أحدكما ، ووجدني على الآخر . إني استعذركما من أهلكما ، وأسألكما فيئتكما ، واستوهبكما رجعتكما ؛ فوالله لو غالبني الناس ما انتصرت إلا بكما ، ولو تهضموني ما تمررت إلا بمرتكما . ولقد طال هذا الأمر بيننا حتى تخوفت أن يحور قدره ، وبمظم الخطر فيه ؛ ولقد هاجني المدون عليكما ، وأغراتي بكما ؛ ففتني الله والرحيم بما أراد ، وقد حلونا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جانب قبره ؛ وقد أحببت أن تظهر إلى رأيتكما في ، وما تنطويان لي عليه وتصدقان ؛ فإن الصدق أنجى وأسلم ؛ واستغفر الله لي ولكما .

قال ابن عباس : فاطرق علي عليه السلام ، وأطرفت معه طويلا ؛ أما أنا فأحلفه أن أتكلم قبله ، وأما هو فأراد أن **أجيب عن ركنه** ثم قلت له : أتتكلم أم أتكلم عنك ؟ قال : بل تكلم عني وعليك . **لحديث الله** وأنيت عليه ، وصليت على رسوله ، ثم قلت : أما بعد يا ابن عمنا وعمنا ، فقد سمعنا كلامك لنا ، ولطأك في الشكاية بيننا على ريس . رحمت . من أحدا ما ووجدك على الآخر ، وسفعل في ذلك ، مذمتك ونحمدك ، اقتداء منك بفعلك حين ؛ فإنا مذم مثل نهيتك إيانا على ما اتهمتنا عليه بلاقة إلا قلنا ؛ ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشرتك ، ثم نستغفرك من نفسك استعذارك إيانا من أنفسنا ، واستوهبك فيئتك ، استيهابك إيانا فيئنا وسألك رجعتك مسألتك إيانا رجعتنا ؛ فإنا معاً آيتنا حجت وذمت منا ، كذلك في أمر نفسك ؛ ليس بيننا فرق ولا اختلاف ؛ بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله ؛ فوالله ما فعلنا غير معدلين فيما بيننا وبينك ، ولا نمر من غير قاتنين عليك ، ولا نخذلنا غير راجعين إليك ؛ فنحن سألوك من نفسك مثل ما سألنا من أنفسنا . وأما قولك : لو غالبني الناس ما انتصرت إلا بكما ، أو تهضموني ما تمررت إلا بمرتكما ، فأين بنا وبك عن ذلك ، وعن وأنت كما قال أحو كنانة :

بداً محترماً مارام قال ، وإن يؤمَّ يَحْضُرُ قوته غمراً من الغمر رائحة

لنا ولم منا ومنهم على الهدى صرات عزٍ مصيبتٍ سلامة

وأما قولك في هيج العدو وإياك علينا ، وإغرائه لك بنا ، فوالله ما ألتاك العدو من ذلك شيئاً إلا وقد ألتانا بأعظم منه ؛ فمنعنا عما أراد مامنهك من مراقبة الله والرحيم ، وما أبقيت أنت ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومروءتنا ؛ ولقد تعمري طال بنا وبك هذا الأمر حتى نخوفنا منه على أنفسنا ، وراقبنا منه مراقبت .

وأما مساءلتك إيانا عن رأينا فيك ، وما تطوي عليه لك ، فإننا نخبرك أن ذلك إلى مانع ؛ لا يعلم واحدٌ منكم صاحبه إلا ذلك ، ولا يقبل منه غيره ، وكلانا ضامنٌ على صاحبه ذلك وكفيلٌ به ، وقد برأت أحدهما وبركتيه ، وأسقطت الآخر وأسكتته ، وليس السقيم منا مما كرهت بأنطق من البري فيما ذكرت ، ولا البري منا مما سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت ؛ فإما جمعنا في الرضا وإما حمتنا السخط ؛ لمجازيك بمثل ما تعمل بنا في ذلك ؛ مكايمة الصاع بالصاع ؛ قد علمناك رأينا ، وأظهرنا لك ذات أنفسنا ، وحد قنالك ؛ والصدق كما ذكرت أنجي وأسلم ، فأجب إلى ماعوت إليه ، وأجبل عن النقص والمذر مسعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره ، واحضق تنج وتسلم ، واستعفر الله لنا ذلك . قال ابن عباس : فنظر إلى علي عليه السلام نظرَ هيبة ، وقال : دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه ، فوالله لو ظهرت له قلوبنا ؛ وبدت له سرائرنا ، حتى رآها بعينه كما يسمع الخبير عنها بأدنه ، ما زال معزوماً منتقماً ، والله ما أنا منقئ على وخمة<sup>(١)</sup> ، وإنى لما نزع مارواه ظهر لي ؛ وإن هذا الكلام لمخالفة منه وسوء عشرة .

قال عثمان : مهلاً أما حسن ؛ فوالله إنك تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفي

(١) الوخمة في الأصل : حنة الحرار تطلع عنها اللحم ؛ و في اللؤلؤ : تركهم لما على وهم ، أي أوقع بهم فأوحشهم .

بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده : « إن من أمحاي لقوماً سالين لهم ، وإن عثمان منهم ؛ إنه لأحسنهم بهم ظناً ، وأصحهم لهم حباً » فقال علي عليه السلام : فتصدق قوله صلى الله عليه وسلم بفعلك ، وحالف ما أت الآن عليه ؛ فقد قيل لك ما سمعت ، وهو كافٍ إن قبلت . قال عثمان : فتشق يا أبا الحسن ؟ قال : نعم أثق ولا أظنك إلا فاعلاً ، قال عثمان : قد وثقت وأنت ممن لا يتخفى صاحبه ، ولا يكذب لقيه .

قال ابن عباس : فأخذت ما بيديهما ؛ حتى نصالحا وتصالحا وتمازجا ، ونهضت عنهما ؛ ففشاورا وتآمرا وتذاكرا ؛ ثم افترقا ؛ فوالله ما مرت ثلاثة حتى لقي كل واحد منهما ، يذكر من صاحبه مالا ترك عليه الإبل . فقلت أن لا سبيل إلى صلحهما بعدها .

• • •

وروى أحمد بن عبد العزيز الحواري في كتاب " أحبار السقيفة " عن محمد بن قيس الأسدي ، عن المعروف بن سويد ، قال : كنت بالمدينة أيام يبيع عثمان ، ورأيت رجلاً في المسجد جالساً ، وهو يصفق <sup>(١)</sup> ياحدى يديه على الأخرى ، والناس حوله ، ويقول : والعجباً من فرش واستشارم بهذا الأمر على أهل هذا البيت ، ومدن الفصل ، وعموم الأرض ، ومور البلاد ؛ والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى منه بالحق ، ولا أقصى بالعدل ، ولا آمر بالمعروف ، ولا أسى عن المنكر ، فسألت عنه فقيل : هذا المقداد ؛ فتقدمت إليه ، وقلت : أصلحك الله ! من الرجل الذي تذكر ؟ فقال : ابن عمّ نبيك رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب !

قال : فلبنت ما شاء الله ثم أتني لقيت أباخرّ رحمه الله ، حدثته مقال المقداد ، فقال : صدق ؛ قلت : فما يمنعكم أن تعملوا هذا الأمر فيهم ؟ قال : أتى ذلك قومهم ، قلت : فما يمنعكم أن تبعثوهم ؟ قال : مه لا تقل هذا ، إياكم والعرفة والاختلاف !

(١) يصفق : يصربه .

قال : فكت عنه ، ثم كان من الأمر بعد ما كان .

\*\*\*

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في الكتاب الذي أورد فيه المأذير عن أحداث عثمان ، أن علياً اشتكى ، فصاده عثمان من شكايته ؛ فقال علي عليه السلام :

وعائدتني نمود لمير ودر تود لو أن دا دنف بموت

فقال عثمان : والله ما أدري أحياتك أحب إلي أم موتك ؛ إن ميت هاضى فقدك ، وإن حيت ففنتني حياتك ، لا أعديم ما بقيت طاهنا يتخذك رديئة بلعاً إليها .

فقال علي عليه السلام : ما الذي حملني رديئة للطاعين المائين ؛ إنما سوه ظنك بي أحلني من قلبك هذا المحل ، فإن كنت تخاف جاني فلك حل عهد الله وميثاقه أن لا بأس عليك مني ، ما بل تمر صوفة<sup>(١)</sup> ، وإني لك لم أبيع ، وإني عنك لحام ؛ ولكن لا ينفعني ذلك عندك . وأما قولك : « إن قدسي يهينك » ، فكلاً أن تهاض لعقد ، وما بقي لك الوليد ومروان .

فقام عثمان فخرج .

وقد روى أن عثمان هو الذي أشد هذا البيت ؛ وقد كان اشتكى ، فصاده علي عليه السلام فقال عثمان :

وعائدتني نمود بمير نصح تود لو أن دا دنف بموت

\*\*\*

وروى أبو سعد الأصبهاني<sup>(٢)</sup> في كتابه عن ابن عباس ، قال : وقع بين عثمان وعلي

(١) من قولهم في الثعلب : لا آتيك ما مل بخر صوفة

(٢) هو أبو سعد زهير السكفاء منصور بن الحبيب الأصبهاني ؛ وزير عبد الدولة رستم بن نصر الدولة بن ركن الدولة ابن بويه ، صاحب كتاب نثر الدرر في الحاصلات

عليه السلام كلام، فقال عثمان: ما أصنع، إن كانت قريش لا تحبكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأن وجوههم شفوف الذهب، تصرع أنفهم قبل شفاههم !

وروى المذكور أيضا أن عثمان لما نقم الناس عليه ما نقموا، قام متوركا على مروان فخطب الناس؛ فقال: إن لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، قوم عيانون علمانون، بطيرون لكم مانحون، ويسرون مانكرون؛ علمام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، ولقد نقموا على ما نقموا على عمر مثله، فقمعهم ووقمهم<sup>(١)</sup> وإلى لأقرب ناصرا، وأعز نفرا، فإني لا أفعل في فضول<sup>(٢)</sup> الأموال ما أشاء !

وروى المذكور أيضا أن عليا عليه السلام اشتكى، فعاده عثمان، فقال: ما أراك أصبحت إلا ثقيلًا! قال: أجل، قال: والله ما أدري أמותك أحب إلى أم حياتك! إني لأحب موتك، وأكره أن أعيش بعدك، فلو شئت جعلتكم كلها من ضحك عمرجا، إما صديقًا مالمًا وإما عدوًا معالبا، وإليك كما قال أبو أيوب<sup>(٣)</sup>:

جَرَّتْ لَمَّا بَيْنَنَا حَبْلُ الشَّمْسِ فَلَا بَأْسَ مَبِينًا رَى مَبَا وَلَا طَمَا

فقال علي عليه السلام: ليس لك عندي منحواف، وإن أحببتك لم أحببك إلا بماتك رحمه.

• • •

وكتب عثمان إلى علي عليه السلام حين أحبط به، أما بعد: فقد جاوزَ الماء الزُّهَى، وبلغ الحرام الطُّنَيْنِ، وتجاوز الأمر في قدره، فطمع في من لا يدفع عن نفسه.

(١) وقهم: أدلهم.

(٢) فضول الأسوال: الزائدة عن الحاجة.

(٣) هو لقيط بن يصر الإيادي من نصبة بدر بها قومه غزو كسرى إمام؛ وأولها:

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُحْتَلِّهَا أَلْجَرَعَا هَاجَتْ لِي أَلْهَمُ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَحَا

في مختارات ابن السكيت ١ - ٦



فإن كنت ما كولا فكن خيرا كلِّ وألا فادركني ولما أمرت<sup>(١)</sup>

•••

وروى الزبير حبر العيادة على وجه آخر قل : مرض علي عليه السلام ، فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم ، فجعل عثمان يسأل علياً عن حاله ، وعلي ساكت لا يجيبه ، فقال عثمان : لقد أصبغت يا أبا الحسن مني بمرقة الولد المارق لأبيه ! إن عاش عقه ، وإن مات لحمه ؛ فلو جعلت لنا من أمرك رجاً ، إما عدواً أو صديقاً ؛ ولم تجعلنا بين السماء والماء ! أما والله لأنا خير لك من فلان وفلان ؛ وإن قُتلت لأجهد مثلي ، فقال مروان : أما والله لا يُرام ما وراءنا حتى تتواصل سيوفنا ، وتقطع أرحامنا .

فالتفت إليه عثمان ، وقال : اسكت لاسكت ! وما يدحك فيما بيننا !

•••

وروى شيخنا أبو عثمان الخاضع عن زيد بن أرقم ؛ قال : سمعتُ عثمان وهو يقول لعلي عليه السلام : أنكرت عليّ استعمال معاوية ، وأنت نعم أن جهر استعماله ! قال علي عليه السلام : شدتُك الله ! ألا تعلم أن معاوية كان أطوع لسمر من برء غلامه ! إن عمر كان إذا استعمل عاملاً وطىء على صماخه ؛ وإن لقوم ركبوك وعلبك ، واستبدوا بالأمر دونك . فسكت عثمان .

•••

### [ أسباب المنافسة بين علي وعثمان ]

قلت : حدثني جعفر بن مكي الحاجب رحمه الله ، قال : سألت محمد بن سليمان حاجب الحاجاب سوقاً رأيت أنا محمداً هداً ، وكانت لي به معرفة غير مستحكمة ، وكان طريقاً

(١) البيت للمعري السدي ، والمدر والكمال ١ : ١٧

أديبا ، وقد اشتمل بالرياضيات من الفلسفة ، ولم يكن يتعصب لذهب بعينه - قال جعفر :  
سألت عما عده في أسر علي وعثمان ، فقال : هذه عداوة قديمة النُسب بين عبد شمس وبين  
بنى هاشم ، وقد كان حرب بن أمية نقر عبد الطلب بن هاشم ، وكان أبو سفيان يحسد محمداً  
صلى الله عليه وآله وحاربه ، ولم ترل الثنتان متباغضتين وإن جمعتهما المذاقية . ثم إن رسول  
الله صلى الله عليه وآله زوج عليا بابنته ، وزوج عثمان بابنته الأخرى ؛ وكان اختصاص رسول  
الله صلى الله عليه وآله لفاطمة أكثر من اختصاصه لأمّنت الأخرى ، ولثانية التي تزوجها  
عثمان بمد وفاة الأولى ، واختصاصه أيضا لعليّ وزيادة قرب به منه وامترابه به واستغلاصه  
إياه لنفسه ، أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان . ففقد عثمان ذلك عليه ، فتباعد ما بين قلبيهما ،  
وراد في التباعد ما عساه يكون بين الأختين من مُباغضة أو مشاجرة أو كلام ينقل من إحداها  
إلى الأخرى ، فيتكدر قلبها على أختها ، ويكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين  
البعدين أيضا ، كما شاهدته في عصرنا وفي غيره من الأعصار ؛ وقد قيل : ما قطع من الأخوين  
كالزوجتين . ثم اتفق أن عليا عليه السلام قتل جماعة كثيرة من بنى عبد شمس في حروب  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتأكّد الثنّان ، وإذا استوحش الإنسان من صاحبه  
استوحش صاحبه منه . ثم مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، فصبا إلى عليّ جماعة يسيرة لم  
يكن عثمان منهم ، ولا حضر في دار فاطمة مع من حضر من الخلفين عن البيعة ، وكانت في  
همس عليّ عليه السلام أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر وعمر ، لقوة  
هم وشده ، وانسلاط يده ولسانه ؛ فلما قتل عمر وجعل الأمر شورى بين الستة ، وعدل  
عبد الرحمن بها عن عليّ إلى عثمان ، لم يملك عليّ نفسه ، فأظهر ما كان كامنا ،  
وأبدى ما كان مستورا ؛ ولم يزل الأمر ترابدا بينهما ، حتى شرف وتفاقم ؛ ومع ذلك فلم  
يكن عليّ عليه السلام لينكر من أمره إلا مفكرا ، ولا ينهاء إلا كما تقتضي الشريعة منه  
عنه ؛ وكان عثمان مستضعفا في نفسه ، رخوا قايلا الحزم ، واهي العفدة ، وسلم عنائه إلى

مرؤان بصرفه كيف شاء ؛ الخلافة له في المعنى ولعثمان في الاسم . فبما انتقص على عثمان أمره ، استصرخ علياً ولآد به ، وألقى زمام أمره إليه ، فدافع عنه حيث لا ينفع الدِّفاع ، ودبّ عنه حين لا يعنى الدِّبّ ، فقد كان الأمرُ فسد فساداً لا يُرجى صلاحه .

قال جعفر : فقلت له : أقول إن عاباً وحَد من خلافة عثمان أعظم مما وَجَّده من خلافة أبي بكر وعمر ؟ فقال : كيف يكون ذلك ؛ وهو فرع لها ، ولولا هالم يصل إلى الخلافة ، ولا كان عثمان ممن بطع فيها من قبل ، ولا يحظر له ببال أولئك ها هنا أمر يقتضي في عثمان زيادة المافسة ، وهو اجتماعهما في النسب ، وكوسهما من بني عبد مناف ، والإنسان يتأقرب من عمه الأدنى أكثر من مسافة الأبعد ، ويهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب

قال جعفر : فقلت له : أقول : لم أن عثمان كُفِّع ولم يقتل ؛ أكان الأمر يستقيم له على السلام إذا بويع بعد خلعهِ ؟ فقال : لا ، وكيف يتوهم ذلك بل يكون انتقاض الأمور عليه وعثمان حتى مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله ، لأنه موجود يُرجى ويتوقع عودته ، فإن كان محبوباً عظم البلاء والخطأ ، وهتف الناس باسمه في كل يوم ، بل في كل ساعة ، وإن كان مخلى بمرتبة ، ومكسباً من نفسه ، وغير محول بينه وبين احتياله ، لجأ إلى بعض الأطراف ، وذكر أنه مظلوم عُصيت خلافته ، وفيه على خلق منه ، فكان اجتماع الناس عليه أعظم ، والغلبة به أشدّ أعظم .

قال جعفر : فقلت له : فما تقول في هذا الاختلاف الواقع ؛ أمر الإمامة من مبدأ الحال ، وما الذي نطفته أصله ومنهجه ؟ فقال : لا أعلم لهذا أصلاً إلا أمرين : أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله أهمل أمر الإمامة فلم يصرّح فيه بأحدٍ بميثه ، وإنما كان هناك رمز وإيماء ، وكناية وتعرّص ، لو أراد صاحبه أن يبيح به وقت الاختلاف وحال المنازعة

لم يُقم منه صورة حجة نفي ، ولا دلالة تحسبونكفي ؛ ولذلك لم يحتاج على عليه السلام يوم السقيفة عما ورد فيه ، لأنه لم يكن بصاً حياً يقطع العذر ، ويوجب الحجة ؛ وعادة الملوك إذا تمهد ملكهم ، وأرادوا القتل لولد من أولادهم ، أو نفي من ثقاتهم ، أن يصرّحوا بذكره ، ويخطبوا باسمه على أعناق المابر ، وبين فواصل الخطب ، ويسكتوا بذلك إلى الأفاق البعيدة عنهم ، والأفطار النائية منهم ؛ ومن كان منهم ذا سرير وحصن ومدن كثيرة ، صرّب اسمه على صفحات الديار ونداهم مع اسم ذلك الملك ؛ بحيث تروى الشبهة في أسرهم ، ويسقط الارتياح بحاله ؛ فليس أمر الخلافة بهين ولا صعب ليترك حتى يصير في مظنة الاشتباه واللبس ؛ ولله كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك عذر لا تعلمه نحن ؛ إما خشية من فساد الأمر ، أو إرحاف المسكين ، وقولهم : إنها ليس نبوة وإنما هي ملك به أوصى لقريته وسلالته ، ولما لم يكن محمد من تلك الدرية في تلك الحال صالحاً للقيام بالأمر أصير السرّ وجه لا يهيم ؛ ليكون في الحقيقة لروحته التي هي أمته ولأولاده منها من بعده .

وأما ما نقوله المعتزلة وغيرهم من أهل العدل : إن الله تعالى علم أن المكلفين يكونون على ترك الأمر مملّأ غير معين أقرب إلى فعل الواجب وتجنب القبيح . قال : ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم في مرضه أنه يموت في ذلك المرض ، وكان يرحو البقاء فيمهد للإمامة قاعدة واضحة . وما يدل على ذلك أنه لما نوزع في إحصار الدواة والكتف ليسكتب لهم مالا يصلون بعده ، عصب وقال : اخرجوا عني ، لم يحممهم بعد المصائب ثاية ويبرّتهم رشدهم ، ويهديهم إلى مصالحهم ، بل أرحأ الأمر إرجاء من يرتقب الإهانة ، وينتظر المافية .

قال : فبتلك الأقوال المحضة ، والكدمات المحتملة ، والرموز المشبهة ، مثل حديث

خَصَفَ النمل ، ومنزلة هارون من موسى ، ومن كنت مولاه ، وهذا يسوب الدين ، ولا قى إلا على ، وأحب خلقك إليك ... وما جرى هذا الجرى ، مما لا يفصل الأمر ، ويقطع المذر ويُسكت الخضم ، ويُفعم للنازع ؛ وثبت الأنصار فادعتها ، وثب بنو هاشم فادعوها ، وقال أبو بكر : يا أيها عمر أوبا عبدة ، وقال العباس لعل : امدد يدك لأبايكم ، وقال قوم ممن رآه في الدهر فيما بعد ؛ ولم يكن موجودا حينئذ : إن الأمر كان للعباس لأنه لهم الوارث ، وإن أبا بكر وعمر غصباء حقه ؛ فهذا أحدهما .

وأما السبب الثاني للاختلاف ، فهو جمل عمر الأمر شورى في الستة ، ولم ينص على واحد بعينه ؛ إما منهم أو من غيرهم ؛ فبقى في نفس كل واحد منهم أنه قد رُشح للخلافة وأهل الملك والسلطة ؛ فلم يزل ذلك في نفوسهم وأذهانهم مصورا بين أعينهم ، مرتسا في خيالهم ، متازعة إليه نفوسهم ، طامعة بحومهم ؛ حتى كان من الشقاق بين علي وعثمان ما كان ، وحتى أفضى الأمر إلى قتل عثمان . وكان أعظم الأسباب في قتله طامعة ؛ وكان لأبي بكر أن الأمر له من بعده توجوه ؛ سابقته ، ومنها أنه ابن عم لأبي بكر ، وكان لأبي بكر في نفوس أهل ذلك العصر مرحلة عظيمة ، أعظم منها الآن . ومنها أنه كان متحبا جوادا ، وقد كان نازع عمر في حياة أبي بكر ، وأحب أن يعرض أبو بكر الأمر إليه من بعده ؛ فإرا ل يقتل في الدرة والعارب في أمر عثمان ، ويكثر له القلوب ، ويكثر عاياه النعوس ، ويعرى أهل المدينة والأعراب وأهل الأمصار به . وساعده الزبير ؛ وكان أيضا يرجو الأمر لنفسه ، ولم يكن رجاؤها الأمر بدون رجاء علي ، بل رجاؤها كان أقوى ؛ لأن عليا دحضه الأولان ، وأسقطاه ، وكسرا ناموسه بين الناس ؛ فصار نسيا منسيا ، ومات الأكثر ممن يعرف خصائصه التي كانت في أيام النبوة وفضله ، وشأ قوم لا يعرفونه ولا يرونه إلا رجلا من عرض المسلمين ؛ ولم يبق له مما يمت به إلا أنه ابن عم لرسول ، وزوج ابنته ، وأبو سيوطيه ، ويسي ماوراء ذلك كله ؛ وانفق له من بفض

قريش وانحرافها ما لم يتفق لأحد ؛ وكانت قريش بمقدار ذلك البغض تحب طلحة والزبير ، لأن الأسباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودة فيهما ، وكانا يتآلفان قريشا في أواخر أيام عثمان ؛ وبمداهم بالعطاء والإفصال ؛ وهما عند أحسبهما وعند الناس حليفتان بالقوة لا بالفعل ؛ لأن هر نفس عليهما وارتهما للخلافة ، وعمر مشيع القول ومرضى الفصال ، موفق مؤيد مطاع ، نافذ الحكم في حياته وبعد وفاته ؛ فلما قتل عثمان ، أرادها طلحة ، وحرص عليها ، فلولا الأشر وقوم معه من شعبان العرب جعلوها في حل لم تصل إليه أبدا ، فلما فانت طلحة والزبير ، فتفا ذلك الفتق العظيم على حل ، وأخرجهم المؤمنين معهما ، وقصدا للمراق ، وأثارا الفتنة ؛ وكان من حرب لجل ما قد علم وعرف ، ثم كانت حرب الجمل مقدمة ونمهدا لحرب صفين ؛ فإن معاوية لم يكن ليفعل ما فعل ، لولا طمعه بما حرى في البصرة ، ثم أوقف أهل الشام أن عليا قد سبق بحاربة أم المؤمنين ، وبحاربة المسلمين ، وأنه قتل طلحة والزبير ، وهما من أصل الجنة ، ومن يقتل مؤمنا من أهل الجنة فهو من أهل النار ، فهل كان الفساد للتوذي صفين إلا فرعا لفساد السكائن يوم الجمل ؛ ثم نشأ من فساد صفين وضلال معاوية كل ماجرى من الفساد والتببيع في أيام بنى أمية ، ونشأت فتنة ابن الزبير فرعا من فروع يوم الحار ، لأن عبد الله كان يقول : إن عثمان لما يقن بالقتل نص على بالخلافة ؛ ولي بذلك شهود ، ومنهم مروان بن الحكم أفعلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعا على أصل ، وغصنا من شجرة ، وجذوة من ضرام ؛ هكذا يدور بعضه على بعض ، وكله من الشورى في الستة .

قال : وأعجب من ذلك قول عمرو قد قيل له : إياك استعملت يزيد بن أبي سفيان وسعيد بن العاص ومعاوية وفلانا وفلانا من اللؤفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وترك أن تستعمل عليا والعباس والزبير وطلحة ؛ فقال : أما على فأبى من ذلك ، وأما هؤلاء النفر

من قريش ، «إني أخاف أن ينشروا في البلاد ، فيكثروا فيها الفساد ، فمن يخاف من  
 تأمرهم لنلا يطعموا في الملك ، ويدعيه كل واحد منهم لنفسه ، كيف لم يخف من جعلهم  
 سنة متساوين في الشورى ، رشحوا للخلافة ! وهل شيء أقرب إلى الفساد من هذا ! وقد  
 روى أن الرشيد رأى يوماً محمداً وعبد الله أخيه بامبان ويصعكان ؛ فسر بذلك ، فلما غابا  
 عن عينه بكى ، فقال له الفضل بن الربيع : ما بك يا أمير المؤمنين ، وهذا مقام جذل  
 لا مقام حزن ؟ فقال : أمارأيت لهما ومودة بينهما ؟ أما والله ليتبدآن ذلك معاً وشعاً<sup>(١)</sup>  
 وليدخلن كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب ، فإن للكل عقيم . وكان الرشيد قد  
 عقد الأمر لهما على ترتيب ، هذا بعد هذا ؛ فكيف من لم يرتوا في الخلافة ، بل جعلوا  
 فيها كأسنان المشط !

قلت أما الجعفر : هذا كله تحكيم عن محمد بن سليمان ، فما تقول أنت ؟ فقال :  
 إذا قالت حسداهم قصدنوها فبين القول ما قالت حسداهم<sup>(٢)</sup>

(١) التمدد : التمكيد .

(٢) قلله :

فَلَوْلَا الْمَرْجِعَاتُ مِنَ الْيَاكِلِ لَمَا تَرَكَ الْقَطَا طَيْبَ الْمَنَامِ

نسيهما صاحب القصة ( في رقتي ) فجعل من صعب .

(١٣٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام :

أَمْ تَكُنْ بَيِّنَتُكُمْ إِبَّاءَ قَلْبَةٍ ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا ، إِنِّي أُرِيدُكُمْ اللَّهُ  
وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ؛ وَإِنَّمُ اللَّهُ لَا يُصِفَنَّ الْمَظْلُومَ وَلَا قُودَنَّ ، الظَّالِمَ  
بِحِزَامَتِهِ ، حَتَّى أُوْرِدَهُ مَهْلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَتْ كَارِهًا .

\*\*\*

الشرح :

القَلْبَةُ : الأمر يقع عن غير تدبر ولا روية ؛ وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر ؛  
وقد تقدم أنا في معنى قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر قَلْبَةً وفي الله شرها » كلام .

والحِزَامَةُ : حلقه من شعر تجمل في أف البعير ، ويُعمل الزمام فيها .

وَأَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ : حدودها بالعدل ، واقنعوها عن اتباع الهوى ، وارذعوها  
بقولكم عن السالك التي تُرَدِّبُهَا وتوجِّبُهَا ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَعْتَمُونِي عَلَيْهَا ؛ لِأَنِّي  
أَعْظَلُكُمْ وَأَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ إِذَا كَبَحْتُمْ أَمْسِكُمْ بِلِجَامِ الْعَقْلِ الدَّاعِي إِلَى  
مَا أَدْمُو إِلَيْهِ ؛ فَقَدْ أَعْتَمُونِي عَلَيْهَا .

فَإِنْ قُلْتَ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : « أُرِيدُكُمْ اللَّهُ وَتُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ » ؟



قلت : لأنه لا يريد من طاعتهم له إلا نصرة دين الله والقيام بحقوقه وحقوقه ؛  
ولا يريد لهم حفظ نفسه ، وأما هم فيأثم يريدونه لحفظ أنفسهم من المعطاء والتقريب ،  
والأسباب للوصول إلى منافع الدنيا .

وهذا الخطاب منه غاية السلام لجمهور أصعابه ؛ فأما الخواص منهم فإنهم كانوا  
يريدونه للأمر الذي يريدون له من إقامة شرائع الدين وإحياء معاليه

( ١٣٧ )

## الأجل

ومن كلام له عليه السلام في شأن طلعة الزير :

وَأَقْبَهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرٍ، وَلَا جَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا؛ وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ  
حَقًّا مُمْ تَرْكُوهُ، وَدَمًا مُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ؛ فَإِنْ لَهُمْ نَصِيْبُهُمْ  
مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونَ قَمَاءِ الطَّلَبَةِ إِلَّا قَبْلَهُمْ. وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْعُكْمِ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ؛ وَإِنْ مَتَى تَبَصَّرْتَنِي، مَا لَبَسْتُ وَلَا لَيْسَ<sup>(١)</sup> عَلَيَّ.  
وَإِنَّهَا لَفِئْتَةُ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْخَلَاءُ وَالْخَلَّةُ، وَالشُّبُهَةُ اللَّدْفَةُ. وَإِنْ الْأَمْرَ تَوَاضَعَ؛  
وَقَدْ زَاغَ الْهَامِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِبَاقِدٍ عَنْ شَعْبِهِ. وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا فِرْلَانَ لَهُمْ حَرَمًا  
أَنَا مَانِعُهُ؛ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ يَرَى، وَلَا يَمُوتُونَ بَعْدَهُ فِي جَنِي.

• • •

## النِّصْفُ :

النِّصْفُ : الإِصَافُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَلَكِنْ نِصْفًا لَوْ سَبَّحْتُ وَسَبَّحِي أَبُو عَبْدِ تَمَمٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَهَاشِمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَهُوَ عَلَى حَذْفِ الْمِضَافِ ؛ أَيِ ذَا نِصْفٍ ، أَيِ حَكْمًا مِصْفًا عَادِلًا يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ .  
وَالطَّلَبَةُ : بِكَسْرِ اللَّامِ : مَا طَلَبْتَهُ مِنْ شَيْءٍ . وَلَبَسْتُ عَلَى فُلَانٍ الْأَمْرَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ  
الْأَمْرُ ، كَلَامًا بِالتَّخْفِيفِ .

(٢) الطمان ١١ : ٢٤٦ .

(١) غلطوة النهج بشديد الاء .

والحمأة : الطين الأسود ، قال سبحانه : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وَحَمَإٍ الْمُقْرَب : سَمْتًا ، أى فى هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والصرر ؛ وإذا أرادت العرب أن تعبر عن الضلال والفساد قالت : الحَمَإُ ، مثله الحمأة بالتاء ؛ ومن أمثالهم : « كَأَطْلَعْتُ مَدَّتْ بِمَاءٍ » <sup>(٢)</sup> ؛ يُضْرَبُ للرجل بِشِدَّةِ مَوْقِفِهِ وَجْهَهُ ؛ وَالتَّائِلَةُ : الحمأة ، وإذا أصابها الماء ازدادت فسادا ورطوبة .

ويروى فيها : « الحمأ » بألف مفصورة وهو كناية عن الزُّبِير ، لأن كل ما كان بسبب الرجل فهم الأحماء ؛ واحدم « حاء » مثل قفا واقفاء ، وما كان بسبب المرأة فهم الأخاتن ؛ فأما الأصهار فيجمع الجهتين جمعا . وكان الزُّبَيْرُ ابن عمَّة رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أعلمَ عليًّا بأن فئة من المسلمين تبغى عليه أيام خلافته ، فيها بعضُ زوجاته وبعضُ أحمائه ، فكفى على عليه السلام عن الرُّوْجَةِ بِالْحَمَةِ وهى سمُّ الْمُقْرَب ، ويروى : « وآلم » يُضْرَبُ مِثْلًا لغير الطَّيِّبِ ولغير الصَّافِ ؛ وظاهر أن الحَمْء الذى أحبر النبي صلى الله عليه وآله بمُخْرَجِهِ مع هؤلاء البعثة هو الزُّبَيْرُ ابنُ عمته . ووالحمأ أربع لغات : حمأ مثل قفا ، وحمء مثل كمء ، وحمؤ مثل « أبو » ، وحم مثل أسير .

قوله عليه السلام : « والشبهة المندفة » أى الخفية ، وأصله المرأة تُعْدِفُ وجهها بقتاعها ، أى تستره . وروى : « المندفة » <sup>(٣)</sup> بكسر الدال ، من أَعْدَفَ الليل ، أى أظلم . وزاح الباطل ، أى تعدد وذهب ، وأراحه غيره .

وعن نصايه : عن مركزه ومقرء ، ومنه قول بعض المحدثين :

قد رجسب الحق إلى نصايه وأمت من دون الورى أولى به

والشعب ، بالتسكين : تهيج الشر ، شَبَّ الحُخْدُ بالفتح شَغْبًا ، وقد جاء بالتحريك فى

لغة ضعيفة ، وماضيها شَغِبَ ، بالكسر .

(٢) عمه الأمثال للبدينى ١ : ١٥٣ .

(١) سورة الحجر ٢٦

(٣) هى رواية مخطوطة التهجد

ولأفرطن لم حوضاً ، أى لأملان ، يقال : أفرطت الزادة أى ملائتها ، وغدير مفرط ، أى ملآن .

والناصح ، بتقطين من فوق : المستقي من فوق ، وبالياء : على الدلاء من تحت .  
والعَبّ : الشرب بلام معن كما نشرب الدابة : وفي الحديث : « الكعباء من العَبّ »<sup>(١)</sup> .

والحصى : ماء كامن في رمل يحفر عنه يستخرج ، وجمعه أحساء .



يحول عليه السلام : والله ما أكرؤا على أمرأ هو منكفر في الحقيقة ، وإنما أنكرؤا ما الحجة عليهم فيه لا هم ؛ وحلهم على ذلك الحدة وحت الاستتار بالدنيا والتفضيل في العطاء ؛ وغير ذلك مما لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يراه ولا يستجيره في الدين . قال : ولا جعلوا بيني وبينهم بضعاً ، بيني وبينهم بضعاً ، بل حرجوا عن الطاعة بقتلهم ليطلبون حقاً تركوه ، أى يطلبون أنهم يطلبون حقاً تخروهم إلى البصرة وقد تركوا الحق بالمدينة .

قال : ودما هم سفكوه ؛ بمعنى دم عثمان ؛ وكان طلحة من أشد الناس تحريصاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك .

روى أن عثمان قال : وبلى على ابن الحنظلية - بمعنى طلحة - أمطيت كذا وكذا بهاراً<sup>(٢)</sup> ذهباً ؛ وهو يروم دمي بمعرض على نفسي ؛ اللهم لا تمتعه به ولقاه عواقب بفيه<sup>(٣)</sup> .  
وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقتماً بشوب قد استتر به عن أعين الناس ، يرمى الدار بالسهم . ورووا أيضاً أنه لما امتنع على الدين

(١) النهاية لابن الأثير ١ : ٣ والكاد : وهم يكبد .

(٢) البهار : الحل ، قيل : هو ثلاثة رطل مائة .

(٣) انظر النهاية ١ : ١٠١ .

تَحَصَّرُوهُ الدَّخُولَ مِنْ بَابِ الدَّارِ، حَتَّى مَطَّلَعَهُ إِلَى دَارِ لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، فَأَصْعَدَهُ إِلَى سَطْحِهَا، وَتَوَدَّوْا مِنْهَا عَلَى عِمَّانَ دَارِهِ قَتَلُوهُ .

وَرَدُّوْا أَيْضًا أَنَّ الزَّيْبَرَ كَانَ يَقُولُ : أَقْتَلُوهُ قَدْ بَدَّلَ دِيْنَكُمْ . قَالُوا : إِنْ ابْتَكَيْتَ بِحَاكِيٍّ عَنْهُ بِالْبَابِ، قَتَلْنَا : مَا أَكْرَهَ أَنْ يَقْتُلَ عِمَّانَ وَلَوْ بَدَيْتُ بِأَبِي ! إِنْ عِمَّانَ لَجِيفَةٌ عَلَى الصَّرَاطِخَةِ .

وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمَ الْجَمَلِ : وَلَقَدْ لَا أَتْرُكُ نَارِي وَأَنَا أَرَاهُ ، وَلَأَقْتُلَنَّ طَلْعَةَ بَشَّانَ ! فَإِنَّهُ قَتَلَهُ . ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ مَا يَنْصَحُ<sup>(١)</sup> ، فَزَفَّ إِلَيْهِمْ حَتَّى مَاتَ .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِي دَمِ عِمَّانَ ! فَإِنْ لَمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، فَلَا يَجُوزُ لِي أَنْ يَظْلِمُوا بِدَمِهِ وَهُمْ شُرَكَاءُ بِهِ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي ، فَهُمْ لِلْمَطْلُوبِينَ إِذَنْ بِهِ لَا غَيْرَ .

وَأَمَّا لَمْ يَذْكُرِ الْقِسْمَ الثَّالِثَ : وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِيَّهِ دُونَهُمْ ! لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِهِ قَاتِلٌ ، فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى قَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ : أَحَدُهُمَا أَنَّ عَلِيًّا وَطَلْعَةَ وَالزَّيْبَرَ قَسَمَهُمْ لَطَخَ مِنْ عِمَّانَ ! لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ بَاشَرُوا قَتْلَهُ ؛ بَلْ بِمَعْنَى الْإِغْرَاءِ وَالْتِمَاسِ ؛ وَثَانِيهَا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّ طَلْعَةَ وَالزَّيْبَرَ غَيْرُ بَرِيْثَيْنِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلٍ لَمْ تَحْكَمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؛ يَقُولُ : إِنْ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا وَتَضَعُوا الْبَيْعَةَ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا خَرَجْنَا لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَإِظْهَارِ الْعَدْلِ وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ وَإِمَانَةِ الْبَاطِلِ ، وَأَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَحْكُمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ عَلَى غَيْرِهِ ، وَإِذَا كَانَ دَمُ عِمَّانَ قَبْلَهُمْ ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَنْكُرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ إِنْكَارِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ .

(١) لِلْأَبْنِ : مَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ الْفَضْلُ .

قال : وإن معي لهيئتي ، أي عتلي ؛ ما لبستُ على الناس أمرم ولا ليس الأمر على ، أي لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وآله على بل أوضعه لي وعرفني به .

ثم قال : وإني لفئة الباغية ؛ لام التعريف في « لفئة » تشير بأن بعضاً قد كان عنده : أنه ستخرج عليه فئة باغية ، ولم يبين له وقتها ولا كل صفاتها ، بل بعض علاماتها ، فلما خرج أصحاب الجبل ورأى تلك العلامات موجودة فيهم ؛ قال : وإني لفئة الباغية ، أي وإن هذه الفئة ، أي الفئة التي وعدت بخروجها على ، وكولا هذا لقال : « وإني لفئة باغية » ، على التذكير .

ثم ذكر بعض العلامات ، فقال : إن الأمر لو اوضح ، كل هذا يؤكد به عند نفسه وعند غيره أن هذه الجماعة هي تلك الفئة للوعود بخروجها ، وقد ذهب الباطل وزاح<sup>(١)</sup> ، وخرس لسانه بعد شفه .

ثم أقسم ليملان لم حوضاً هو مائمه ، وهذه كناية عن الحرب والميحاء وما يتبعهما من القتل والحلاك . لا يصعدون عنه يرى ، أي ليس كهدم المياض الحقيقية التي إذا وردتها الظلمات صدر عن ربي وقع عليه ، بل لا يصعدون عنه إلا وهم جزر السيف ، ولا يمتنون بعده في جنس لأنهم هلكوا ، فلا يشربون بعده البارد العذب .

وكان عمرو بن الليث الصغار أمير حراسان أخذ جيشاً لحاربة إسماعيل بن أحمد الساماني ، فانكسر ذلك الجيش وهاجروا إلى عمرو بن الليث ، فغضب وأتى القواد بكلام غليظ ، فقال له بعضهم : أيها الأمير ، إنه قد طبع لك ميرجل عظيم ، وإنا نلصق منه لُهمة<sup>(٢)</sup> بسيرة والباقي مذكور لك ، فلام تتركه اذهب إليهم فكله . فسكت عمرو ابن الليث عنه ولم يجب .

(١) زاح الأمر : ذهب .

(٢) لُهمة : الجزء اليسير .

ومرادنا من هذه الشابه والناسبه بين الكتابين .

• • •

### الأصل :

منه :

فَأَقْبَذْتُمْ إِلَى إِقْبَالِ الْعُودِ الْمَظْفِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ : الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ !  
فَبَيْعْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُهَا ، وَمَارَعْتُكُمْ بَدِي فَبَجَّذْتُهَا .  
اللَّهُمَّ إِنِّهَا فَطَمَانِي وَظَلَمَانِي ، وَكُنَّا بَيْعِي ، وَأَلَا النَّاسَ عَلَى . فَاحْلُلْ مَا حَقَّدَا ،  
وَلَا تُحْكِمْ لَهَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِيهَا لِلْسَاءَةِ فِيمَا أُمَلَّا وَهَمَلَّا وَلَقَدْ اسْتَنْبَتْنَاهَا قَبْلَ الْقِتَالِ ،  
وَاسْتَأْنَيْتُ بِهَا أُمَامَ الْوُقَاعِ ، فَصَطَا لِنُصْرَتِهَا وَرَدَّهَا الْعَاقِبَةُ .

• • •

### الشرح :

الْعُودُ : النوق الحديريات النتاج ، الواحدة عائد ، مثل حائل وحُول ، وقد يقال ذلك  
للغليل والغلباء ، ويجمع أيضاً على «عُودَان» مثل رابع ورُعيان ، وهذه عائدة بيئنة العُود ،  
وذلك إذا ولدت من قريب ، وهي في عيادها ، أي يحدثان نتاجها<sup>(١)</sup> .  
والمظفيل : جمع مظفيل ، وهي التي زال عنها اسمُ العياد ومعها حلقها ، وقد تسمى  
المظفيل عوداً إلى أن يبعد المهد بالنتاج مجازاً ؛ وعلى هذا الوجه قال أمير المؤمنين : «إقبال  
العود المظفيل» ، وإلا فلا ضمان معاً لا يجتمعان حقيقة ، وإذا زال الأول ثبت الثاني .  
قوله : «وَأَلَا النَّاسَ عَلَى» أي حرّضاً ، يقال : حسود مؤلب .

(١) في اللسان : « ويقال : هي عائدة بيئنة العُود ، إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر ، ثم هي  
مظفل » .

واستغفرتُهما ، بالثناء المعجزة بثلاث : طلبت منهما أن يتوبوا أى يرجعا ، ومعنى النزول  
مَنَابَة لأن أهله ينصرفون في أمورهم ثم يتوبون إليه ، ويروى : « ولقد استغفرتُهما » ،  
أى طلبت منهما أن يتوبوا إلى الله من ذنبيهما في هض البيمة .

واستغفرتُ بهما ، من الأناة والانتظار .

والوقاع ، بكسر الواو : مصدر واقعتهم في الحرب وقاما ، مثل نازلتهم نزالا ،  
وقاتلتهم قتالا .

وغمط فلان النعمة ، إذا حقرها وأزرى بها غمطا ، ويجوز « غمط » النعمة بالكسر  
والمصدر غير محرك ويقال : إن الكسر أصح من الفتح .

يقول عليه السلام : إياكم أقبلكم مزيه حين كما تقبل الثوب إلى أولادها ، نسألونني  
البيمة فامتنعت عليكم حتى علت اجتماعكم فيها بينكم . ثم دعا علي على طلحة والزبير  
بعد أن وصفهما بالقطيعة والنكث والتأليب عليه أن يحل الله تعالى ما عقدا ، والآ  
يحكم لهما ما أبرما ، وأن يريهما المساءة فيما أملا وعلا .

فأما الوصف لهما بما وصفهما به ، فقد صدق عليه السلام فيه ، وأما دعاؤه فاستجيب له ،  
والمساءة التي دعاها هي مساءة الدنيا لا مساءة الآخرة ، فإن الله تعالى قد وعدنا على  
لسان رسوله بالجنة ، وإنما استوجباها بالتوبة التي ينقلها أصحابنا رحمهم الله في كتبهم  
عنهما ، ولولاها لكنا من المهلكين .



(١٣٨)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام يوم فيها إلى ذكر الملاحم :

يَمُطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهَدَى ، إِذَا عَطَفُوا الْهَدَى عَلَى الْهَوَى ، وَيَمُطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ ، إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .



الشرح :

هذه إشارة إلى إمام يحتق الله تعالى في آخر الزمان ، وهو الموعود به في الأخبار والآثار ، ومعنى « يطف الهوى » يقهره ويغلبه من جانب الإثارة والإرادة ، عاملاً محلاً الهدى ، فيجعل الهدى قاهراً له ، وظاهراً عليه .

وكذلك قوله : « ويمطف الرأي على القرآن » ، أى يقهر حكم الرأي والقياس والعمل بفتنة الظن عاملاً محلاً القرآن .

وقوله : « إذا عطفوا الهدى » و « إذا عطفوا القرآن » إشارة إلى الفرق المخالفين لهذا الإمام ، المشاكين له ، الذين لا يسلمون بالهدى بل بالطوى ، ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأى .

## الأصل :

منها :

حَقِّ تَقْوَمَ الْمَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ ؛ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا ، حُلُومًا رَضَاعُهَا ، عُلُقَمًا عَاقِبَتُهَا .

أَلَا وَفِي غَدٍ - وَسَيَّانِي عَدُوٍّ يَمَّا لَا تَعْرِفُونَ - بِأَخْذِ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَعَالِيدَ كَيْدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سُلَمًا مَقَالِيدَهَا، قَدِيرُكُمْ كَيْفَ عَذْلُ السَّيْرِ ، وَبُحَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .



## الشرح :

الساقي : الشدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِي ﴾ <sup>(١)</sup> .

والتواجذ : أقصى الأضرار ، والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها ، كما أن غاية الضحك أن تبدؤ والتواجذ .

قوله : « مملوءة أخلافها » ، والأخلاف للناقة حلمات الضرع ، واحدها حلف .

وكذلك وقوله : « حلوا رضاعها » ، علقما عاقبتها « قد أخذها الشاعر » ، فقال :

الحربُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ      تَسْمَى بِزَيْنِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ <sup>(٢)</sup>

حتى إذا اشتعلت وشبَّ خُرَافُهَا      عَادَتْ مَجْزُورًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ

تَهْمَلُهُ جَزَتْ رَأْسُهَا وَتَلَكَّرَتْ      مَكْرُومَةً لَشَمِّ وَالتَّضْيِيلِ

(١) سورة الفلم ٤٢ .

(٢) نسب إلى امرئ القيس ، وهي ل ديوانه ٣٥٣ ، من ريلديت نسخة ابن النحاس .

(٣) الديوان : « حتى إذا استعرت » .

وهو الرضاع بالفتح، والماضي رَضِعَ بالكسر، مثل سَمِعَ سَمَاعًا، وأهل نجد يقولون :  
« رَضِعَ » بالفتح « يَرْضِعُ » بالكسر رَضًا، مثل ضرب يضرب ضربًا، وأشبهوا :  
وَذَمُّوا لَنَا الْيَوْمَ يَرْضِعُونَهَا أَهْلِيَّ حَتَّى مَا يَلِدَ لَهَا تَعْلُ<sup>(١)</sup>  
بكسر الضاد .

### [ فصل في الاعتراض وإيراد مثل منه ]

وقوله : « أَلَا فِي غَدِيرٍ » تمامه « يأخذ الوالى » وبين الكلام جملة اعتراضية ، وهى  
قوله : « وسبأنى غديرٌ بما لا تعرفون » وللرأى تعظيم شأن الغدير الموجود بمجيبته ؛ ومثل ذلك  
فى القرآن كثير ، نحو قوله تعالى : « فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ » وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَحْسَبُونَهُ  
عَظِيمٌ « إِنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ »<sup>(٢)</sup> ، فقوله تعالى : « إِنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ » هو الجواب  
للتلقى به قوله : « فَلَا أَقْسِمُ » ، وقد اعترض بينهما قوله : « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَحْسَبُونَهُ  
عَظِيمٌ » ، واعترض بين هذا الاعتراض وقوله « لَوْ تَحْسَبُونَهُ » ، لأنك لو حذفت لَبِثَ الكلام  
على إفادته ، وهو قوله : « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ » ، وللرأى تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع  
النجوم ، وتأكيده لإجلاله فى النفوس ؛ ولا سيما بقوله : « لَوْ تَحْسَبُونَهُ عَظِيمٌ » .

ومن ذلك قوله تعالى : « وَيَجْعَلُونَ فِيهِ النَّاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ »<sup>(٣)</sup> ،  
فقوله : « سُبْحَانَهُ » اعتراض ، وللرأى التعزیه . وكذلك قوله : « تَأْتِيهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَمَاجِنًا  
لِنُفُوسٍ فِي الْأَرْضِ » ، فـ « لَقَدْ عَلِمْتُمْ » اعتراض ؛ والمراد به تقرير إتيان البراءة من تهمة السرقة .  
وكذلك قوله : « وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ سَأَفُوتُكُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ - قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ  
مُنْذِرٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » .

(١) اللسان ٩ : ٤٨٤ ، ونسبه إلى ابن هشام اللؤلؤ .

(٢) سورة الواقعة ٧٥ - ٧٧ .

(٣) سورة النحل ٥٧ .

مَقَرَّ<sup>(١)</sup> «اعترض بين « إذا » وجوابها بقوله : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ » ، فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم ؛ فجعل الجواب اعتراضا .

ومن ذلك قوله : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي هَامَيْنٍ - أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ »<sup>(٢)</sup> «اعترض بقوله : « حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي هَامَيْنٍ » بين « وصينا » وبين اللومى به ؛ وقائدة ذلك إذ كَارُ الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفضاله .

ومن ذلك قوله : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »<sup>(٣)</sup> « قلنا أضربوه بِمَقْعِهِمْ »<sup>(٤)</sup> قوله : « وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » اعتراض بين المطوف والمطوف عليه ، والمراد أن يقرَّر في أنفس السامعين أنه لا ينفع البشر كتمانهم وإخفاؤهم لما يريد الله إظهاره .

ومن الاعتراض في الشعر قول جرير :

وَلَقَدْ أَرَانِي سِرَ الْجَدِيدِ إِلَى يَلَى - فِي مَوَكِبٍ يَبْضُ الْوَجْوهُ كِرَامٍ<sup>(٥)</sup>

فقوله : « والجديد إلى يلى » اعتراض ، والمراد تمزيقه نفسه عما مضى من تلك الذات .

وكذلك قول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - رَأَوْكَ تَعْلَمُوا مِنْكَ الْإِطْلَالَ<sup>(٦)</sup>

فقوله : « وأنت منهم » اعتراض ؛ وقائده ألا تظن أنها ليست باخلة .

(١) سورة النحل ١٠١ .

(٢) سورة لقمان ١٤ .

(٣) سورة القرة ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) ديوانه ٥٥١ ، والرواية فيه : « في قبة طرف الحديث كرام » .

(٥) ديوانه ١ : ١٥١ .

ومن ذلك قول الشاعر (١) :

فلو سألت سَرَآةَ الْحَيِّ سَلْتِي      هل أن قد تَلَوْتُ في رَمَائِي (٢)  
 نَحْبَهَا ذَوُو أَحْسَابٍ قَوْمِي      وأعدائي فكلُّ قد بَلَّأِي  
 يَذْبَنُ الذَّمَّ من حَسْبِي وَمَالِي      وَزَيُّونَاتِ أَشْوَسَ تَيْجَانِي (٣)  
 وَإِنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ      إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ بِحَنِّ جَانِي

فقوله :

• هل أن قد تَلَوْتُ في رَمَائِي •

اعتراض، وفائدته الإخبار عن أن السن قد أخذت منه وتغيرت بطول السر أو صافه.  
 ومن ذلك قول أبي تمام :

رَدَدْتُ رَوْنَقَ وَجْهِ فِي صَهْبِهِ      رَدَّ الصَّفَالِ سَاءَ الصَّارِمِ الْخَلِيمِ (٤)  
 وَمَا أَهْلِي - وَخَسِيرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ -      حَقَّتْ لِي مَا وَجْهِ أَمْ حَقَّتْ دُمِي

فقوله : « وخسر القول أصدق » اعتراض، وفائدته إثبات صدقه في دعواه أنه لا يبالى  
 أيهما حق .

فأما قول أبي تمام أيضا :

وإن أَلَيْقَى لِي إِنْ لَخِطَّتْ مَطَالِي      من الشَّعْر - إِلَّا فِي مَدِيحِكَ - أَطْوَعُ (٥)  
 فإن الاعتراض فيه هو قوله : « إِلَّا فِي مَدِيحِكَ » وليس قوله : « إِنْ لَخِطَّتْ مَطَالِي »  
 اعتراضاً كما زعم ابن الأثير الموصل (٦)، لأن فائدة البيت معقبة عليه، لأنه لا يريد أن النفي

(١) لسوار بن الضرب الحمدي - ديوان الحماصة بشرح للرزوقي ١ : ١٣٠ .

(٢) سرآة القوم : خيارهم .

(٣) زيونات : من الزين ، وهو الدفع ، والتيجان : العريض للقدم .

(٤) ديوانه ٣ : ٢١٨ . والخفم : السرج القطع .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٣٣ .

(٦) للثلث السائر ٢ : ١٨٨ .

لى على كل حال أطوع من الشر ، وكيف يريد هذا وهو كلام فاسد مختل ! بل مراده  
أن النفي لى بشرط أن تلحظ مطالبي من الشر أطوع لى ؛ إلا فى مديحك ، فإن الشر  
فى مديحك أطوع لى منه ، وإذا كانت الفائدة معقنة بالشرط المذكور لم يكن اعتراضا .  
وكذلك وم ابن الأثير<sup>(١)</sup> أضاف قول امرئ القيس :

فلو أن ما أمتى لأدى مبعثي كفانى ولم أطلب قليل من اللال<sup>(٢)</sup>  
ولكىما أمتى لجهد مؤثلي وقد يدرك الهد المؤثل أمثالي

فقال : إن قوله : « ولم أطلب » اعتراض ؛ وليس بصحيح ، لأن فائدة البيت  
مرتبطة به : وتقديره : لو سميت لأن آكل وأشرب لكفانى القليل ، ولم أطلب  
المالك ؛ فكيف يكون قوله : ولم أطلب الملك اعتراضا ، ومن شأن الاعتراض أن يكون  
فضة ترد لصعين وتكلمة ، وليست فائدته أصلية !

وقد باني الاعتراض ولا فائدة فيه ؛ وهو غير مستحسن ، نحو قول الذابمة :

بقول رجال يحملون حليقتي لعل زياداً - لا أبالك - غافل<sup>(٣)</sup>

فقوله : « لا أبالك » ، اعتراض لا معنى تحته ها هنا ، ومثله قول زهير :

سمنت تكاليف الحياة ومن بشى ثمانين حولا - لا أبالك - يسأم<sup>(٤)</sup>

فإن جاءت « لا أبالك » تعطى معنى يليق بالوضع فهي اعتراض جيد ، نحو قول

أبي تمام :

• عتابك عني - لا أبالك - واقصدي •

فإنه أراد زجرها وضمها لما أسرفت فى عتابه .

(١) الثل السائر ٢ : ١٨٦ .

(٢) ديوانه ٣٩ .

(٣) ديوانه ٢٩ .

ديوانه ٦١ .

وقد يأتي الاعتراض على غاية من القبح والاستهجان ، وهو على سبيل التقديم والتأخير ، نحو قول الشاعر :

قَدْ وَالشُّكُّ بَيْنَ لِي عَنَسَاءِ    يَوْشِكُ قِرَاقِيهِمْ صُرْدٌ فَصِيحٌ <sup>(١)</sup>

تقديره : : قد بين لي صُرْدٌ يصيح يوشك فراقهم ، والشك هناك ، فلاجل قوله : « والشك هناك » بين « قد » والفعل الماضي ؛ وهو « بين » عند اعتراضا مستهجانا .  
وأمثال هذا للعرب كثير .

قوله عليه السلام : « يأخذ الوالي من غيرها عتالها على مساوي أعمالها » كلام منقطع مما قبله ، وقد كان تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وإمارة ، فذكر عليه السلام أن الوالي - يعني الإمام الذي يحلفه الله تعالى في آخر الرمان - يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم . وعلى ما هنا متعلقة بـ « يأخذ » التي هي بمعنى « يؤاخذ » من قولك : أخذته بذنبه ، وآخذته ، والهمز أفصح .

والأفاليذ : جمع أفلاذ ، وأفلاذ جمع قلند ، وهي القطعة من الكبد ، وهذا كناية عن السكروز التي تظهر للقائم بالأمور . وقد جاء ذكر ذلك في خبر مرفوع في لفظة .  
« وقامت له الأرض أفلاذ كبدها » ، وقد فسر قوله تعالى : ( وَأُحْرِقَتِ الْأَرْضُ أَتْقَالًا ) <sup>(٢)</sup> ذلك في بعض التفسير والمقالب : المفاتيح .

• • •

الأصل

منها :

كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَمَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَبَائِيهِ فِي صَوَاحِي كُوفَانِ ، فَمَطَفَ عَلَيْهَا عَطَفَ الضُّرُوسِ ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِأَرْؤُوسِ . قَدْ فَعَرَّتْ فَأَعْرَتُهُ ، وَتَقَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، بِعِمْدَ أَجْلُوتَةٍ ، عَظِيمِ الصُّوْلَةِ .

وَأَلَّهُ لِيَشْرَدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُفْلِ فِي  
الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوتَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَخْلَامِهَا .  
فَالْزَمُوا الشَّتَنَ الْفَائِئِمَةَ ، وَالْآثَارَ الْبَيْتَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّشُوءِ ،  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسْتِي لَكُمْ طَرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ .

• • •

### الْبَيْتُ :

هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق ،  
وما قتل من العرب فيها أبلى عبد الرحمن بن الأشعث ، وقتله أيام مصعب بن الزبير .  
وسق الرعى نفسه ، والعين للمهمة ، وتلقى الغراب بالعين المعجزة . ونقص برأيه  
هاهنا : مفعول محذوف تقديره : ونقص الناس برأيه ، أى نعام وقلبيهم يمينا وشمالا .  
وكوفان : اسم الكوفة . وصواحيها : ما قرب منها من القرى . والضروس : الناقة  
السيئة الخلق تسمى حالها ، قال بشر بن أبى حازم :  
عَطَفْنَا أُمَّهُمْ عَطَفَ الصُّرُوسِ مِنَ اللَّأْ شَهْبَاءَ لَا يَمْشِي الصَّرَاءُ رَقِيبُهُمَا (١)  
وقوله : « ومرش الأرض بالروس » : عطأها بها كما يعضى المكان بالفراس .  
ومرت فاعرته : كأنه يقول : فتح فاه ؛ والكلام استعارة ، وفمر « فمل » يمتدى ولا  
يتمدى . وثقلت في الأرض وطأته ، كناية عن الجور والظلم .  
بعيد الجولة : استعارة أيضا ؛ والمعنى أن تطواف خيوله وجيوشه في البلاد ، أو جَوْلَانِ  
رجالها في الحرب على الأقران طويل جدا لا يتمقه السكون إلا نادرا .  
وبعيد مصوب على الحال ، وإصاحته غير مخصصة .

(١) اللسان ٩ : ٤٦٤ ، ديوانه ١٥



وعواذب أحلامها : مذهب من عقولها ، عزب عنه الرأي ، أى بعد .  
ويستى لكم طرقه ، أى يسهل . والعقب ، بكسر القاف : مؤخر القدم ،  
وهى مؤنثة .

فإن قلت : فإن قوله : « حتى تؤوب » يدل على أن غاية ملكه أن تؤوب إلى العرب  
عواذب أحلامها ، وعبد الملك مات في ملكه ولم يزل الملك عنه بأوثة أحلام العرب إليها  
فإن فائدة « حتى » إلى : وهى موضوعة لغاية .

قلت : إن ملك أولاده ملكه أيضا ، ومزال الملك عن بني مروان حتى آتت إلى العرب  
عواذب أحلامها ، والعرب هاهنا : شو العباس ومن اتبعهم من العرب أيام ظهور الدولة ،  
كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه : حميد والحسن ، وكثيري رزقي ، بتقديم الراء المهملة ، الذين  
مهم طاهر بن الحسين وإسحاق بن إبراهيم المصمعي ، وعدادم في خراة وغيرهم من العرب  
من شيعة بني العباس . وقد قيل : لأن أبا مسلم أبضا عزى أصله ، وكل هؤلاء ، وآفاتهم  
كانوا مستضعفين مقهورين مسمورين في دولة بني أمية ، لم يمسهم منهم ناهص ، ولا وئب إلى الملك  
وائب ، إلى أن أفاء الله تعالى إلى هؤلاء ما كان عزب عنهم من إبانهم وحميتهم ، فثاروا  
للدين والمسلمين من جور بني مروان وظلمهم ، وقاموا بالأمر ، وأزالوا تلك الدولة التي كرهها  
الله تعالى ، وأذن في انتقامها .

ثم أمرهم عليه السلام بأن يلزموا بمد روال تلك الدولة الكتاب والسنة ، والعهد  
القريب الذي عليه باقى النبوة - يعنى هذه وأيامه عليه السلام . وكأنه خاف من أن يكون  
بإخباره لم بأن دولة هذا الجبار ستقصى إذا آتت إلى العرب عواذب أحلامها ، كالأمر لم  
باتباع ولاية الدولة الجديدة في كل ما نفعه ، فاستظهر عليهم هذه الوصية ، وقال لهم : إذا ابتذلت  
الدولة ، فالزموا الكتاب والسنة ، والعهد الذي فارقتكم عليه .

(١٣٩)

## الأصل

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى :

لَنْ يُسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ، وَصِلَةٍ رَحِيمٍ، وَعَائِدَةٍ كَرِيمٍ؛ فَأَسْمَعُوا قَوْلِي،  
وَعُوا مَنَظِقِي. حَتَّى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْيَوْمِ؛ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ،  
وَتُخَانُ فِيهِ الْهُودُ، حَتَّى يَكُونَ تَعَضُّكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الصَّلَاةِ، وَشَيْمَةً لِأَهْلِ  
الصَّالَةِ.



## الشرح :

هذا من حلة كلام قاله عليه السلام لأهل الشورى بعد وفاة عمر .

[ من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان ]

وقد ذكرنا من حديث الشورى بما تقدم مافيه كفاية ؛ وعن نذكر هاهنا ما لم نذكره  
هناك ، وهو من رواية عوانة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي في كتاب " الشورى " ،  
و " مقتل عثمان " . وقد رواه أيضا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز العوهري في زيادات  
كتاب " السقيفة " ، قال :

لما طعن عمرُ جميل الأمرِ شورى بين ستة مر : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ،  
وعبد الرحمن بن عوف ، والزيبر بن العوام ، وطبعة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك ؛ وكان  
( ١ - نهج ٩ )

طلعة يومئذ بالشام ، وقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عن هؤلاء راضٍ ؛ فهم أحق بهذا الأمر من غيرهم ، وأوصى شبيب بن مثنان ، مولى عبد الله بن جُدعان - ويقال : إن أصله من حمى من ربيعة بن زرار ، يقال لهم عَنَزَة - فأمره أن يصقّ بالناس حتى يرشّ هؤلاء القوم رجلاً منهم ، وكان عمر لا يشك أن هذا الأمر صائر إلى أحد الرجلين : عليّ وعثمان ، وقال : إن قدم طلعة فهو معهم ، وإلا فلتحتز الحصة واحدا منها . وروى أن عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشورى ، وقال : الأمر في هؤلاء الأربعة ، ودعوا سعداً على حاله أميراً بين يدي الإمام . ثم قال : ولو كان أبو عبيدة ابن الجراح حيّاً لما تخالفتني فيه الشوك ، فإن اجتمع ثلاثة على واحد ، فكوموا مع الثلاثة ، وإن اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبد الرحمن

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة ، فوالله لعلنا أعز الله بكم الدين ، ونصركم الإسلام ؛ اختر من المسلمين حسين رجلاً ، فانتهم هؤلاء القوم في كل يوم مرة ، فاستحيئهم حتى يختاروا لأنفسهم وللأمة رجلاً منهم .

ثم جمع قوماً من المهاجرين والأنصار - فأعلمهم ما أوصى به ، وكتب في وصيته أن يولي الإمام سعد بن مالك الكوفة ، وأياموسى الأشعري ، لأنه كان عزل سعداً عن منخطة فأحب أن يطلب ذلك إلى من يقوم بالأمر من بعده استرضاء لسد .

قال الشعبي : لحدثني من لا أتهمه من الأنصار - وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهري : هو سهل بن سعد الأنصاري - قال : مشيت وراء عليّ بن أبي طالب حيث انصرف من عند عمر ، والعباس بن عبد المطلب يمشي في جابه ، فسمعت يقول للعباس : ذهبت منّا والله ! فقال : كيف علمت ؟ قال : ألا تسمعه يقول : كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن ، لأنه ابن عمه ، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره ، فإذا اجتمع هؤلاء افلوا الرجلين

الباقيين كانوا معي لم يغنيا عني شيئا ، مع أني لست أرجو إلا أحدهما ، ومع ذلك فقد أحبه  
عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنده فضلا علينا . لعمرُ الله ما جعل الله ذلك لهم علينا ،  
كما لم يجعله لأولادهم على أولادنا . أما والله لئن عمر لم يمت لأذكرته ما أتى إلينا قديما ، ولأعلمته  
سوء رأيه فينا ، وما أتى إلينا حديثا ؛ ولئن مات - ولجوتن - ليحتسبن هؤلاء القوم على  
أن يصرفوا هذا الأمر عنا ؛ ولئن فعلوها - وليفعلن - ليرويني حيث يكرهون ؛ والله ما بي  
رغبة في السلطان ، ولا حبة الدنيا ؛ ولكن لإظهار العدل ، والقيام بالكتاب والسنة .

قال : ثم التفت فرآني ورائه ، فمرفت أنه قد ساء ذلك ، فقلت : لا ترع أباحسن !  
لا والله لا يستمع أحد الذي سمعت منك في الدنيا ما اصطعبت فيها ؛ فوالله ما سمعته مني  
مخلوق حتى قبض الله عليا إلى رحمة .

قال عوانة : فحدثنا إسماعيل ، قال السجستاني الشامي ، قال : فلما مات عمر ، وأدرج  
في أكفانه ، ثم وُضِع ليصلى عليه ، تقدم عليّ من أتى طالب ، فقام عند رأسه ، وتقدم  
عمران فقام عند رجله ، فقال عليّ عليه السلام : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة ، فقال  
عمران : بل هكذا ، فقال عبد الرحمن : ما أسرع ما اختلفتم يا ضهيّيب ، صل قلى عمر  
كما رضيت أن تصلى بهم المكتومة ، فتقدم ضهيّيب فصلى قلى عمر .

قال الشعبي : وأدخل أهل الشورى دارا ، فأقبلوا يتعادلون عليها ، وكلهم بها صنين ،  
وعليها حريص ؛ إما لدنيا وإما لآخرة ، فما عدل ذلك قال عبد الرحمن : من رجل منكم  
يخرج نفسه عن هذا الأمر ، ويختار لهذه الأمة رجلا منكم ، فإني طيبة نفسي أن أخرج منها ،  
وأحتار لكم ؟ قالوا : قد رصينا ؛ إلا عليّ بن أبي طالب فإنه اتهمه وقال : أنظر وأرى .  
فأقبل أبو طلحة عليه ، وقال : يا أبا الحسن ، ارض برأى عبد الرحمن ، كان الأمر لك  
أو لغيرك ، فقال عليّ : أعطني يا عبد الرحمن موثقا من الله لا تؤثر الحق ، ولا تنفع الهوى ،

ولا تَمِيلُ إِلَى صِهْرٍ وَلَا ذِي قَرَابَةٍ ، وَلَا تَمْلِكُ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا تَأْلُو هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ تَخْتَارَ  
لَهَا خَيْرَهَا .

قال : خلف له عبدالرحمن بالله الذي لا إله إلا هو ، لأجتهدن لنفسى وللمسلم وللأمة ،  
ولا أميلُ إلى هوى ولا إلى صهر ولا ذى قرابة .

قال : تفرج عبدالرحمن ، فكث ثلاثة أيام بشاور الناس ، ثم رجع واجتمع الناس ،  
وكثروا على الباب لا يشكون أنه يبائع على بن أبي طالب ، وكان هوى قريش كافة  
ماعدا بنى هاشم فى عمان ، وهوى طائفة من الأنصار مع على وهوى طائفة أخرى مع  
عثمان ؛ وهى أقل الطائفتين ، وطائفة لا يبالون : أيهما يبيع .

قال : فأقبل المقداد بن عمرو ؛ والناس محتمون ، فقال : أيها الناس ؛ اسمعوا ما أقول ،  
أنا المقداد بن عمرو ؛ إنكم إن بايعتم عليا سمعنا وأطعنا ، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ؛  
فقام عبد الله بن أبي ربيعة بن الخيرة المخزومي فنادى : أيها الناس ، إنكم إن بايعتم  
عثمان سمعنا وأطعنا ، وإن بايعتم عليا سمعنا وعصينا . فقال له المقداد : يا عدو الله وعدو رسوله  
وعدو كتابه ، ومتى كان مثلك بسمع الصالحون ؟ فقال له عبد الله : يا بن الحليف  
المسيوف <sup>(١)</sup> ، ومتى كان مثلك يحترى على الله حول في أمر قريش ؟

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : أيها الملا ؛ إن أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها ،  
فبايعوا عثمان ؛ فقال عمار بن ياسر : إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا ؛  
ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فقال : يا فاسق يا بن الفاسق ، أنت بمن يستنصحه  
المسلمون ، أو يستشيرونه في أمورهم ؟ وارتفعت الأصوات ، ونادى مناد لا بدري من هوا  
- قريش تزعم أنه رجل من بني محزوم ، والأنصار تزعم أنه رجل طوال آدم مشرف على  
الناس - لا يعرفه أحد منهم : يا عبد الرحمن ، افرغ من أمرك ، وامض على ما في نفسك  
فإنه الصواب .

(١) السيف : المهاجرون .

قال الشعبي : فأقبل عبد الرحمن عليّ بن أبي طالب ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه ، وأشدّ ما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق : إن بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة أبي بكر وعمر ! فقال عليّ عليه السلام : طائفي ومبلغ عليّ وجه رأيي ؛ والناس يسمعون .

فأقبل عليّ عثمان ، فقال له مثل ذلك ، فقال : نعم لا أزولّ عنه ولا أدع شيئاً منه . ثم أقبل عليّ بن أبي طالب فقال له ذلك ثلاث مرات ، ولعثمان ثلاث مرات ، في كل ذلك يجيب عليّ مثل ما كان أجاب به ، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به .

فقال : اسط يدك يا عثمان ، فبسط يده فبايعه ، وقام القوم فخرجوا ؛ وقد بايعوا إلا عليّ بن أبي طالب ، فإنه لم يبايع .

قال : تفرج عثمان عليّ الناس ووجهه متهاطل ، وخرج عليّ وهو كاسف البهال مظلم ؛ وهو يقول : يا ابن عوف ؛ ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم علينا من دفيننا عن حقنا والاستئثار علينا ؛ وإنها لسنة علينا ، وطريقة تركتموها .

فقال الخيرة بن شمعة لمعثمان : أما والله لو يبيع غيره غيرك لما بايعناه ؛ فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت ؛ والله لو يبيع غيره لبايته ؛ وما أنت وذاك يا ابن الدبابة ؛ والله لو وليها غيره لقلت له مثل ماقلت الآن ، تهربا إليه وطعما في الدنيا ، فلاذهب لا أبالك ! .

فقال الخيرة : لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ماكره . ومضيا .

قال الشعبي ، فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى استلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أمية ، تلقفوها تلقف الكرة ؛ فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة !

قال : فانتهره عثمان ، وسامه بما قال ، وأمر بإخراجه .

قال الشعبي : فدخل عبد الرحمن بن عوف على عثمان ، فقال له : ما صنعت ؟ فوالله ما وفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر ، فتعبد الله وتثني عليه ، وتأسر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، ونمذ الناس خيراً .

قال : فخرج عثمان ، فصعد المنبر ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا مقام لم تكن تقومه ، ولم نمذ له من الكلام الذي يقام به في مثله ، وسأعتي ذلك إن شاء الله ، ولن آلو أمة محمد خيراً ، والله السمعان .  
ثم نزل .

• • •

قال عروة : حدثني يزيد بن جرير ، عن الشعبي ، عن شقيق بن مسعدة ، أن علي بن أبي طالب ، لما انصرف إلى رحله ، قال لبي أبيه : يا بني عبد المطلب ، إن قوةكم مادونكم بعد وفاة النبي كمداتهم النبي في حياته ، وإن يطع قومكم لا تؤمروا أداً ، والله لا يبيب هؤلاء إلى الحق إلا بالسيف .

قال : وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، داخل إليهم ، قد سمع الكلام كله فدخل ، وقال : يا أبا الحسن ، أتريد أن تضرب ناصيتهم بهم ؟ فقال : اسكت ويحك ! فوالله لو لا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ، ما نارعي ابن عفاة ولا ابن عوف . فقام عبد الله فخرج .

قال : وأكثر الناس في أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر ، وقتله إياه ، وباع ما قال فيه علي بن أبي طالب فقام عثمان فصعد المنبر ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه كان من قصاء الله أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان ، وهو رجل من

المسلمين ، وليس له وارث إلا الله والمسلمون ؛ وأنا إمامكم وقد عفوت ، أضعفون عن  
 صيد الله ابن خفيتمكم بالأمس ؟ قالوا : نعم ، ففعا عنه ، فلما بلغ ذلك علياً نصاحك ، وقال :  
 سبعان الله لقد بدأ بهاعثمان ! أيعفون حق امرئ ليس بواليه ! تالله إن هذا هو المعجب !  
 قالوا : فكان ذلك أول ما بدا من عثمان مما يقيم عليه

قال الشعبي : وخرج القناد من المد ، فلقى عبد الرحمن بن عوف ، فأخذ بيده ، وقال :  
 إن كنت أردت بما صنعت وجه الله ، فأنا بك الله ثواب الدنيا والآخرة ، وإن كنت  
 إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك . فقال عبد الرحمن : اسمع ، رحلك الله ، اسمع ! قال :  
 لا اسمع والله ؛ وجذب يده من يده ، ومضى حتى دخل على علي عليه السلام ، فقال : قم  
 فقاتل حتى نقاتل معك ، قال علي : فبسن أقاتل ورحمك الله ! وأقبل عتار بن ياسر ينادى :

يا ناعمي الإسلام قم قاتلي قد علمتُ حرفٌ وبدانكُرُ

أما والله لو أن لي أهواً لقاتلتهم ، والله لئن قاتلتهم واحداً لا كوتن له ثانياً . فقال علي :  
 يا أبا الليثان ؛ والله لا أجيد عليهم أهواً ، ولا أحب أن أمرُكم إلا تطيقون . وبقي عليه  
 السلام في داره ، وعندده نمر من أهل بيته ؛ وليس بدخل إليه أحد بخافة عثمان .

قال الشعبي : واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلهم واحدة على من لم يبايع ،  
 ضاموا إلى علي ، فقالوا : قم فبايع عثمان ، قال : فإن لم أفعل ، قالوا : عاهدك ، قال : فمشى إلى  
 عثمان حتى بابته ؛ وهو يقول : صدق الله ورسوله . فلما بايع أتاه عبد الرحمن بن عوف ،  
 فاعتذر إليه ؛ وقال : إن عثمان أعطانا يده ويمينه ، ولم تفعل أنت ، فأحببت أن أتوثق  
 للمسلمين ، فجعلتها فيه ، فقال : يسها عليك إنما آثرته بها لتألفها بعده ، دق الله يشكها  
 عطر منشم<sup>(١)</sup> .

(١) منشم : امرأة عطسارة من خراصة ؛ فتطاف قوم بأدحلوها أيديهم و عطرها على أن يغاثوا حتى  
 يموتوا ؛ فصرّب ذلك مثلاً لشدة الأمر .



قال الشعبي : وقدم طلحة من الشام بعد ما بويج عُمَان ، فقيل له : رد هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك ؛ فقال : والله لو بايستم شرًّاكم لرُضيتُ ، فكيف وقد بايستم خيركم اقال : ثم قدّا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه ، ثم رعا أنها بطلبان بدمه .

قال الشعبي : فأما ما يذكرونه الناس من المناشدة ، وقول علي عليه السلام لأهل الشورى : أفياكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ؛ فإنه لم يكن يوم البيعة ، وإنما كان بعد ذلك بقليل ؛ دخل علي عليه السلام على عُمَان وعنده جماعة من الناس ، منهم أهل الشورى ، وقد كان بلغه عنهم هتاتٌ وقولارصٌ ، فقال لهم : أفياكم أفياكم ! كل ذلك يقولون لا ، قال : لكنني أخبركم عن أنفسكم ؛ أما أنت يا عُمَان ففرت يوم حُنين ، وتوليت يوم التقي الجمعان ، وأما أنت يا طلحة فقتلت : إن ماتت محمد لتركضن بين خلاخيل نساءه كاركض بين خلاخيل نساءنا ، وأما أنت يا عبد الرحمن ، صاحب قراريط ، وأما أنت يا سعد فتدق من أن تذكر .

قال : ثم خرج فقال عُمَان : أما كان فيكم أحد يردّ عليه ؟ قالوا : وما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين ؟ وخرتوا .

• • •

قال عوانة : قال إسماعيل : قال الشعبي : لحدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدي ، قال : كنت جالساً بالمدينة حيث بويج عُمَان ، فبعثت فجلست إلى القداد بن عمرو ؛ فسمعت يقول : والله ما رأيت مثل ما آتني إلى أهل هذا البيت أو كان عبد الرحمن بن عوف جالساً ، فقال : وما أنت وذاك يا قداد ؟ قال القداد : إني والله أحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنني لأعجب من قريش وتطاؤهم على الناس بفضل رسول الله ، ثم انتزعهم سلطانه من أهل . قال عبد الرحمن : أما والله لقد أجهدت نفسي

لَكُمْ . قال القداد : أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرُونَ بالحق وبه يعدُّون !  
أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتلى إيام بيدر وأُحد . فقال عبد الرحمن :  
تكلتُك أمك ؛ لا يسه من هذا الكلام الناس ، فإن أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة .  
قال القداد : إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة ؛ ولكن  
من أقسم الناس في الباطل ، وأثر الهوى على الحق ، فذلك صاحب الفتنة والفرقة .  
قال : فترد وجه عبد الرحمن ، ثم قال : لو أعلم أمك إبلى نفي لكان لي  
وذلك شأن .

قال القداد : إبلى تهدد ابن أم عبد الرحمن ! ثم قام عن عبد الرحمن ، فانصرف .  
قال جندب بن عبد الله : فأنتمت ، وقت له : يا عبد الله ، أنا من أعوانك ، فقال :  
رحمك الله ! إن هذا الأمر لا ينفي فيه الرجلان ولا الثلاثة ؛ قال : فدخلت من فوري  
ذلك على علي عليه السلام ، فما جلست إليه قلت : يا أبا الحسن ، والله ما أصاب قومك  
بصرف هذا الأمر عنك ، فقال : خير حيل والله لكتمان .

قلت : والله إنك لاصبور ! قال : فإن لم أصبر فماذا أصنع ؟ قلت : إني جلست إلى  
القداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن ن عوف ، فقالا كذا وكذا ، ثم قام القداد فاتبعه ،  
قلت له كذا ، فقال لي كذا . فقال علي عليه السلام : لقد صدق القداد ، فما أصنع ؟  
قلت : تقوم في الناس فتدعوم إلى نفسك ، وتخبرهم أمك أول بالنبي صلى الله  
عليه وسلم ، وتسألم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك ، فإن أجابك عشرة من مائة  
شددت بهم على الباقيين ، فإن دانوا لك فذاك ، وإلا قاتلتهم وكنت أولى بالعدو ؛  
فقلت أو ضيت ، وكنت أغلى عند الله حجة .

قال : أترجو يا جندب أن يبايعني من كل عشرة واحد ؟ قلت أرجو ذلك ، قال :  
لكني لا أرجو ذلك ، لا والله ولا من المائة واحد ، وسأخبرك ؛ إن الناس إنما ينظرون

إلى قريش فيقولون : هم قوم محمد وقييله . وأما قريش بينها فيقول : إن آل محمد يروون لهم على الناس بنبوته فضلا ، ويروون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش ، ودون غيرهم من الناس ، وهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا ؛ ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها ؛ لا والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبدا !

فقلت : جعلت فداك يا بن عم رسول الله ! لقد صدعت قلبي بهذا القول ، أفلا أرجع إلى مصر ، فأوذِن الناس بمقاتلتك ، وأدعو الناس إليك ؟ فقال : يا جندب أيس هذا زمان ذاك .

قال : فانسرفت إلى العراق ، فكنت أذكر فضل عليّ على الناس فلا أعدم رجلا يقول لي ما أكره ، وأحسن ما أسمعه قول من يقول : دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك ؛ فأقول : إن هذا مما يتقضى وينفعك ، فيقوم عليّ ويدعني .

وراد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري : حتى رُفِعَ ذلك من قول إلى الوليد ابن عتبة ، أيام ولينا فبعث إلى نجدي حتى كلم في ، فقل سبيلي .

وروى الجوهري ، قال : نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم : يا معشر المسلمين ، إنا قد كُنّا ، ما كنّا نستطيع الكلام ، قلّة ودلة ، فأهزنا الله بدينه ، وأكرمنا برسوله ، فالحمد لله رب العالمين يا معشر قريش ، إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت عبيكم ! تحولونه ها هنا مرة ، وها هنا مرة ! ما أبا آمن أن يهزعه الله منكم ويضعه في غيركم ، كما زعموه من أهله ووضعوه في غير أهله !

فقال له هاشم بن الوليد بن الأميرة : يا بن ممية ، لقد عدّدت طورك وما عرفت قدرك ؛ ما أنت وما رأت قريش لأنفسها ! إنك لست في شيء من أمرها وإماراتها ، فتدع عنها . وتكلمت قريش بأجمعها ، فصاحوا بصار واشتهروه ؛ فقال : الحمد لله رب العالمين ؛ ما زال أعوان الحق أدلاء ! ثم قام فانصرف .

( ١٤٠ )

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس :

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصَّةِ وَالْمُنُوعِ الْيَوْمِ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْجُمُوا أَهْلَ  
الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ الْعَالِيَةِ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ،  
فَكَيْفَ بِالْعَالِيَةِ الَّتِي عَابَ أَحَادُ ، وَعَبَّرَهُ بِبَلَوَاهُ . أَمَّا ذِكْرُ مَوْضِعِ سِتْرِ اللَّهِ  
عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الذَّنْبِ الَّتِي هَابَهُ بِهِ ! وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ  
قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ! إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الذَّنْبُ بِعَوْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا  
يُؤَاهُ ؛ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ .

وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ ، لَجَرَّأَتْهُ عَلَى  
عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرَ .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَمَّا هُوَ مَعْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى  
نَفْسِكَ مَغْفِرَةَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَمَّا لَكَ مُعَذِّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ عَنْ عَيْمٍ مِنْكُمْ  
عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا بَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ هَئِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ  
بِمَا أَتَى غَيْرُهُ بِهِ .

• • •

الْبَرْج :

ليس في هذا الفصل من غريب اللغة ما شرح .

## [ أقوال مأثورة في ذم الغيبة والاستماع إلى المفتابين ]

ونحن نذكر مما ورد في الغيبة لَمَّا مَلَمَّا عَلَى عَادَتِنَا فِي ذِكْرِ الشَّيْءِ عِنْدَ مَرُورِنَا عَلَى مَا بِهِ تَقْضِيهِ وَبِمُتَدْعِيهِ .

وقد ورد في الكتاب العزيز ذم الغيبة : قَالَ مِيعَاهُ : ﴿ وَلَا يَنْتَبِهُ لَكُمْ أَنْصَابٌ ﴾ (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَهَاغُصُوا وَلَا يَنْتَبِهُ لَكُمْ نَصُوحٌ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وروى جابر وأبو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّا كُمُ وَالْمِيبَةُ ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا ، إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي مَهْتَبُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْمِيبَةِ لَا يُفْقَرُ لَهُ حَقٌّ بِفَقْرِهِ صَاحِبُهُ » .

وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « سَمِعْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، فَرَأَيْتُ قَوْمًا يَخْيِشُونَ وَهُمْ قَوْمٌ بِأَخْلَافِهِمْ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَابَعُونَ النَّاسَ » .  
وفي حديث سلمان ، قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي خَيْرًا يَقْمَنِي اللَّهُ بِهِ ، قَالَ : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أُرْفَضَتْ مِنْ دَلُوكَ فِي إِيَاءِ الْمُسْتَقِي ، وَالْقَوَّاحِ يَشِيرُ حَسَنٌ ، وَلَا تَغْتَابَهُ إِذَا أَدِيرَ » .

وفي حديث العلاء بن عازب : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ أَسْمَعَ الْمَوَاتِقَ فِي بَيْتِهِمْ ، فَقَالَ : « أَلَا لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوَارِيهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْصَحْهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » .

وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم صوم : « إن فلانة وفلانة كانتا تأكلان كلان اليوم شحم امرأة مسلمة - يعني النخبة - فمرهما فليبتئيا ، فقامت كل واحدة منهما علقة دم » <sup>(١)</sup> .

وفي الصحيح المصحح عليها أنه عليه السلام مرّ بقبرين جديدين ، فقال : إني ليمدّ بان وما يمدّ بان بكبير ؛ أما أحدهما ؛ فكان يمتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يتزّم من البول ؛ ودعا بحريضة رطبة فكسرها اثنتين - أو قال : دعا بحريضتين - ثم غرسهما في القبرين - وقال : « أما إنه سيُهون من عذابهما مادامت رطبتين » .

وفي حديث ابن عباس أن راجلين من أصحابه اغتابا محصرتة رجلاً ، وهو يمشى عليه السلام ، وهما يمشيان معه ، فرّ على جيفة ، فقال : « انهما مها » ، فقالا : يا رسول الله ، أو نهش الجيفة ؟ فقال : « ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه » .

وفي حديث أبي هريرة : « من أكل لحم أخيه حياً قرّب إليه لحمه في الآخرة ، فقليل له : كفه ميتاً كما أكلته حياً ، فبأكله وبضج وبكبح » .

وروى أن رجّلين كانا عند باب المسجد ، فمرّ بهما رجل كان محنتاً ، فترك ذلك ، فقالا : لقد بقى عنده منه شيء ، فأقيمت الصلاة ، فصليا مع الناس ، وذلك يحول في أنفسهما فأتيا عطاء بن أبي رباح ، فسألاه ، فأمرهما أن يبيدا الوضوء والصلاة ، وإن كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم .

وعن مجاهد : « وَبِلَّ لِكُلِّ هُمْرَةٍ لَمَرَةٍ » ، الهمزة : الطمات في الناس ، والهمزة : النمام .

وعن الحسن : والله لقضية أسرع في دين المؤمن من الأكلة في الجسد .

بعضهم : أدركتنا السلف وهم لا يروون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس .

ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك ، فاذكر عيوبك . وهذا مشتق من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

أبو هريرة : يبصر أحدهما القذى في عين أخيه ، ولا يبصر الجذع في عين نفسه ! وهذا كالأول .

الحسن : يا ابن آدم ، إنك إن فضيت حقيقة الإيمان فلا تريب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب من نفسك ؛ فإذا فعلت ذلك كان شملك في خاصة نفسك . وأحب العباد إلى الله من كان هكذا .

ويروى أن المسيح عليه السلام مر على جيفة كلب ، فقال بعض التلامذة : ما أشد نكته ! فقال المسيح : ما أشد بياض أسنانه ! كأنه نيام من غيبة الكلب وبهتهم إلى أنه لا ينبغي أن يدكر من كل شيء إلا أحسنه .

وسمع علي بن الحسين عليه السلام رجلاً يعتاب آخر ، فقال : إن لكل شيء إداماً ، وإدام كلاب الناس للغيبة .

وفي خطبة حجة الوداع : « أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . إن الله حرّم الغيبة كما حرّم المال والدم » .

عمر : ما يمنعكم إذا رأيتم من يخون أعراض الناس أن ترموا عليه ، أي تعيبوه ؟ قالوا : نخاف منه وشراً ، قال : ذلك أدى ألا تكونوا شهداء .

أنس يرفعه : « من مات على الغيبة حشر يوم القيامة مزرقاً هيناء ، ينادى بالويل والندامة ، يعرف أهله ولا يعرفونه » .

وقال هشام بن عبد الملك في بعض ولد الوليد بن عُقبة :

أبلغ أبا وهب إذا ما لقيته      بأنك شر الناس غيباً لصاحب  
فتبدي له بشراً إذا ما لقيته      وتلعه بالغيب لنع العقارب

مرّ الشعيّ بقوم يتابونه في السعد ، وفيهم بعض أصدقائه ، فأخذ مضادتي

الكتاب ، وقال :

هينئنا مريئاً غير داه محامر      لعرّة من أعراضنا ما استعلت<sup>(١)</sup>

ومن كلام بعض الحكماء : أصر الناس بالعوار للعوار ؛ هذا مثل قول الشاعر :

وأجراً من رأيتُ بظهر غيب      قلى صيب الرجال ذوو السيوب

فيل لشيب بن شبة بن عقاب : ما بال صلبهم الله من الأهم يختالك وينتقصك ؟ قال :

لأنه شقبي في النسب ، وجاري في البلد ، وشريك في الصنعة .

دخل أبو العيص على المتوكل ، وعنده جلساءه ، فقال له : يا محمد كلهم كانوا في غيبتك

منذ اليوم ، ولم يبق أحد لم يدُملك صيري ، فقال :

إذا رضيت عني كرامُ مشيرتي      فلا زال غَضباناً عليّ لثامها

قال بعضهم : بتّ بالبصرة ليلة مع المسجدين ، فلما كان وقت السحر ، حرّكهم

واحد ، فقال : إلى كم هذا النوم عن أعراض الناس ؟

وقيل لشاعر وصله بعض الرؤساء ، وأسم عليه : ما صنع بك فلان ؟ قال : ما وفّت

نعمته بإساءته ؛ منعني لغة الثلب ، وحلاوة الشكوى .

أعرابي : من عاب سِفلة فقد رفعه ، ومن عاب شريفاً فقد وضع نفسه .

(١) لكثير ، أمالي القالي ٤ : ١٠٨



نظر بعض السلف إلى رجل يضرب رجلاً ، وقال : يا هذا ، إنك تمل على حافظيك كتاباً ، فانظر ماذا تقول !

ابن عباس : ما الأسد الضاري على فريسة بأسرع من الذيء في مرض السرى .  
بعضهم :

ومطروفة حينئذ عن عيب نفسه فإن لاح عيب من أخيه نبهنا  
وقالت رابعة العدوية : إذ انصح الإنسان فله أعلم الله تعالى على مساوى عمله ، فتشاغل بها عن ذكر مساوى خلقه .

قال عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه : يا بني ، عليك بالدين ، فإن الدنيا ما بنت شيئاً إلا هدمته الدين ، وإذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه ؛ ألا ترى على بن أبى طالب وما يقول فيه خطباء بنى أمية من ذم وعيبه وغيبته ! والله لكأنما يأخذون بناصيته إلى السماء ! ألا تراهم كيف يندبون موتاهم ، ويرثيهم شعراؤهم ؛ والله لكأنما يندبون جيف الحمر !

ومن كلام بعض الصالحين : الورع في اللطيق أشد منه في الذهب والفضة ، لأنك إذا استودعت أخوك مالا لم يجد بك نفسك تخيانته فيه ؛ وقد استودعت حُرَّضيه وأنت تغتابه ، ولا تبالي .

كان محمد بن سيرين قد جعل على نفسه ، كلما اغتاب أحداً أن يصدق بدينار ، وكان إذا مدح أحداً قال : هو كما يشاء الله ، وإذا ذمته قال : هو كما يعلم الله .

الأحنف : في خلتان : لا اغتاب جليسى إذا قام عني ، ولا أدخل بين القوم فيما لم يدخلوني .

قيل لرجل من العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هيئناه ، وإذا أدبر اغتبتناه .

قيل الربيع بن خثيم : ما نراك نهب أحدا ! فقال : لست راضيا على نفسي ؛ فأنفرت  
لذكر عيوب الناس ! ثم قال :

لنفس أسكى لست أبكى لغيرها      لنفسي في نفسي عن الناس شاغل  
عبد الله بن المبارك : قلت لسيان : ما أهدأ أبا حنيفة من الغيبة ! ما سمعته يفتاب  
حدوا ، قال : هو والله أعدل من أن يسأط على حسنه ما يذهب بها .  
سئل فضيل عن غيبة الفاسق ، فقال : لا تشغل ذكره ، ولا تموت لسانك الغيبة ،  
اشغل لسانك بذكر الله ، وإياك ذكر الناس ؛ فإن ذكر الناس داء ، و ذكر  
الله دواء .

بعض الشعراء :

واستبذى نيرب في الصديق      خروني العشرة ستاتها<sup>(١)</sup>  
ولا تن إذا كان في مجلس      أضاع القبيصة واعتابها  
ولكن أحمل سادتها      ولا أتم القابها  
وكان يقال : العيبة فاكهة القرءاء .

وقيل لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : أي التعمدان أطيب ؟ قال : لحوم الناس ؛  
هي والله أطيب من لحوم الدجاج والدراج<sup>(٢)</sup> - يعني العيبة .  
ابن الميرة : لا تذكر الميت سوء ؛ تكون الأرض أكرم عليه منك .  
وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي إذا ذكر عنده الميت سوء ، يقول : كفوا عن  
أسارى النرى .

وفي الأثر : سماع العيبة أحد المعتابين .

(١) النيرب : المعاودة .

(٢) الدراج : طائر على حافة القطا .

أبو نواس :

ما حطك الواشون من رُتبةٍ عندي وما ضرك مقتابُ  
كانهم أشنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا  
الحسن : ذم الرجل في السر ، مدح له في العلانية .

على عليه السلام : الغيبة جهد الماجر ؛ أحذه للثني فقال :

وأكبر نفسي عن جزاء بمبيسةٍ وكل اغتيابٍ جهدٌ من ماله جهدٌ<sup>(١)</sup>

بلغ الحسن أن رجلاً اغتابه ، فأهدى إليه طبقاً من رطب ، فبعاه الرجل معتقراً ،  
وقال : أصلحك الله ! اغتبتك فأهديت لي ! قال : إنك أهديت إلي حسنةً منك ، فأردت  
أن أكاثلك .

أنى رجلٌ عمرو بن عبيد الله ، فقال له : إنك الأسوارى لم يزل أمس يذكرك ويقول :  
عمرو الضال ، فقال له : يا هذا ! والله ! أرا عيت حتى بجاسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه ،  
ولا رعت حتى بلمت من أحي ما أكرهه . أهله أن للوت بمتنا ، والبهت يحشرنا  
والقيامة تبسمنا ؛ والله يحكم بيننا .

• • •

### [ حكم الغيبة في الدين ]

واعلم أن العلماء ذكروا في حدة الغيبة : أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء  
ذكرت قصصاً في بدنه ؛ مثل أن تقول : الأفرع ، أو الأهود ؛ أو في نسبه نحو أن تقول :  
ابن البطل ، وابن الإسكاف أو الزبال أو الحائك أو خلقه ، نحو سبي الخلق أو بخل

أو متكبر؛ أو في أفعاله الدينية نحو قولك: كذاب وظالم وسهاون بالصلاة؛ أو الدنيوية نحو قولك: قليل الأدب سهاون بالناس، كثير الكلام، كثير الأكل؛ أو في ثوبه كقولك: وسخ الثياب، كبير العمامة، طويل الأذيل

وقد قال قوم: لا غيبة في أمور الدين، لأن المعتاب إنما ذم ما ذمه الله تعالى؛ واحتجوا بما روى أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله امرأة وكثرة صومها وصلاتها، ولكنها تؤذي جارتها، فقال: «هي في النار»؛ ولم يسر عليهم غيبتهم إياها.

وروى أن امرأة ذكرت عنده عليه السلام بأنها بخيلة، فقال: «فما خيرها إذن»؛ وأكثر العلماء على أن الغيبة في أمور الدين محرمة أيضا، وادعوا الإجماع على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو معتاب؛ سواء أكان في الدين أو في غيره. قالوا: والمخالف مسروق بهذا الإجماع، وقالوا: وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «هل تدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أحاك بما يكرهه»، فقاتل قال: «أرأيت يا رسول الله، إن كان ذلك في أخي؟ قال: «إن كان فيه فقد اغتبتته، وإن لم يكن فقد بهتته»<sup>(١)</sup>.

قالوا: وروى معاذ بن جبل أن رجلا ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال قوم: ما أمجزأ؟ فقال عليه السلام: «احتبتم صاحبكم»، فقالوا: قلنا ما فيه، فقال: «إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتوه».

قالوا: وما احتج به الزاعمون أن لا غيبة في الدين؛ ليس بحجة، لأن الصحابة إنما ذكرت ذلك في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجتها إلى تعرف الأحكام بالسؤال؛ ولم يكن غرضها التنقص.

واعلم أن الغيبة ليست مقصورة على الإنسان فقط، بل كل ما عرفت به صاحبك

(١) بهتته، أي قذفته بالباطل.

نقص أخيك فهو غيبة ؛ ضد يكون ذلك باللسان ، وقد يكون بالإشارة قول الإجماع ، وبالطحاكاة ،  
نحو أن تمشي خلف الأهرج متعارجاً ؛ وبالسكتاب ؛ فإن أنزل أحد اللسانين .

وإذا ذكر المصنف شخصاً في تصنيفه ، وحقن كلامه ، فهو غيبة . فأما قوله : « قال  
قوم كذا » ، فليس بغيبة ؛ لأنه لم يمتن شخصاً بعينه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ما ملأ أوقام يقولون كذا » ، فكان  
لا يمتن ، ويكون مقصوده واحداً بعينه .

وأخبر أنواع العيبة غيبة القراء الرايين ؛ وذلك نحو أن يُذكر عندهم إنسان ، فيقول  
قائلهم : الحمد لله الذي لم يسلنا بدخول أبواب الساطان ، والسد في طلب الخطام ؛ وقصده  
أن يفهم الغير سبب ذلك الشخص ؛ فيخرج العيبة في مخرج الحمد والشكر لله تعالى ، فيحصل  
من ذلك غيبة المسلم ، ويحصل منه الرياء ، وإظهار التمتع من العيبة وهو واقع فيها ؛ وكذلك  
يقول : لقد ساءت ما بدكره فلان ؛ يسأل الله أن يمضيه ؛ ويكون كاداً في دعوى أنه ساءه ،  
وفي إظهار الدعاء له ؛ بل لو قصد الدعاء له لأخفاه في حلوة عقب صلواته ، ولو كان قد  
ساءه لساءه أيضاً بإظهار ما يكرهه ذلك الإنسان .



واعلم أن الإصغاء إلى العيبة على سبيل التعجب كالعيبة ؛ بل أشد ، لأنه إنما يظهر  
التعجب ليزيد نشاط المعتاب في العيبة ، ويدفع فيها حكاية ؛ يستخرج العيبة منه بذلك ،  
وإذا كان السامع الساكت شربك المعتاب ، فما ظنك بالمتحدث في حصول العيبة ، والباعث  
على الاستزادة منها ؛ وقد روى أن أبا بكر وعمر ذكرا إنساناً عند رسول الله ، فقال أحدهما :  
إنه لن يؤوم ؛ ثم أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حبراً فقاراً ، فطلبا منه أذناً<sup>(١)</sup> ، فقال :  
قد اجتهدتما ، قالا : ما نملأه ، قال : « بل بما أكلتما من لحم صاحبكما » ، ثم مضمما في الإثم ، وقد

(١) الخبر الثمار : ما كان صبر آدم ، والأدم : ما يؤوم .

كان أحدهما "ثلاً" والآخر مستقيماً ، فالمستقيم لا يخرج من إثم النية إلا بأن يفكر بلسانه ، فإن خاف فبقاؤه ، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك ، فإن قال بلسانه : اسكت وهو يريد قلبية فبها ، فذلك نفاق ، ولا يخرج به عن الإثم إلا أن يكرهه بقلبه ، ولا يكفي أن يشير باليد ، أى الكنف ، أو بالحاجب والعين ، فإن ذلك استعقار المدكور ، بل ينبغي أن يذنب عنه صريحاً ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أدلَّ عده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره ، أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق » .



### [فصل في الأسباب الباعثة على النية]

واعلم أن الأسباب الباعثة على النية على أمور ثلث :

مما شعاه العيظ ، وذلك أن يجري من الإنسان سبب يعض به عليه آخر ، فإذا حاج غصبه تشقى يذكر مساوئه ، وصدق إيهاله له بالعاج إن لم يكن هناك دين وازع ، وقد يمنع تشقى العيظ عند الغضب ، فيحتقن العصب في الداخل ، فيصير حقدًا ثابتًا ، فيكون سببًا دائماً لذكر المساوىء .

ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام ، فإنهم إذا اجتمعوا رتباً أخذوا يتفكّهون بذكر الأعراض ، فيرى أنه لو أكر أو قطع المجلس استقلوه ، ونفروا عنه فيساعدتهم ، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ، ويظن أنه مجاملة في الصعوبة . وقد ينضب رتقاؤه من أمر فيحتاج إلى أن يعضب له ضيقهم ، إظهاراً للمساهمة في السرراء والضراء فيخوض معهم في ذكر الميوب والمساوىء .

ومنها أن يستشعر من إنسان أنه سيذمه وبطلول لسانه فيه ، ويقتبح حاله عند بعض الرؤساء ، أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقتبح حاله ، فيطعن فيه ليسقط أثر شهادته عليه . وقد يعتدى بذكر بعض مافيه عداوة ليكذب عليه بعد ذلك ، فيروج كذبه بالصدق الأول .

ومنها أن ينسب إلى أمر فيريد التبرؤ منه ، فيذكر الذي فعله ، وكان من حقه أن يبرئ نفسه ، ولا يذكر الذي فعله ، لكنه إنما يذكر غيره تأكيذاً لبراءة نفسه ، وكَيْلاً بكون تبرؤا مبتورا ، وربما يعتذر بأن يقول : فلان فعله ، وكنت شريكاً في بعض الأمر ليبرئ نفسه بعض البراءة .

ومنها البهاة وحب الرئاسة ، مثل أن يقول : كلام فلان ركيك ، وعرفته بالفتن الفلاني ناقصة ، وغرضه إظهار فضله عليه . ومنها الحسد وإرادة إسقاط قدر من يمدحه الناس بذكر مساوئه ، لأنه يشق عليه ثناء الناس عليه ، ولا يجد سبيلاً إلى سد باب الثناء عليه إلا بذكر عيوبه .

ومنها اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك والسخرية ، فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين على حيل المزمز والمحاكاة .

\*\*\*

واعلم أن الذي يقوى في نفس أن الغيبة لا تكون محرمة إلا إذا كانت على سبيل التقصّد إلى تنقص الإنسان قطع وغض قدره ، فأما إذا خرجت مخرجاً آخر ، فليست بحرام ، لكن يظلمه القاضي وبأخذ الرشوة على إسقاط حقوقه ، فإن له أن يذكر حاله للسلطان معظماً من حيف الحاكم عليه ، إذ لا يمكنه استيفاء حقوقه إلا بذلك ، فقد قال صلى الله عليه وآله : « مَطْلُ النَّفْسِ ظُلْمٌ » ، وقال : « لِي<sup>(١)</sup> الرّاجد يحمل عقوبته وعرضه » .

(١) يقال : لي من الأمر ؛ إذا تنازل .

وكذلك النهي عن النكر واجب ، وقد يحتاج الإنسان إلى الاستعانة بالغيرة على تغييره ورد القاضى إلى منهج الصلاح فلا بد له أن يشرح لتغير حال ذلك الإنسان المرتكب للنكر ، ومن ذكر الإنسان بقلب مشهور فمرف عن عيبه ، كالأعرج والأعمش المحدثين ، لم يكن منتابا إذا لم يقصد النص والنقص .

والصحيح أن الجاهر بالفسق لا غيبة له ، كصاحب للاحور والمختث : ومن يدعو الناس إلى نفسه ابنة ، وكالمشار والمتفرج بالصرب ، فإن هؤلاء غير كارهين لما يذكرون به ، وربما تفاخروا بذلك ، وقد قل النبي صلى الله عليه وآله : « من ألقى جلباب الحياء من وجهه ، فلا غيبة له » ، وقال عمر : ليس لفاجر حرمة ، وأراد الجاهر بالفسق ، دون المعتز .

وقال الصلت بن طريب : قالت للحسن رحمه الله ( الرجل الفاجر المعلن بالفجور غير مراقب ، هل يذكرى له بما فيه عيبه ؟ ) فقال : لا ، ولا كرامة له !

• • •

### [ طريق التوبة من الغيبة ]

واعلم أن التوبة من العيبة تكفر عقابها ، والتوبة منها هي الندم عليها ، والعزم على ألا يعود ، فإن لم يكن الشخص المذكور قد بلغته العيبة ، فلا حاجة إلى الاستعلال منه ، بل لا يجوز إعلامه بذلك ، هكذا قال شيخنا أبو الحسين رحمه الله ، لأنه لم يؤلمه فيحتاج إلى أن يستوهب منه إثم ذلك الإيلام ، وفي إعلامه تصيبق صدره ، وإدخال مشقة عليه ، وإن كان الشخص المذكور قد بلغته العيبة ، وجب عليه أن يستعده ويستوهبه ، فإن كان قد مات سقط بالتوبة عقاب ما يختص بالبارئ ، سبحانه من ذلك الوقت ، وبقي ما يختص بذلك الميت لا يسقط حتى يؤخذ الموضع له من الذنب يوم القصاص .



## الأصل

ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْتَمَنَّ فِيهِ  
أَفْوِيلَ الزُّجَالِ. أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرَى الرَّامِيَ، وَتُحْطَى السَّهَامُ، وَتُحْمِلُ الْكَلَامُ،  
وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَدُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ.

أَمَّا إِنَّهُ أَيْسَرُ يَنْتَ الْخَلْقُ وَالْبَاطِلُ إِلَّا أَرْتَعَ أَصَابِعُ.

\*\*\*

فُسِّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا، وَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا تَحْتَ أَدْنَاهُ وَعَبَّرَ  
عَنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ :

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ : سَمِعْتُ، وَالْخَلْقُ أَنْ تَقُولَ : رَأَيْتُ.

\*\*\*

## التفسير :

هذا الكلام هو سهلٌ من التَّسْرُعِ إِلَى التَّصَدِيقِ بِمَا يُقَالُ مِنَ الْمَيْبِ وَالْقَدْحِ فِي حَقِّ  
الْإِنْسَانِ الْمَسْتَوْرِ الظَّاهِرِ، الشَّهِيرِ بِالصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، وَهُوَ خَلَامَةُ قَوْلِهِ سَبْعَانَهُ : (إِنْ جَاءَكُمْ  
فَاسِقٌ بِبَيِّنَةٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَنَضْحَكُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ مَا دِيمِينَ) <sup>(١)</sup>. ثُمَّ  
ضَرَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ مَثَلًا، فَقَالَ : قَدْ يَرَى الرَّامِيَ فَلَا يَصِيبُ الرَّمِيَّ، وَكَذَلِكَ قَدْ  
يُطْعَمُ الطَّامِنُ فَلَا يَكُونُ طَعْنُهُ صَحِيحًا، وَرَدِّهَا كَانَ لِفَرْضِ فَاسِدٍ أَوْ سَمْعَةٍ تَمَنُّ لَهُ غَرَضُ

فأما ، كالدور والحسود ، وقد يشذبه الأمر فيظن المعروف منكراً ، فيمجل الإنسان بقول لا يتحققه ، كمن يرى غلام زيد يحمل في إباء مستور معطى خلا ، فيظنه خيراً .

قال عليه السلام : « ويحمل الكلام » ، أى يكون باطلاً ، أحال الرجل ، في منطق ، إذا تكلم الذى لا حقيقة له ، ومن الناس من يرويه : « ويحيك الكلام » بالكاف ، من قوائك : ماحك فيه السيف ، ويحوز « أحاك » بالهمزة ، أى ما أثر ، يعنى أن القول يؤثر في المرئى وإن كان باطلاً ، والرواية الأولى أشهر وأظهر

ويور : يفسد . وقوله : « وباطل ذلك بسور » ، مثل قولهم : للباطل جولة ، وللعق دولة ، وهذا من قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْخَلْقُ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) . والإصبع مؤنثة ، ولذلك ، قل : « أربع أصابع » تحذف الهاء .

فإن قلت : كيف بقول عليه السلام : الباطل ما يسمع والحق ما يرى ، وأكثر المعلومات إنما هي من طريق السماع ، كملنا الآن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله بما بلغنا من معمراته التي لم نرها ، وإنما سمعناها

قلت : ليس كلامه في التواتر من الأخبار ، وإنما كلامه في الأقوال الشاذة الواردة من طريق الآحاد ، التي تتضمن القبح فيمن قد غلبت نزاعته ، فلا يحوز العدول عن المعلوم بالشكوك .

(١٤٢)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمُرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْخَطِّ فِيمَا آتَى إِلَّا مَحْمَدَةٌ  
الْقَتَامِ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجَهْلِ ، مَا دَمَ تَضَمُّعًا عَلَيْهِمْ : مَا أَجُودَ يَدُهُ ! وَهُوَ عَنْ  
ذَاتِ اللَّهِ تَخِيلٌ .

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا يُلْهِصِلُ بِهِ الْقَرَابَةَ ، وَلِيُخَسِّنَ مِنْهُ الصُّبَاهَةَ ، وَلِيُفَكَّ بِهِ  
الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلِيُطَيِّبَ مِنْهُ الْقَمِيرَ وَالْعَارِمَ ، وَلِيُضَيِّقَ مِنْهُ عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ،  
أَبْتِغَاءَ الثَّوَابِ ، فَإِنْ فُوزًا يَهْدِيهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَسْكَرِيمِ الدُّنْيَا ، وَدَرَكُ فَصَائِلِ  
الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

• • •

الشرح :

هذا الكلام يتضمن ذمًّا من يخرج ماله إلى الفتيان والأفغان والشعراء ، ويحومهم ،  
ويبتغى به المدح والسمعة ، ويبدل عن إخراجهم في وجوه البر وإتفاء الثواب ، قال عليه  
السلام : ليس له من الخطِّ إلا محمَّدة القَتَامِ وثناء الأشرار ، وقولهم : ما أجود يده ! أي  
ما أجمعه ! وهو بخيل بما يرجع إلى ذات الله - يعني الصدقات وما يجري مجراها من صلة  
الرَّحْمِ والضيافة وفك الأسير والعاني ، وهو الأسير بمعنى ، وإنما اختلف اللفظ .

والفارم: مَنْ عَلَيْهِ الدِّيون وَيُقَالُ: صَبَرَ فلان تَكَةً عَلَى كَذَا مُحَقَّقًا، أَيْ حَبَسَهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>.

وقال عنقرة يذكر حربًا:

فصبرتُ عارفةً لذلِكَ حُرَّةٌ ترسو إذا نفس الجبان تَطَلَّعَ <sup>(٢)</sup>

وفي الحديث النبوي في رجل أَمَسَكَ رَحْلًا، وقتله آخر فقال عليه السلام: « اقاتلوا

القاتل واصبروا الصابر »؛ أَيْ احْبِسُوا الْقَدَى حَبْسَهُ لِقَتْلِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ.

وقوله: « فَإِنْ فَوْزًا »؛ أَفْصَحَ مِنْ أَنْ يَقُولَ: « فَإِنْ الْفَوْزَ » أَوْ فَإِنْ فِي الْفَوْزِ كَمَا

قال الشاعر:

إِنَّ شِوَاءَ وَشَوَّةٍ نَوَخَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ <sup>(٣)</sup>

مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ، وَالْفَنَى لِلدَّهْرِ، وَالذَّهْرُ ذُو شُؤُونٍ <sup>(٤)</sup>

ولم يقل: « إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشَوَّةَ »، وَالسَّرَفُ فِي هَذَا أَنَّهُ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ هَذَا الشَّوَاءَ شَخْصًا

مِنْ جِلَّةِ أَشْخَاصٍ، دَاخِلَةٌ تَحْتَ مَوْعٍ وَاحِدٍ؛ وَيَقُولُ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْهَا أَيُّهَا كَانَ فَهُوَ مِنْ

لَذَّةِ الْعَيْشِ؛ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ كُلُّ أَشْخَاصٍ ذَلِكَ النَّوعِ، وَسَرَادِهِ تَقْرِيرُ فَضِيلَةِ هَذِهِ

الْخِلَصَالِ فِي النَّفُوسِ، أَيْ مَتَى حَصَلَ لِلْإِنْسَانِ فَوْزٌ مَا يَبْهَاهُ؛ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الشَّرَفُ، وَهَذَا

الْمَعْنَى وَإِنْ أُعْطِيَ الْفِظَةُ « الْفَوْزَ » بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ إِذَا قَصِدَ بِهَا الْجَنْسِيَّةُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ

يُسَبِّقُ إِلَى الْقَدْحِ مِنْهَا الْاسْتِغْرَاقَ لَا الْجَنْسِيَّةَ، فَأَتَى بِفِظَةِ لَا تُؤَيِّمُ الْاسْتِغْرَاقَ؛ وَهِيَ الْفِظَةُ

لِلذِّكْرِ؛ وَهَذَا دَقِيقٌ، وَهُوَ مِنْ لِبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ.

(١) سورة الكهف ٢٨.

(٢) اللسان ٦: ١٠٧، بقوله: حيث قفا صابرة.

(٣) لسان ٦: ١٠٧، ديوان الحماسة بدمرح الرزوقي ٣: ١١٣٧. النشوة: السكر. والحب:

ضرب من السير والبازل: التي استكمل لها سبع سنين. والأمون: اللوعة الخلق.

(٤) الحماسة: « ذوفنون ».

(١٤٣)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء :

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ لَأَتَى تَحْمِيلُكُمْ ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُفَالِكُمْ ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ،  
وَمَا أَصْبَعْنَا نَمُودَاكُمْ لَكُمْ بِرَّ كُنْهِنَا تَوْجُوعًا لَكُمْ ، وَلَا زَلْفَةً لَائِسَكُمْ ، وَلَا لِيُخَيَّرَ  
تَرْحُومَاهُ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَعَايِمِهِمْ وَأَطَاعَتَنَا ، وَأَقِيمْنَا عَلَى حُدُودِ  
مَصَالِحِكُمْ فَطَاعًا .

إِنَّ اللَّهَ يُبْتَلَى عِبَادَهُ جِدَّةَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِفُتُوحِ الثَّمَرَاتِ ، وَحَسَنِ الْبَرَكَاتِ ،  
وَأَعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَلْقِيَّاتِ ، بِمُحِبَّةِ تَائِبٍ مُوَقِّلِعٍ مُقَالِعٍ ، وَبِقَدَرِ مُتَدَكِّرٍ ،  
وَبِرَدِّ جِرِّ مُرَدِّ جِرٍّ .

وَقَدْ جَمَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَشْيَاءَ مَارَسِيًّا لِدُرُورِ الرُّزْقِ وَرَحْمَةً أُنْخَلِقُ ، فَقَالَ  
سُبْحَانَهُ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا •  
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١) .

فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَسْتَقْبِلَ ثَوْبَتَهُ ، وَأَسْتَقْبَلَ حَاطِيَّتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيبَتَهُ ،  
اللَّهُمَّ إِنَّا حَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَشْدَارِ وَالْأَكْمَانِ ، وَبِمَدِّ هَجِيجِ الْبَهَائِمِ  
وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاحِينَ فِصْلَ يَمْنَانِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ  
عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْفَائِضِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسَّيْنِ، وَلَا تُؤْخِذْنَا  
بِمَا قَمَلَ الشُّعْمَاءُ مِنَّا ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، الْجَائِنَا الْمَضَائِقُ  
الْوَحْشَةَ ، وَأَجَاءْنَا الْمَاقِحُ الْجَدِيَّةُ ، وَأَغْيَيْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَمِّرَةُ ، وَتَلَاخَتْ عَلَيْنَا  
الْفِتْنُ الْمُتَصَنِّبَةُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا حَائِثِينَ ، وَلَا تَقْبِلَنَا وَاحِدِينَ ، وَلَا تُحَاطِبَنَا بِدُورِنَا ؛  
وَلَا تُقَابِسَنَا بِأَعْمَالِنَا .

اللَّهُمَّ أَشْرَعْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَرَكِّمَكَ ؛ وَرَرِّفَكَ وَرَحْمَتَكَ ، وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَاقِصَةً  
مُرْوِيَةً مُشْبِئَةً ، تُنْبِئُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُنْجِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَاقِصَةً أَلْحِيَا ؛ كَثِيرَةً  
الْمُجْتَنِي ؛ تَرَوِي بِهَا الْفِيضَانَ ؛ وَتُغِيثُ الْبَطْلَانَ ، وَتَسْتَوْرِفُ الْأَشْعَارَ ، وَتَرْخِصُ  
الْأَسْعَارَ ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا نَشَاءُ قَدِيرٌ .



## البُزْجُ :

تظلمكم : تعلو عليكم ، وقد أظلمت الشجرة واستظلمت بها . والزلفة : القرية ، يقول  
إن السماء والأرض إذا جاءتا بمنافعكم - أما السماء فبالطر ، وأما الأرض فبالنبات - فإنهما  
لم تأتيا بذلك تقرُّبا إليكم ، ولا رحمة لكم ، ولكنهما أُمِرَتَا بنفعكم فامتثلتا الأمر ؛ لأنه  
أمرٌ من يجب طاعته ، ولو أُمِرَتَا بمير ذلك لعمته . والكلام محاز واستمارة ، لأن الجاد  
لا يؤسر ؛ والمعنى أن الكل مسخر تحت القدرة الإلهية ، ومراده تمهيد قاعدة الاستسقاء ،  
كأنه يقول ؛ إذا كانت السماء والأرض أيام الحصب والطر والنبات لم يكن ما كان منهما  
محبة لكم ، ولا رحاء منعمة منكم ؛ بل طاعة الصانع الحكيم سبحانه فيها مسخرهما له ،

فكذلك السماء والأرض أيام الجذب وانقطاع الطر وعدم السكلا ، ليس ما كان منهما  
بضاً لكم ، ولا استدفاع ضرر يخاف منكم ، بل طاعة الصانع الحكيم سبحانه فيما  
سخرهما له ، وإذا كان كذلك فبالحرى ألا تأمل السماء ولا الأرض ، وأن نجعل آمالنا  
معلقة بالحق للدبر لها ، وأن نستريحه وندعوّه ونستغفره ، لا كما كانت العرب  
في الجاهلية يقولون : **مُطَرْنَا بَنُوهُ كَذَا** ، وقد سخط النوء العلالي على نبي فلان فأعجلوا .

ثم ذكر عليه السلام أن الله تعالى ينزل عباده عند الذنوب بتضييق الأرزاق عليهم ،  
وحبس مطر السماء عنهم ؛ وهذا الكلام مطابق لقواعد الكلامية ، لأن أصحابها يذهبون  
إلى أن العلاء قد يكون عقوبة على ذنب ، وقد يكون لطفاً للمسكّاتين في الواجبات العقلية  
وهو معنى قوله : **« ليتوب تائب »** ، إلى آخر الكلمات . ويُقْلَع : يكف ويُمسِك .

ثم ذكر أن الله سبحانه جعل الاستغفار سبباً في دُرُور الرزق ، واستدلّ عليه بالآية  
التي أمر نوح عليه السلام فيها قومه بالاستغفار ؛ **بِغِي الثَّوْبَةِ** عن الذنوب ، وقدم إليهم  
الموعِد بما هو واقع في نفوسهم ، وأحث إليهم من الأمور الآجلة ، فتنام الفوائد العاجلة ،  
ترغيباً في الإيمان وبركانه ، والطاعة وتأنجها ، كما قال سبحانه للمسلمين : **« وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا  
نَصَرْتُمْ مَنْ أَتَى وَفَتَحَ قَرِيبٌ »** <sup>(١)</sup> ، فوعدهم بمحبوب الأفس الذي يروونه في العاجل عياناً  
وهذا لأجزاء ونسيئة . وقال تعالى في موضع آخر : **« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا  
أَفْتَحْنَا عَنْهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »** <sup>(٢)</sup> ، وقال سبحانه : **« وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا  
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ »** <sup>(٣)</sup>

(١) سورة الصافات ١٢ .

(٢) سورة الأعراف ٩٦ .

(٣) سورة المائدة ٦٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَغْنَوْا عَلَىٰ أُطْرِيقَةٍ لَّاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ ﴾ (١).

• • •

### [ الثواب والعقاب عند المسلمين وأهل الكتاب ]

وكل ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو لمنافع الدنيا ومضارها ، أما منافعها فمثل أن يقول : إن أظعنتم بركات فيكم ، وكثرت من أولادكم وأطلت أعماركم ، وأوسعت أرزاقكم ، واستقيت اتصال بسلككم ، وبصرتكم على أعدائكم ، وإن عصيتم وخالفتم احترمتكم وخصت من آجالكم ، وشتت شملكم ، وربيتكم بالجوع والمحل ، وأذلت أولادكم ، وأثمت بكم أعداءكم ، وبصرت عليكم خصومكم ، وشردتكم في البلاد ، وابشيتكم بالمرض والقتل ، ونحو ذلك .

ولم يأت في التوراة وعد ووعيد (بأمر يمتنع) بعد الموت . وأما المسيح عليه السلام ، فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ؛ ولكن جعل العقاب روحانياً ؛ وكذلك الثواب ؛ أما العقاب فالوحشة والمرع وتحميل العظمة وخبث النفس وكبرها وخوف شديد ، وأما الثواب فما زاد على أن قال : إسمهم يكونون كاللانسكة ؛ وربما قال : يصعدون إلى ملكوت السماء ، وربما قال أصعابه وعصاه ملته : الضوء والقدرة والسرور والأمن من زوال المدة الحاصلة لهم . هذا هو قول المحققين منهم ؛ وقد أثبت بعضهم نارا حقيقية ، لأن لفظة « النار » وردت في الإنجيل ، فقال محققهم : نار قلبية ، أي نفسية روحانية ، وقلل الأفلون : نار كهذه النار . وممنهم من أثبت عقابا غير النار وهو بدني ، فقال : الرعدة وصيرير الأسنان ؛ فأما الجنة بمعنى الأكل والشرب والجماع ؛ فإنه لم يقل منهم قائل به أصلاً ، والإنجيل صرح بانتفاء ذلك في القيامة تصريحاً لا يبقى بعده ريب لموتاب ؛ وجاء خاتم الأنبياء محمد



صلى الله عليه وسلم فأثبت العادة على وجه محقق كامل ؛ أكل مما ذكره الأولان ،  
 فقال : إن البدن والنفس معاً مبعوثان ؛ ولكل منهما حظ في الثواب والعقاب .

وقد شرح الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا هذا الموضع في رسالة له في  
 للعاد ، تعرف " بالرسالة الأسموية " شرحاً حليلاً ، فقال : إن الشريعة المحمدية أثبتت في  
 القيامة رد النفس إلى البدن ، وجعلت للثواب والعقاب ثواباً وعقاباً بحسب البدن والنفس  
 جميعاً ؛ فكان الثواب لذات بدنية من حور عين وولدان محلدين وفاكم ، يشتهون ،  
 وكأس لا يصدعون عنها ولا يبرؤون ، وجنات تجري من تحتها الأنهار ؛ من لبن وعسل وخر  
 وماء زلال ، وسرر وأرائك وحيام وقباب ، قرشها من سندس وإستبرق ؛ وما جرى يجري  
 ذلك . ولذات نفسانية من السرور ومشاهدة للآسكوت والأمن من المذاب والمعلم اليقيني  
 بدوام مدام فيه ، وأنه لا يتدققه عدم ولا ذوال ولا خلقة عن الأحرار والمخاوي والعقاب  
 عقاب بدني ؛ وهو القامع من الحديد ، والسلاسل ، والحريق والحميم والعذاب والمشرع  
 والجلود التي كلما تضجعت بدتوا حلوداً غيرها ، وعقاب نفسي من اللس والحرى والحجل  
 والدم والحروف الدائم واليأس من الفرج ، والمعلم اليقيني بدوام الأحوال السيئة  
 التي هم عليها .

قال : فوفت الشريعة الحكمة حقها من الوعد الكامل ، والوعيد الكامل ؛ وبهما  
 ينتظم الأمر ، وتقوم الآلة ؛ فأما التصاري ومادهما إلى من أمر بهما الأبدان ، ثم خلقتها  
 في الدار الآخرة من المطم والملبس والمثرب والمنكح ، فهو أرك مذهب إليه أرباب  
 الشرائع وأسفقه ، وذلك أنه إن كان السب في البعث ، هو أن الإنسان هو البدن ، أو أن  
 البدن شريك النفس في الأعمال الحسنة والسيئة ، فوجب أن يبعث ، فهذا القول بعينه  
 إن أوجب ذلك ، فإنه يوجب أن يثاب البدن ، ويعاقب بالثواب والعقاب البدني المفهوم  
 عند العالم ، وإن كان الثواب والعقاب روحانيا ؛ فما المرص في نبت الجسد ؟ ثم ما ذلك

الثواب والمقاب الروحانيان ! وكيف تصور العلامة ذلك حتى يرغبوا ويرهبوا ! كَلَّابِل  
لم تصور لم الشريعة النصرانية من ذلك شيئاً ، غير أنهم يكونون في الآخرة كاللائكة ،  
وهذا لا يفي بالترغيب التام ، ولا ما ذكره من العقاب الروحاني - وهو الظلمة وخبث  
النفس - كافٍ في الترهيب . والذي جاءت به شريعة الإسلام حسن لا زيادة عليه .

انقضى كلام هذا الحكيم .



فأما كون الاستغفار سبباً لنزول القطر ودرور الرزق ، فإن الآية بصريحها ناطقة به ،  
لأنها أمرٌ وجوابه ، قال : « استغفروا ربكم إنه كان غفارا » يرسل السماء عليكم مدرارا ،  
كما تقول : قم اكرمك ، أى إن قمت اكرمك . وعن عمر أنه خرج يستقي ، فزاد على  
الاستغفار ، قيل له : ما رأيناك استغفرت . فقال : لقد استغفرت بمجاديع<sup>(١)</sup> السماء التي  
يُسْقِطُ بها المطر .

ومن الحسن أن رجلا شكوا إليه الجذب ، فقال : استغفر الله ، فشكا آخرٌ إليه  
الفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ربح أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع  
ابن صبيح : رجال أتوك يشكون أبواباً ، ويشكون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار ،  
فتلا له الآية .

قوله : « استقبل توبته » أى استأنفها وجددها . واستقال خطيئته : طلب الإقالة  
منها والرحمة . وبادر منيته : سابق الموت قبل أن يدمه .

(١) النهاية لاس الأثر ١ : ١٤٦ . قال : « المجاديع ، واحد مجدح ، والياء رائدة للإشباع ،  
والقياس أن يكون واحدها « مجداح » ؛ فأما « مجدح » فجمع مجادح ، والمجدح : نجم من النجوم ؛ قيل :  
هو الذبران ، وقيل : هو ثلاثة كواكب كالأنوار تشبهها . « مجدح » الذى له ثلاث شعب ؛ وهو من العرب  
من الأنواء الثلاثة على المطر ، تحمل الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون ، لا قولاً بالأنواء ،  
وجاء بلفظ الجمع ؛ لأنه أراد الأنواء جميعها التى يزعمون أن من شأنها المطر »

قوله عليه السلام : « لَا تُهْلِكُنَا بِالسَّيْنِ » جمع : سِنَّة ، وهى الجذْب والمَحَل ، قال تعالى : « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيْنِ » <sup>(١)</sup> ، وقال النبي صلى الله عليه وآله يدعو على المشركين : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَيْنٍ كَسَيْنِ يَوْسَفَ » ، والسَّنة لفظ محذوف منه حرف ، قيل إنه الهاء ، وقيل الواو ، فمن قال : المحذوف هاء ، قيل : أصله « سِنَّة » مثل حَبْثَة ، لأنهم قالوا : مَخْلَّة سَنَاء ، أى تحمل سِنَّة ولا تحمل أخرى ، وقال بعض الأنصار : فليست سَنَاء ولا رُجْبِيَّةٌ ولكن عرايا في السنين الجوائح <sup>(٢)</sup>

ومن قال أصلها الواو ، احتج بقولهم : أسنى القوم يُسْنُونُ إسْنَاءً ، إذا لبثوا فى الموضع سِنَّةً ، فأما التصغير فلا يبدل على أحد المذهبين نبيته ، لأنه يجوز سُنِّيَّةٌ وسُنِّيَّةٌ ، والأكثر جمعها بالواو والنون « سِنُونٌ » بكسر السين كما فى هذه الخطبة ، وبعضهم يقول : « سُنُونٌ » بالضم .  
والمصابق للوعرة ، بالتسكين ، ولا يجوز التعريرك ، وقد وَعُرَ هذا الشيء بالضم وُعُورَة ، وكذلك تَوَعُرَ ، أى صار وَعْرًا ، واستوعرتُ الشيء : استصعبته .

وأجاءتنا . ألبأتنا ، قال تعالى : « فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ » <sup>(٣)</sup> .

والمقاطع المجدبة : السنون المعلة ، جمع مَقْعَطَة .

وتلاحمت : اتصلت .

والواجم : الذى قد اشتدَّ حرُّهُ حتى أمسك من الكلام ، والماضى « وَجَمَ » بالفتح يحم وُجُومًا .

فواه : « وَلَا تَحَاطَبْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَقَاسِمْنَا بِأَعْمَالِنَا » ، أى لا تجعل جواب دعائنا لك ما تقتضيه ذنوبنا ؛ كأنه يجعله كالمدخل لم ، والحبيب عتًا سألوه إياه ، كما يفاوض الواحد

(١) سورة الأعراف ١٣٠ .

(٢) اللسان ( سنه ) ، ونسب إلى سويد بن الصامت الأنصارى .

(٣) سورة مريم ٢٤ .

منّا صاحبه ويسعه ظفه ، فقد يجيبه ومخاطبه بما يخصه ذبّه إذا اشتدّت موجدته عليه ونحوه .  
ولا تقايسنا بأعمالنا ، قسّتُ الشيء بالشيء إذا حذوته ومثله به ، أى لا تجعل ما يجيبنا به  
مقاييساً ومماثلاً لأعمالنا السيئة .

قوله : « سُقياً باقة » هى « قُنْطَرى » مؤنثة غير مصروفة .

والحميا : المطر وناقمة مروية : مسكنة للمعش ، نَقَعَ الماء المعش نقاً ونُقوعا سكنه ،  
وفي المثل : « الرشف أنقع » أى أن الشراب الذى يُرشف قليلاً قليلاً أعم وأقطع للمعش ،  
وإن كان فيه بطل .

وكثيرة المجتنى ، أى كثيرة الكلا ، والكلا : الذى يجرى ويرعى . والقيمان : جمع  
قاع ، وهو القلاة .

والبطسات : جمع بطن ، وهو الغمام من الأرض ، مثل ظهير وظهران  
وعدد وعبدان .

(١٤٤)

## الإسراء

ومن خطبة له عليه السلام :

بِمَثِّ رُسُلِهِ بِمَا خَمَّسَهُمْ بِهِ مِنْ وَخْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ لِثَلَاثِ  
تَحِبُّ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِرُكِّهِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاكُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْخَلْقِ .  
أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ؛ لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَعُونِ  
أَسْرَارِهِمْ وَمَسْكُونِ ضَمَائِرِهِمْ ؛ وَلَسَكِنْ يَتْلُوهُمْ : أَيْتُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، فَيَسْكُونُ  
الثَّوَابُ جَزَاءً ، وَالْيَقَابُ بَوَاءً .  
أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاغِبُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَتَمَيَّا عَلَيْنَا ؛ أَنْ رَفَعْنَا  
اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَيْنَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ ؛ إِنَّا يُسْتَمْعَلُ الْهَدْيُ ،  
وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى .

إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرْبَشٍ ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَائِمٍ ؛ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ،  
وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

• • •

## الْبُرْج :

أول الكلام مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِثَلَاثٍ يَكُونُ  
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ مَعَهُ أَرْسُلَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَقَّ  
نَبِيِّنَا رَحْمَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النساء ١٦٥

(٢) سورة الإسراء ١٥

فإن قلت : فهذا يناقضُ مذهبَ المعتزلة في قولهم بالتواجبات عقلا ، ولو لم نبعث  
الرسول !

قلت : صحة مذهبهم تقتضي أن يُحمل عمومُ الألفاظ على أن المراد بها الخصوص ،  
فيكون التأويل : لئلا يكون للناس على الله حجة فيما لم يدل العقل على وجوبه ولا قبحه ،  
كالشرعيات ، وكذلك : « وما كنا معدّين حق نبوت رسولا » على ما لم يكن العقل دليلا  
عليه حتى نبعث رسولا .

الإعذار : تقديم العذر . ثم قال : إن الله تعالى كشف الخلق بما تبدهم به من  
الشرعيات على السنة الأنبياء ، ولم يكن أمرهم خافيا عنه ، فيحتاج إلى أن يكشفهم بذلك ،  
ولكنه أراد ابتلاهم واحبارهم ، ليعلم أيهم أحسن عملا ، فيمابق المسوء ، ويثيب  
المحسن .

فإن قلت : الإشكال قائم ، لأنّ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَيُّهُمْ بِحَسَنٍ ، وَأَيُّهُمْ بِسُوءٍ ، فَا فَائِدَةُ  
الابتلاء ؟ وهل هو إلا محض العبث !

قلت : فائدة الابتلاء إيصال نفع إلى ربه لم يكن ليصح إيصاله إليه إلا بواسطة  
هذا الابتلاء ، وهو ما يقوله أصحابنا : إنَّ الابتلاء بالتوابع قبيح ، والله تعالى يستحيل أن  
يفعل القبيح .

قوله : « وللمعاقب بَوَاءٌ » أي مكافأة ، فات لبلى الأختلية :

فإن تكن القتل تَوَاءً بِأَنكُمْ هَتَّى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ مِنْ عَادٍ<sup>(١)</sup>

وأبأت القاتل بالقتيل واستقياته أيضا ، إذا قنته به ، وقد باء الرجل بصاحبه ، أي قتل به

(١) مقتل توبه بن الحخير ، اللسان ١ : ٢٩

وفي الليل : « بابت عرار بكحل »<sup>(١)</sup> وها برتان ؛ قتلت إحداها بالأخرى وقال مهمل  
لجبر لما قتل : « يؤايشع نعل كليب » .

قوله عليه السلام « أين الدين زعموا » ، هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من  
الصحابة كانوا يفازعونه للفضل ؛ فمنهم من كان يدعى له أنه أقرض ، ومنهم من كان  
يدعى له أنه أقرأ ، ومنهم كان يدعى له أنه أعلم بالحلال والحرام . هذا مع تسليم هؤلاء له  
أنه عليه السلام أفضى الأمة ، وأن الله ضاع يحتاج إلى كل هذه المضائل ، وكل واحدة منها  
لا تحتاج إلى غيرها ، فهو إذن أجمع للفقهاء أكثرهم احتواء عليه ، إلا أنه عليه السلام لم يرض  
بذلك ولم يصدق الخبر الذي قيل : « أفرضكم فلان » إلى آخره فقال : إنه كذب واقتراء  
حل قوما على وضعه الحد والبنى والمناصفة لهذا المعنى من بنى هاشم ؛ أن رفضهم الله على  
غيرهم ، واختصهم دون من سواهم .

وأن هاهنا للتسليط ، أى « لأن » ، حذف اللام التى هى أداة التسليط على الحقيقة ، قال  
سبحانه : ﴿ يَنْتَسِ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال بعض النحاة  
لبعض الفقهاء ، الزاعمين أن لا حاجة للفقهاء إلى النعم : ما تقول لرجل قال لزوجته : أنت  
طالق إن دخلت الدار ؟ فقال : لا يقع إلا بالدخول ، فقال : فإن فتحت المصرة ؟ قال : كذلك ،  
ففرقه أن السريّة نافعة في الفقه ، وأن الطلاق منجز لا معلق ، إن كان مرادّه تسليط  
الطلاق بوقوع الدخول لا شرطه به .

ثم قال : « بنا يستعطي الهدى ، أى يطلب أن يعطى ، وكذلك « يستجلى » أى  
يطلب حلاؤه .

ثم قال : إن الأئمة من قريش ... إلى آخر الفصل .

\*\*\*

(١) اللؤلؤ فى اللسان ٦٤ : ١٠٣ ، قال : ومن أمثالهم : « بابت عرار بكحل » ؛ إذا قتل القتائل  
بقتوله ؛ يقال : كاتبا برتانى بنى إسرائيل ، قتلت إحداها بالأخرى . ونقل عن ابن برى : كحل  
بجرله « دعد » يصرف ولا يصرف .

(٢) سورة المائدة ٨٠

## [ اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش ]

وقد<sup>(١)</sup> اختلف الناس في اشتراط النسب في الإمامة ، فقال قوم من قدماء أصحابنا : إن النسب ليس بشرط فيها أصلاً ، وإنما تصلح في القرشي وغير القرشي إذا كان فاضلاً مستجماً للشرائط للمتبعة ، واجتمعت الكلمة عليه ، وهو قول الخوارج .

وقال أكثر أصحابنا وأكثر الناس : إن النسب شرط فيها ، وأنها لا تصلح إلا في العرب خاصة ؛ ومن العرب في قريش خاصة . وقال أكثر أصحابنا : معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « الأئمة من قريش » إن القرشية شرط إذا وجد في قريش من يصلح للإمامة ؛ فإن لم يكن فيها من يصلح ، فليست القرشية شرطاً فيها .

وقال بعض أصحابنا : معنى الخبر أنه لا تختار قريش أبداً ممن يصلح للإمامة ، فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لما في كل عصر وزمان .

وقال معظم الزيدية : إنها في الفاطميين خاصة من الطاهيين ، لا تصلح في غير البطلين ، ولا تصح إلا بشرط أن يقوم بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس . وبعض الزيدية يميز الإمامة في غير الفاطميين من ولد علي عليه السلام ؛ وهو من أقوالهم الشاذة .

وأما الراوندية فإنهم خصصوها بالمباس رحمه الله وولده من بين بطون قريش كلها ؛ وهذا القول هو الذي ظهر في أيام للنصور والهدى ، وأما الإمامية فإنهم جعلوها سارية في ولد الحسين عليه السلام في أشخاص مخصوصين ، ولا تصلح عندهم لغيرهم . وجعلها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده ، ومنهم من نقلها منه إلى ولد غيره .

فإن قلت : إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد للعترة وأصولهم ، فما قولك في هذا

(١) كذا في أ ، ب و د : وقد .



الكلام وهو تصريح بأن الإمامة لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصة ، وليس ذلك بمذهب المعتزلة ؛ لا متقدميهم ولا متأخريهم !

قلت : هذا الموضع مشكل ، ولي فيه نظر ؛ وإن صح أن عليا عليه السلام قاله ، قلت كما قال ، لأنه ثبت عندى أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « إنه مع الحق ، وإن الحق يدور معه حيثما دار » ، ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة ، فيجعل على أن المراد به كمال الإمامة كما جعل قوله صلى الله عليه وآله : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » ، على نفي الكمال ، لا على نفي الصلوة .

• • •

## الأصل :



منها :

آزُرُوا عَاجِلًا ، وَأَخْرُوا آجِلًا ، وَتَرَكُوا صَافِيًا ، وَشَرِبُوا آجِنًا ؛ كَأَن أُنْظَرُ إِلَى قَاصِمِهِمْ وَقَدْ صَعِبَ الْمُسْكِرُ قَالِفُهُ ، وَبَسِيَ بِهِ وَوَاقِفُهُ ، حَتَّى شَاتَ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُيِفَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُرِيدًا كَانَتْ يَارِ لَا بُنَايَ مَاعَرُوقٍ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْعَشِيرِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ .

أَيُّنَ الْقَوْلُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَنْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِلِ التَّقْوَى ؛ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ؛ أَرْدَحُوا أَصْلَ الْخَطَايَا ، وَتَشَاحُوا أَصْلَ الْفُرَايَا ، وَرَفِيعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَحُومَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَدَعَاهُمْ رَسْمُ فَنَاءِ وَادِّهَا ، وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَاسْتَحَاوُوا وَأَقْتَلُوا ؛

## البُرْخُ :

آثَرُوا : احْضَرُوا . وَأَحْرُوا : تَرَكَوا . لَأَحْنُ : الماءُ الْمُقْمَرُ . أَجْنُ الماءِ : بِأَجْنٍ وَبِأَجْنٍ .  
وَتَمِيءُ بِهِ : أَلْعَى ، وَتَلْقَى تَسْوًى : أَلْقَتْ الْحَبَّ وَلَا<sup>(١)</sup> تَمْنَعُهُ . وَشَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ : طَالَ  
عَهْدُهُ بِهِ مُدَّ زَمَنِ الْعَصَا حَتَّى صَارَ شَيْعًا . وَصِيفَتْ بِهِ حَلَاتُهُ مَصَارِفَ طَبَعًا لِأَنَّ الْعَادَةَ  
طَبِيعَةٌ ثَابِتَةٌ .

مُرْبِدًا ، أَيْ ذَوْرَبْدٍ ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَمِّ كَالرَّغْوَةِ ؛ يَصْرَبُ مِثْلًا لِلرَّجْلِ  
الصَّائِلِ الْمُقْتَعِمِ .

وَالْتِيَارُ : مَعْظَمُ الْحِجَةِ ، وَالرَّادُّ هَذَا السَّيْلُ وَالْهَشِيمُ : دَقَاقُ الْحَطَبِ .  
وَلَا يَحْمَلُ ، فَتَنْفَعُ حُرُوفُ الْمَصَارِعَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَاضِيَ ثَلَاثِي ، أَيْ لَا يَهَالِي .  
وَالْأَنْصَارُ اللَّامِحَةُ : الدَّائِرَةُ . وَتَشَاخَرُوا : تَضَايَعُوا ، كُلُّ مَسْأَلَةٍ يَرِيدُ إِلَّا بِفَوْتِهِ ذَلِكَ ،  
وَأَصْلُهُ الشَّخْخُ وَهُوَ الْبَعْلُ .

فَإِنْ قُلْتَ : هَذَا الْكَلَامُ يَرْجِعُ إِلَى الصَّعْبَةِ الَّتِي كُنْتُ ذَكَرْتُ فِي أَوَّلِ الْخَطْبَةِ !  
قُلْتَ : لَا ؛ وَإِنْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ عَدَمٌ ؛ بَلْ هُوَ إِمَّا شَارَةً إِلَى قَوْمٍ مَعْنَى بَأْتِي مِنَ الْحَلَفِ  
بَعْدَ السَّامِ ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَاسِمِهِمْ قَدْ صَعِبَ الْمُسْكِرُ وَأَلْفَهُ ؛ وَهَذَا الِافْظُ  
إِنَّمَا يُقَالُ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَوْحَدْ بَعْدَ ، كَمَا قَالَ فِي حَقِّ الْأَتْرَاكِ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ قَوْمًا كَأَنِّي  
وَجُوهَهُمُ الْخَانُ » ، وَكَأَنِّي فِي حَقِّ صَاحِبِ الرِّيحِ « كَأَنِّي بِهِ يَأْخُفُ قَدْ سَارَ فِي الْحَيْشِ » ،  
وَكَأَنِّي فِي الْخَطْبَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا آخِرًا . « كَأَنِّي بِهِ قَدْ أَمَقْتُ بِالشَّامِ » يَعْنِي بِهِ عَيْدُ الْمَلِكِ .  
وَحَوْشِي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ الصَّعْبَةِ ، لِأَنَّهُمْ مَا آثَرُوا الْعَاحِلَ ، وَلَا أَحْرُوا الْأَجَلَ ،  
وَلَا صَحَّحُوا الْمُسْكِرَ ، وَلَا أَقْبَلُوا كَالْتِيَارِ ؛ لَا يَمْلِكُ مَا عَرَفِي ، وَلَا كَالنَّارِ لَا يَهَالِي مَا أَحْرَقَتْ ،  
وَلَا أَرْدَحُوا عَلَى الْخَطَامِ ، وَلَا تَشَاخَرُوا عَلَى الْحَرَامِ ، وَلَا حَرَفُوا عَنْ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ، وَلَا أَقْبَلُوا

إلى النار بأعمالهم ، ولا دعاء للرحمن فوئزاً ، ولا دعاء الشيطان فاستجابوا . وقد علم كل  
أحد حُسن سيرتهم ، وشدّاد طريقهم وإعراضهم عن الدنيا وقد ملكوها ، وزهدهم فيها  
وقد تمكنوا منها ، ولولا قوله : « كَأَنِّي أَنظِرُ إِلَى قَاسِمِهِم » لم أجد أن يعني بذلك قومًا من  
عليه اسم الصعابة وهو رديء الطريقة ، كالمغيرة بن شعبه وعمرو بن العاص ، ومروان بن  
الحكم ، ومعاوية ، وجماعة معدودة أحبوا الدنيا واستفواهم الشيطان ؛ وهم معدودون  
في كتب أصحابنا ومن اشتمل علوم السيرة والتواريخ عرفهم بأعيانهم .

(١٤٥)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَرَضٌ تَنْتَصِلُ فِيهِ الْمَالِيَا ؛ مَعَ كُلِّ جَرَّةٍ شَرَقٍ ؛ وَبِى كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ؛ لَا تَسْأَلُونَ مِنْهَا مَمْنَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا بِعَمْرٍ مُعَمَّرٍ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدِمُ آخَرٌ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ ، إِلَّا بِتَفَادٍ مَا قَتَلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ ، إِلَّا تَمَدَّدَ أَنْ يَحْتَلِقَ لَهُ جَدِيدٌ ، وَلَا تَقُومُ لَهُ مَأْيَةٌ ، إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ مُرُوعِيهَا ، فَمَا بَقَا فَرِيعٌ نَعْمُ دَهَابٍ <sup>أَصْلُهُ</sup> !

\*\*\*

الشرح :

المرّض : ما ينصب أثرى ، وهو الهدف وتنتصّل فيه المايا : تترامى فيه للشرق ، ومنه الاتصال بالكلام والشمر <sup>(١)</sup> ، كأنه يحمل المايا أشخاصاً تداخل بالسهم ؛ من الناس من يموت قتلاً ، ومنهم من يموت عرفاً ، أو يتردى في نهر ، أو تسقط عليه حائط ، أو يموت على فراشه .

ثم قال : « مع كل جرّة شَرَقٍ ، وفي كل أكلة غَصَصٌ » : بفتح العين ، مصدر قولك : غَصِصْتَ يافلان بالطعام ، وروى : « غَصَصٌ » جمع غُصّة ، وهى الشعاع ، وهذا مثل قول بعضهم : المنعة فيها مقرونة بالنعمة ، والنعمة مشفوعة بالنقمة .

(١) فى ١ ، ب : « الشعر » ، و ما أتجه من د ، ج .

وقد بالغ بعض الشعراء في الشكوى ، فأتى بهذه الألفاظ ، لكنه أسرف ، فقال :

حَفَلَى مِنَ الْبَيْشِ أَكُلُ كُلِّ قَعَصٍ      مَرَّةَ الْمَذَاقِ ، وَشَرِبُ كُلِّ شَرَقٍ

ومراد أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه أن نعيم الدنيا لا يدوم ، فإذا أحسنت  
أسماء ، وإذا أنعمت أنعمت .

ثم قال : « ولا يتلون منها نعمة إلا بفراق أخرى » ، هذا معنى لطيف ، وذلك أن الإنسان  
لا ينهيها له أن يجمع بين الملاذ الجسمانية كلها في وقت ، فحال ما يكون آكلًا لا يكون مجامعًا ،  
وحال ما يشرب لا يأكل ، وحال ما يركب للفنن والرياضة ، لا يكون جالسًا على فراش  
وثير ممد ؛ وعلى هذا القياس لا يأخذ في شرب من ضروب الملاذ إلا وهو تارك  
لغيره منها .

ثم قال : « ولا يمتر معتر منكم يوماً من كهره إلا بهدم آخر من أجله » ، وهذا أيضاً  
لطيف ، لأن السرور يبقاه إلى يوم الأحد ثم يصل إليه إلا بعد أن قضى يوم السبت وقطعه ،  
ويوم السبت من أيام عمره ، فإذا قد عدم من عمره يوماً ، فيكون قد قرب إلى الموت ، لأنه  
قد قطع من المسافة جزءاً .

ثم قال : « ولا تجدد له ريادة في أكله إلا بفساد ما قبلها من رزقه » ، وهذا صحيح فإن  
فسد الرق بما وصل إلى البطن على أحد تسميات المتكلمين ، فإن الإنسان لا يأكل  
لقمة إلا وقد فرغ من اللقمة التي قبلها ، فهو إذاً لا يتجدد له ريادة في أكله إلا بفساد ما قبلها  
من رزقه .

ثم قال : « ولا يحيا له أثر ، إلا مات له أثر » ، وذلك أن الإنسان في الأمم الأغلب  
لا ينشر صيته ويشيع فضله إلا عند التيعوخة ، وكذلك لا تعرف أولاده وبصير لهم اسم  
في الدنيا إلا بعد كبره وعلو سنه ، فإذا ما حي له أثر إلا بعد أن مات له أثر ، وهو قوته ونشاطه  
وشهيته ، ومثله قوله : « ولا يتجدد له جديد ، إلا بعد أن يخلق له جديد » .

ثم قال : « ولا تقوم له ناجة إلا ونسقط منه محسودة » ؛ هذه إشارة إلى ذهاب الآباء عند حدوث أبنائهم في الأمم الأغلب ، ولهذا قال : « وقد مضت أصول نحن فروعها فبقا فرع بعد ذهاب أصله » ؛ وقد نظر الشعراء إلى هذا المعنى ، فقالوا فيه وأكثروا ؛ نحو قول الشاعر :

فإن أنت لم تصدقك نفسك فاعقب      لعلك تهديك للقرون الأولى<sup>(١)</sup>  
فإن لم نجد من دون عدنان والها      ودون معد فلنزعك المواذل  
وقال الشاعر :

فصدت آباءى إلى مرقى الثرى      مدعوتهم فصلت أن لم يسموا  
لا بد من تلف مصيب فانتظر      أيا أرض قومك أم بأخرى تصرع  
وقد صرح أبو العتاهية بالمعنى ؛ فقال :  
كل حياة إلى عيبات      وكل ذى جدوة يحول  
كيف بقا الفروع يوما      وقد دوت قتلها الأصول

• • •

الأصل :

منها :

وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة ؛ فانقروا البدع ، وألزموا التبع .  
إن عوازم الأمور أضلها ، وإن أحدثايتها شرارها .

• • •

## البدعة :

البدعة : كل ما أحدث مما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمنها الحسن كصلاة التراويح ، ومنها القبيح كالنكرات التي ظهرت في أواخر الخلافة العثمانية ؛ وإن كانت قد<sup>(١)</sup> نكّفت الأعداء عنها .

ومعنى قوله عليه السلام : « ما أحدثت بدعة إلا تركت بها سنة » ؛ أن من السنة ألا تحدث البدعة ، فوجود البدعة عدم السنة لا محالة .

والمهميع : الطريق الواضح ، من قولهم : أرض هيمية ، أى مبسوطة واسعة ؛ والميم مفتوحة وهى زائدة .

وعوارم الأمور : ما تقدم منها ، من قولهم : يجوز عوزم أى مسنة ، قال الراجز :  
لقد غلبت حلق الشباب  
أجل عدلين من التراب<sup>(٢)</sup>  
إعوزم وحبية شباب  
فأكل ولا حس وآبى

ويعمع « فوعل » على فواعل ، كدورق ، وهو جمل ، ويجوز أن يكون « عوازم » جمع عازمة ، ويكون فاعل بمعنى مفعول ، أى معزوم عليها ، أى مقطوع معلوم بيقين صحتها ، ومعنى « فاعلة » بمعنى « مفعولة » كثير ، كقولهم : عيشة راضية بمعنى مرضية ، والأول أظهر عندي ، لأن فى مقابلته قوله : « وإن أحدثتها شرارها » ، والمحدث فى مقابلة القديم .

(٢) ساقط من ١ .

(٢) اللسان ١٥ : ٢٩٥ ( عن القراء ) .

(١٤٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس

بنفسه :

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خُذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا قِلَّةِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي  
أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا نَلَّغَ، وَطَلَعَ حَيْثُمَا <sup>(١)</sup> طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى  
مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ، وَنَاوِيزُ جُنْدِهِ؛ وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ  
النِّظَامِ مِنَ الْأَنْفَرِ، يَجْمَعُهُ وَيَصْنَعُهُ، فَإِنْ أَفْطَحَ <sup>(٢)</sup> النَّظَامَ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَحْتَمِصْ  
بِحِذَائِهِرِهِ أَبَدًا.

وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِإِلَاجِ تَجَارِعٍ؛  
فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَقْدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ؛ وَأَصْلُهُمْ دُونَكَ فَاَرِ الْعَرَبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ  
مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَطَارِهَا، حَتَّى يَكُونُ  
مَاتَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَمْرٌ إِلَيْكَ يَمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ بَنَظَرُوا إِلَيْكَ خَدًّا يَحُولُوا؛ هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ؛ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ  
اسْتَرْحَتُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِيَكْلَبِهِمْ عَنْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوَائِمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ  
أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَفْيِيرِ مَا يَكْرَهُ؛ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ  
عَدَدِهِمْ؛ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ حَائِلٌ فِيهَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا حَائِلٌ بِالنَّصْرِ وَالْمُؤَنَةِ.

\*\*\*



## الشرح :

نظام العقد : الخيط الجامع له ، وتقول : أخذته كله بحذافيره ، أى بأصله ؛ وأصل الحذافير أعالي الشئ ونواحيه ؛ الواحد حذافير .

وأصلهم نار الحرب : أجمعهم صالين لما ، يقال : صليت اللحم وغيره أصليه صلياً ، مثل رميته أرميه رمية ، إذا شوقته ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله أتى بشاة مصنية<sup>(١)</sup> ، أى مشوية ويقال أيضاً : صليت الرجل ماراً إذا أدخلته النار وجعلته بصلاًها ، فإن أقيمته فيها إقاماً كأنك تريد الإحراق قلت : أصليته بالآلف ، وصليت نصيبة ، وقرئ : ﴿ وَيُصَلِّي سَمِيراً ﴾<sup>(٢)</sup> ومن حذف فهو من قولهم : صلى فلان بالنار - بالكسر - يعني صلياً احترق ، قال الله تعالى : ﴿ هُمْ أُولَىٰ بِسِئَاسِ صَلَاتِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ويقال أيضاً : صلى فلان بالامر ؛ إذا قاسى حره وشدة ، قال الطهري رحمه الله

وَلَا تَبْلَىٰ لِسَانُهُمْ وَهِيَ هَمٌّ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينَئِذٍ<sup>(٤)</sup>

وعلى هذا الوجه يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو محار من الإحراق ، والشئ للوضوح أي هذا المعنى حقيقة .

والدورات : الأحوال التي يخلف اختصاصها في ثمر أو حرب ، قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بَلْ بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> . والكلب : الشر والأذى .

\*\*\*

## [ يوم القادسية ]

واعلم أن هذا الكلام قد اختلف في الحل التي قاله فيها لعمر ، فقيل : قاله له في

(١) النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٧٣ .

(٢) سورة الانشقاق ١٢ ، وهي قراءة المزمع وبن عاصم والكشائي . تفسير القرطبي ١٩ : ٢٧٠ .

(٣) سورة مريم ٧٠ .

(٤) لأبي النور الطهري ، ديوان الحاسة ، شرح المروقي : ١ : ٤١ .

(٥) سورة الأحزاب ١٣ .

غزاة القادسية ، وقيل في غزاة نهاوند . وإلى هذا القول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبري في " التاريخ الكبير " . وإلى القول الأول ذهب للدائني في كتاب " الفتوح " ؛ ونحن نشير إلى ما جرى في هاتين الوقتين إشارة خفيفة على مذهبنا في ذكر السير والأيام .

فأما وقعة القادسية فكانت في سنة أربع عشرة للهجرة ؛ استشار عمر المسلمين في أمر القادسية ، فأشار عليه علي بن أبي طالب - في رواية أبي الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني - ألا يخرج بنفسه ، وقال : إنك إن تخرج لا يكن المعجم همة إلا استنصاكت ، لهمم أنك قطب رحا للعرب ، فلا يكون للإسلام بعدها دولة . وأشار عليه غيره من الناس أن يخرج بنفسه ، فأخذ برأي علي عليه السلام .

وروى غير المدائني أن هذا الرأي أشار به عبد الرحمن بن عوف ؛ قال أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري : لما بدا لعمر في المقام بعد أن كان حرام على الشيوخ بنفسه ، أمر سعد ابن أبي وقاص على المسلمين ، وبعث يزيد جرد رستم الأرمي أميراً على الفرس ، فأرسل سعد القيساني من ممرن رسولاً إلى يزيد جرد ، فدخل عليه ، وكلمه بكلام غليظ ، فقال يزيد جرد : لولا أن الراسل لا تقتل اقتلتك ، ثم تحمله وقرأ من تراب على رأسه ، وساقه حتى أخرجته من باب من أبواب المدائن ، وقال : ارجع إلى صاحبك ، فقد كتبت إلى رستم أن يدفعه وجنده من العرب في خندق القادسية ؛ ثم لأشعلن العرب بعدها بأنفسهم ، ولأصيبينهم بأشد مما أصابهم به سابور ذو الأكتاف . فرجع القيساني إلى سعد فأخبره ، فقال : لا تخف ، فإن الله قد ملكنا أرضهم تمازوا بالتراب .

قال أبو جعفر : وتنبط رستم عن القتال وكرهه ، وآثر المسالمة ، واستعمله يزيد جرد مراراً ، واستحثه على الحرب ، وهو بدافعها ، ويرى الطارقة . وكان عسكره مائة وعشرين ألفاً

وكان حسكر سعد بضعاً وثلاثين ألفاً ، وأقام رسمٌ يريد من الرجال ، الواحد منهم إلى جانب الآخر ؛ من القادسية إلى المدائن ، كلما تكلم رسم كلمة أذاها بعضهم إلى بعض ، حتى اتصل إلى سمع بزدجرد في وقتها ، وشهد وقعة القادسية مع المسلمين طليحة بن حويلد ، وعمر بن سعد بن بكر ، والشاخ بن ضرار ، وعبد بن الطيب الشاعر ، وأوس بن معن الشاعر ، وقاموا في الناس يُنشدونهم الشعر ويحرضونهم ، وقرن أهل فارس أنفسهم بالسلاسل ثلاثاً يهربوا ، فكان المقتلون منهم نحو ثلاثين ألفاً ، والنعم العريقان في اليوم الأول ، فحلت الفيلة التي مع رسم على الخيل فطعننها ، وثبت لها جمع من الرحالة ، وكانت ثلاثة وثلاثين فيلاً ، منها فيل الملك ، وكان أبيض عظيم ، فضربت الرحال حر أطم الفيلة بالسيوف فقطعتها ، وارتفع عواؤها ، وأصيب في هذا اليوم وهو اليوم الأول - خمسمائة من المسلمين ، وألفان من الفرس . ووصل في الثاني أبو عبيدة بن الجراح من الشام في عسكر من المسلمين ؛ فكان مدداً لغيره ؛ وكان هذا اليوم على الفرس أشد من اليوم الأول ، قتال من المسلمين ألفان ، ومن الأشركين عشرة آلاف . وأصبغوا في اليوم الثالث على القتال ، وكان عظيمًا على العرب والمسلم معاً ، وصبر الفريقان ، وقامت الحرب ذلك اليوم : وتلك الليلة جماء لا ينطقون ، كلاً منهم الحرير ، فسميت ليلة الحرير .

واقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورسم ، واقطعت سعد إلى الصلاة والدعاء . واليهكاه ، وأصبح الناس حشرى لم يعضوا لياتهم كلها ، والحرب قائمة بعد إلى وقت الظهر ، فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفاً في اليوم الرابع ، أمالت المبار والنقع على السهم ، فانكسروا ، ووصلت العرب إلى سرير رسم ، وقد قام معه ليركب جلاً ، وعلى رأسه العلم ، فضرب هلال بن عاقبة الحقل الذي رسم فوقه ، فقطع حباله ، ووضع على هلال أحد العدائين ، فأزال تقار ظهره ، ووضع رسم نحو الديقيق ، فرمى نفسه فيه ، واقطع هلال عليه ، فأخذ

برجله ، وخرج به يجره حتى اتقاء تحت أرجل الخيل ، وقد قتله وصعد السرير ، فنادى :  
أنا هلال ، أنا قاتل رستم ، فانهزمت الفرس ، ونهاقوا<sup>(١)</sup> في الحقيق ، قتل منهم نحو ثلاثين  
ألفا ، ونهبت أموالهم وأسلامهم ؛ وكانت عزيمة جدا ، وأخذت العرب منهم كافورا  
كثيرا ، فلم يعثوا به ، لأنهم لم يعرفوه ، وباهوه من قوم بملح ، كيلا يكيل ، وسروا بذلك  
وقالوا : أخذنا منهم ملعا طيبا ، ودفعنا إليهم ملعا غير طيب ، وأصابوا من الجلمات  
من الذهب والفضة مالا يقع عليه العد اكثرتة ؛ فكان الرجل منهم يعرض جامين من  
ذهب مل صاحبه ، ليأخذ منه جاما واحدا من فضة يعجبه بياضها ويقول : من يأخذ  
صقراوين يبيضاء !

وبعث سعد بالأخال والمغانم إلى عمر ، فكتب إلى سعد : لا تتبع الفرس ، وقف  
مكانك واتخذ منزلا . فنزل موضع الكوفة اليوم واخط مسجدها ، وبني فيها  
الخلع للعرب<sup>(٢)</sup> .

### [ يوم نهاوند ]

فأما وقعة نهاوند ، فإن أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ذكر في كتاب التاريخ<sup>(٣)</sup> : أن  
عمر لما أراد أن يفز للمعجم وحيوش كسرى وهي محجمة نهاوند ، استشار الصعابة ،  
فقام عثمان فتشهد ، فقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسبوا  
من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسبوا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين  
إلى الصرين : البصرة والكوفة ، فتأق جمع المشركين بجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت

(١) تاريخ الطبري ( حوادث سنة ١٤ ) .

(٢) تهافت على الشيء : تساقط وتتابع ؛ وأكر استعماله في الشعر .

(٣) تاريخه ( حوادث سنة ٢١ ) .

بمن معك ومن عندك ، قل لي نفسك ما تكلم من عند القوم ، وكنت أحرص من  
وأكثر ؛ إنك لا تفتني من نفسك بعد اليوم <sup>(١)</sup> باقية ، ولا تمتنع من الدنيا بعزير ،  
ولا تكون منها في حوز حريز . إن هذا اليوم ما بعده ، فاشهد بنفسك ورأيك وأحوالك ،  
ولا تجلب عنه .

قال أبو جعفر : وقام طلحة ، قتل : أما بعد يا أمير المؤمنين ؛ فقد أحضرتك الأمور ،  
ومجئتك البلايا ، وحضرتك <sup>(٢)</sup> التجارب ، وأنت وشأنك ، وأنت ورأيك ، لا شيوقي  
يديك ، ولا تسكن أمرنا إلا إليك ، فأمرنا نجيب ، وأمرنا نطيع ، وأمرنا نركب ، وقدنا  
نفق ، فإنك ولي هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت واختبرت ، فلم ينكشف شيء من  
خواب الأمور لك إلا من خيار .

قتل علي بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد ، فإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه  
بكثرة ولا قلته ، إنما هو دين الله الذي أظهره ، وجنده الذي أمره وأمدته بالملائكة ،  
حق بلغ ما بلغ ، فمن علي موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، وإن  
مكانك منهم مكان النظام من الخرز ، يحمله ويمسكه ، فإن انحلت فترق ما فيه وذهب ،  
ثم لم يجمع عذافيره أبدا ؛ والعرب اليوم وإن كانوا قليلا ، فإنهم كثير عزير بالإسلام ؛  
أثم مكانك ، واكتب إلى أهل الكوفة ، فإنهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، وليشخص  
منهم لثلاثين ، ولهم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عدم ،  
ولا تشخص الشام ولا اليمن ، إراك إن أشخصت أهل الشام من شامهم ، سارت الروم إلى  
ذرائعهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من بينهم سارت الحبشة إلى ذرائعهم ، ومتى  
شخصت من هذه الأرض اشخصت عليك العرب من أقطارها وأطرافها ، حتى يكون  
ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من المورات والمهالات . إن الأحاجم إن ينظروا

(١) الطبري : « العرب »

(٢) الطبري : « واحتكك » .

إليك غداً قالوا : هذا أمير العرب وأصلهم ؛ فكان ذلك أشدّ لكتّيبهم عليك . وأما ما ذكرت من مسير القوم ، فإن الله هو أكره ليرحم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ؛ وأما ما ذكرت من عدم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كنا نقاتل بالصبر والنصر .

قال عمر : أجل ! هذا الرأي ، وقد كنت أحب أن أتابع عليه ، فأشيروا على رجل أوليه ذلك الأمر . قالوا : أنت أفضل رأياً ، فقال : أشيروا على به ، واجعلوه عاقباً قالوا : أنت أعلم بأهل العراق ، وقد وفّدرنا عليك ، فرأيهم وكلمتهم . قال : أما والله لأولين أمرهم رجلاً يكون غداً لأوّل الأئمة ، قيل : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : النعمان بن مقرن ، قالوا : هو لها .

وكان النعمان يومئذ بالبصرة ، فكتب إليه عمر ، فوله أمر الجيش . قال أبو جعفر : كتب إليه عمر : <sup>سير إلى نهاوند</sup> ، فقد ولّيتك حرب الفروزان . وكان القدام على جيوش كسرى . فإن حدث بك حدث فلي الناس حذيفة بن اليمان ، فإن حدث به حدث فلي الناس نعم بن مقرن ، فإن فزع الله عليكم فاقسم على الناس ما أفا الله عليهم ، ولا ترفع إلى منه شيئاً ، وإن نكت القوم فلا ترائى ولا أراك ؛ وقد جعلت معك طليعة بن خويلد ، وعمرو بن معد بكر ، لملهما بالحرب ، فاستشرهما ولا تولهما شيئاً .

قال أبو جعفر : فسار النعمان بالعرب حتى ولى نهاوند ، وذلك في السنة السابعة من خلافة عمر ، وتراءى الجمعان ، ونشب القتال ، وحجّزهم للسطون في حنادقهم ، واحتصموا بالحصون والمدن ، وشق على المسلمين ذلك ، فأشار طليعة عليه ، فقال : أرى أن تبعث خيلاً ببعض القوم وتمحّسهم <sup>(١)</sup> ، فإذا استعصموا خرج معهم ، واخطوا بهم

(١) تمحّسهم : تهيّجهم .

فاستطردوا لهم ، فلأنهم يطمعون بذلك ، ثم نطف عليهم حتى يقضى الله بيننا وبينهم بما يحب .

فقتل النعمان ذلك ، فكان كما أعلن طلبه ، وانقطع المعجم عن حصونهم بعض الاقطاع ؛ فلما استنوا في الانكشاف للمسلمين قتل النعمان بالناس ، فاقتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون مثله ، وزلق بالنعمان فرسه فصريع وأصيب ، وتناول الراية نعيم أحوه ، فأنى حذيفة لما قدفعها إليه ، وكتم للمسلمون مصاب أمرهم ، واقتلوا حتى أغلظ الليل ، ورجعوا والمسلمون وراءهم ، فمسي عليهم قصدهم فزكوه ، وخشيهم للمسلمون بالسيوف ؛ فقتلوا منهم ما لا يحصى ، وأدرك للمسلمون الفيروزان وهو هارب ، وقد انتهى إلى ثنية مشعونة <sup>(١)</sup> بهال موقرة حلا ، فغلبه على أجله ، فقتل ، فقال للمسلمون : إن لله جنودا من عسل .

ودخل المسلمون نهاوند فاحتروا على ما فيها ، وكانت أخل هذا اليوم عظيمة ، فحملت إلى عمر ، فلما رآها بكى ، فقال للمسلمون : إن هذا اليوم يوم سرور وجدل ، فما بكاؤك ؟ قال : ما أعلن أن الله تعالى رزى <sup>(٢)</sup> هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر إلا غدير أراده بها ، ولا أراه فتعه على إلا لشر أريد بي ، إن هذا للال لا يلبث أن يفتن الناس .

ثم رفع يده إلى السماء يدعو ويقول : اللهم اعصني ولا تكلني إلى نفسي ؛ يقولها صهرا ؛ ثم قسمه بين المسلمين من آخره .

(١) يقال : شعن للدينة بالحبل أو البغال ؛ إذا ملأها .

(١٤٧)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام .

فَبَشِّرْ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ؛ يُخْرِجُ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ  
إِلَى عِبَادَتِهِ ؛ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، يَقْرَأُ آيَةَ الْقَدْرِ بَيْنَهُ وَأَحْسَنَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ  
رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيَقْرَأُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَعَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ ، فَتَجَلَّى  
لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ  
سَطْوَتِهِ . وَكَيْفَ تَحَقَّقَ مَنْ تَحَقَّقَ بِالْمَثَلَاتِ ، وَأَحْتَصَرَ مَنْ أَحْتَصَرَ بِاللِّفَافَاتِ !

•••

البيان :

الأوتان : جمع وثن ؛ وهو الضم ، وجمع أيضا على وثن ، مثل أسد وآساد وأسد ؛  
وسمى وثنًا لانتصابه وبقائه على حال واحدة ، من قولك : وثن فلان بالمكان ؛ فهو وثن ؛  
وهو الثابت الدائم .

قوله : « فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ » ، أى ظهر من غير أن يُرَى بالبصر ، بل بما نبههم عليه  
في القرآن من قصص الأولين ، وما حل بهم من النقمة عند مخالفة الرسل .

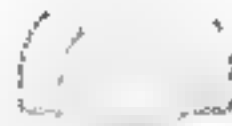
والمثلاث ، بضم التاء : المقوبات .

فإن قلت : ظاهر هذا الكلام أن الرسول عليه الصلاة والسلام بُشِّرَ إِلَى النَّاسِ  
لِيَقْرَأُوا بِالصَّانِعِ وَثَبِتُوهُ ؛ وهذا خلاف قول المنزلة ، لأن فائدة الرسالة عندهم هي إلطاف



المكلفين بالأحكام الشرعية للقرابة إلى الواجبات العقلية ، والمبعدة من المفهومات العقلية ، ولا مدخل للرسول في معرفة الباري سبحانه ، لأن الخلق يُوجبها ، وإن لم يبعث الرسل ! قلت : إن كثيرا من شيوخنا أوجبوا سنة الرسل ؛ إذا كان في حشهم المكلفين على ما في العقول فائدة ؛ وهو مذهب شيخنا أبي علي رحمه الله ، فلا يمتنع أن يكون إرسال محمد صلى الله عليه وآله إلى العرب وغيرهم ، لأن الله تعالى علم أنهم مع تفتيته إياهم على ما هو واجب في عقولهم من المعرفة أقرب إلى حصول المعرفة ؛ حينئذ يكون بمنته لطفًا ، ويستقيم كلام أمير المؤمنين .

...



الأصل :

وإنه سيأتي عليكم من بملدي زمان ليس فيه شيء أحق من التلق ، ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ؛ وليس عند أهل ذلك الزمان سيلة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أفق منه إذا حُرِّفَ عن مواضعه ، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ، ولا أعرف من النكر ، فقد نبذ الكتاب حمله ، وتناساه حفظه ؛ فالكتاب بوته وأهله طريدان متفيان ، وصاحبان مضطحيان ، في طريق واحد لا يؤويهما مؤوي ؛ فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليس فيهم ، ومعهم وليس معهم ؛ لأن الصلاة لا توافق الهدى وإن اجتمعا .

فاجتمع القوم على الفرقة ، وافترقوا عن الجماعة ؛ كأنهم أئمة الكتاب ؛ وليس الكتاب إمامهم ، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه ، ولا يعرفون إلا خطه وذبره ، ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثله ، وسموا صدقهم على الله فريضة وجعلوا

فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةُ السَّيِّئَةِ ؛ وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَسْلَكُمْ طُولَ آمَالِهِمْ ، وَنَعِيبُ  
آجَالِهِمْ ؛ حَتَّى تَزَالَ بِهِمُ الْوُغُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ  
مَعَهُ الْفَارِقَةُ وَالنَّقْمَةُ .

\*\*\*

## الْبُزْرُ :

أخبر عليه السلام أنه سيأتي على الناس زمان من صفته كذا وكذا ؛ وقد رأيناه ورآه  
مَنْ كَانَ قَبْلَنَا أَيْضًا ؛ قَالَ شُعْبَةُ إِمَامُ الْحَدِيثَيْنِ : تِسْعَةُ أَصْحَارِ الْحَدِيثِ كَذِبٌ . وَقَالَ الدَّارِقُطْنِي :  
مَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ . وَأَمَّا غَلَبَةُ  
الْهَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَحْفَى الْحَقُّ عِنْدَهُ ، مَظَاهِيرُهُ  
وَأَثُورُ : أَصْدُ ، مِنْ بَارِ الشَّيْءِ ، أَيْ هَلَكَ ، وَفُلْسُفَةُ : النَّفَاعُ ، وَنَبَذَ الْكِتَابَ : أَلْقَاهُ  
وَلَا يُؤْوِيهِمَا : لَا يَصْنَعُ إِلَيْهِ ، وَيَبْزُلُهُمَا عَنْهُمْ ،  
وَالزُّبُرُ : مَصْدَرُ زَبَرْتُ أَرْبُرُ بِالضَّمِّ ، أَيْ كَتَبْتُ ، وَحَاءُ يَزِيرُ بِالْكَسْرِ ، وَالزُّبُرُ  
بِالْكَسْرِ : الْكِتَابُ وَجَمْعُهُ زُبُورٌ ؛ مِثْلُ يَقْدُرُ وَقُدُورُ ، وَقَرَأَ أَصْمَعُ : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ  
زَبُورًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، أَيْ كَتَبْنَا . وَالزُّبُورُ ، فَتَحُّ الزَّيْ : الْكِتَابُ الْمَزْبُورُ ، فَعُولٌ مَعْنَى مَفْعُولٌ ؛  
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَنَا أَعْرِفُ يَزِيرُ بَرْنِي <sup>(٢)</sup> أَيْ خَطِي وَكَتَابِي .  
وَمَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ ، بِالتَّعْضِيفِ : نَكَلُوا بِهِمْ ، مَثَلْتُ بِفُلَانٍ أَمَثُلُ بِالضَّمِّ مَثَلًا بِالْفَتْحِ  
وَسَكُونِ التَّاءِ ، وَالْأَسْمُ الْمَثَلَةُ بِالضَّمِّ ؛ وَمَنْ رَوَى « مَثَلُوا » بِالتَّشْدِيدِ ؛ أَرَادَ جَدَّعُوهُمْ  
مَدَّ قَتْلَهُمْ .

« وَعَلَى » فِي قَوْلِهِ : « وَسَمِعُوا صَدَقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً » ، لَيْسَتْ مُتَعَلِّقَةٌ بِصَدَقَهُمْ ، بَلْ بِفَرِيَةٍ ،

(١) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ . ٥٥ .

(٢) الصَّحَاحُ ٢ . ٦٦٧ .

أى وسموا صدقهم غربة على الله ؛ فإن امتنع أن يتعلق حرف الجرّ به لتقدمه عليه ، وهو مصدر ، فليكن متعلقاً بفعل مقدر دلّ عليه هذا المصدر للظاهر وروى : « وجعلوا إلى الحسنه المعقوبة السيئة » والرواية الأولى بالإضافة أكثر وأحسن .

والموعود هاهنا : الموت . والقارعة : المصيبة تفرّع ، أى تلقى شدة وقوة .

\*\*\*

### الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَمْسَحَ أَفْهَ وَفَقَ ؛ وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى فَلَيْتَ هِيَ أَقْوَمُ ، فَإِنْ جَارَ أَفْهَ آمِنٌ ، وَعَدُوُّهُ حَافِيٌ .

وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ أَفْهٍ أَنْ يَتَعَظَّمَ ؛ فَإِنْ رَفَعَهُ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مَا عَظَمْتَهُ أَنْ يَتَوَاصَّوْا لَهُ ، وَلَسَلَامَةُ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مَا قَدَّرْتَهُ أَنْ يَتَسَلَّمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنْ أَلْحَقٍ يَفَارِ الصَّحِيحَ مِنَ الْأَجْرِبِ ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّعَمِ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ارْتِشَادَ حَقِّ تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكُّهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَقِّ تَعْرِفُوا الَّذِي خَصَّهُ ، وَلَنْ تَمْسُكُوا بِهِ حَقِّ تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ . فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ أَهْلِ ؛ فَبَيْنَهُمْ مَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ ؛ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنَاطِقِهِمْ ؛ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ؛ لَا يُخَافُونَ الَّذِينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

\*\*\*

### الشرح :

من استمصح الله : من أطاع أوامره وعلم أنه يهديه إلى مصالحه ، ويردّه عن مفسده ويرشده إلى ما فيه نجاته ، وبصره عما فيه عظمه .

والتي هي أقوم : بمعنى الحلة والخلة التي أتباعها أقوم ؛ وهذا من الألفاظ القرآنية ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ <sup>(١)</sup> . والمراد بتلك الحلة المعرفة بالله وتوحيده ووعد له .

ثم سبى عليه السلام عن النكبر والتعظم وقال : إن رفعة القوم الذين يعرفون عظمة الله أن يتواضعوا له . وما عاينا ، بمعنى أى شيء ، ومن روى بالنصب جعلها زائدة . وقد ورد في ذم التعظم والنكبر ما يطول استقصاؤه ؛ وهو مذموم على العباد ، فكيف بمن يتمتع على الخلق سبحانه وإياه لمن الهالكين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما افتخر : « أبا سيد ولد آدم » ، ثم قال : « ولا فخر » ، فجهر بلفظة الافتخار ، ثم أسقط استعالة الكبر ؛ وإنما جهر بما جهر به ؛ لأنه أدهم . قام شكر النعمة والتحدث بها ، وفي الحديث المرفوع عنه صلى الله عليه وآله : « إن الله قد أذهب عنكم حجة الجاهلية وفخرها بالآباء ؛ الناس بنو آدم ، وآدم من تراب ؛ مؤمن نقي ، وفاجر شقي . لينسبين أقوام يفتخرون برجال ، إنما هم غم من غم حنم ، أو يكونون أهون على الله من جملان تدفع الثمن بأنفها » . قوله : « واعلموا أنكم لن تدركوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه » ، فيه تنبيه على أنه يجب البراءة من أهل الضلال ؛ وهو قول أصحابنا جيمهم ، فإنهم بين مكفر لمن خالف أصول التوحيد والعدل - وهم الأكلون - أو معشوق ، وهم الأقلون ؛ وليس أحد منهم معذورا عند أصحابنا وإن ضل بعد النظر ، كما لا نمنر اليهود والنصارى إذا ضلوا بعد النظر . ثم قال عليه السلام : « فالتمسوا ذلك عند أهله » ، هذا كناية عنه عليه السلام ؛ وكثيرا ما يسلك هذا المسلك ، ويعرض هذا التعريض ؛ وهو الصادق الأمين العارف بأسرار الإلهية .

ثم ذكر أن هؤلاء الذين أمرَ باتِّباعهم بنبي . حكمهم عن علمهم ، وذلك لأن الامتحان يظهر خبيثة الإنسان .

ثم قال : « وصمتهم عن نطقهم » ، صمت المعارف أبلغ من نطق غيره ؛ ولا يخفى فضل الفاضل وإن كان صامتا .

ثم ذكر أنهم لا يخالفون الله بن لأهم قوامه وأرنامه ؛ ولا يختلفون فيه ، لأن الحق في التوحيد والمعدل واحد ، فالذين بينهم شاهد صادق بأحدون محكمه ؛ كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق .

وصامت بامتنان ؛ لأنه لا ينطق بنفسه بل لا بد له من مترجم ؛ هو صامت في الصورة ، وهو في المسمى أنطق بالناطقين ، لأن الأوامر وسوامي والآداب كلها مبنية عليه ، ومتفرعة عليه .

(١٤٨)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَبْطِئُهُ هَتَمُهُ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ، وَلَا يَمْتَدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبٍّ لِصَاحِبِهِ؛ وَهَذَا قَبِيلٌ يَكْشِفُ فِتْنَاهُ بِهِ. وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَهْتَفَرُوا عَنْ هَذَا قَسَ هَذَا؛ وَلَتَأْتِيَنَّ هَذَا قَلْبَ هَذَا.

قَدْ قَامَتِ الْمِنَّةُ الْبَاطِنَةُ فَابْنُ الْحَنَسِيَّوْنَ؛ قَدْ سُلَّتْ لَهُمُ الشُّنَّةُ، وَقَدَّمَ لَهُمُ الْخَلْبُ؛ وَلِكُلِّ ضَرْبٍ مِلَّةٌ، وَلِكُلِّ مَا كَثُرَتْ شُبُهَةٌ.

وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمَا تَرَى الْقَدَمَ، بَسَحَ النَّاعِي؛ وَيَحْضُرُ الْبَاكِي، ثُمَّ لَا يَمْتَرِي.

...

الشرح:

ضمير التثنية راجع إلى طائفة وزرير رضى الله عنهما. ويمتنان: يتوسلان؛ الماضي ثلاثي؛ مَتَّ يَمْتُ بالصم. والضَّبُّ: الحقد والحسبون: طالبو الحسبة؛ وهى الأجر. ومستمع القدم كناية عن الضم؛ تسمع وقع الحجر يباب جحرها من يد الصائد فتخطل وتسكف

جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها ؛ يقول : لا أكون مقراً بالضم رافضاً<sup>(١)</sup> ؛  
أسمع الناصي المخير عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه ، فلا يكون عندي من  
التنكير والإنكار قلبك ؛ إلا أن أسمه وأحضر الباكين على قتلام .

وقوله : « لكل ضلة علة ، ولكل ناكث شبهة » هو جواب سؤال مقدر ، كأنه  
يقول : إن قيل : لأي سبب خرج هؤلاء ؟ فإنه لا بد أن يكون لهم تأويل في خروجهم ؛  
وقد قيل : إنهم يطالبون بدم عثمان ؛ فهو عليه السلام قال : كل ضلالة فلا بد لها من علة  
افتضتها ، وكل ناكث فلا بد له من شبهة يستند إليها .

وقوله : « ليهتزمن هذا نفس هذا » قول صحيح لا ريب فيه ، لأن الرئاسة  
لا يمكن أن يدبرها اثنان معا ، فلو صح طعنا ما أراداه لوئب أحدهما على الآخر فقتله ؛  
فإن الملك عقيم ؛ وقد ذكر أرباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب ،  
فإنهما اختلفا في الصلاة ، فأقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ؛ يصلي هذا  
يوما ، وهذا يوما ، إلى أن تنقضى الحرب .

ثم إن عبد الله بن الزبير ادعى أن عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار ، واحتج في  
ذلك بأنه استخلفه على الصلاة ، واحتج تارة أخرى بدم صريح زعمه وأدعاه ، وطلب  
طلحة من عائشة أن يسلم الناس عليه بالإمرة ، وأدلى إليها بالتيمة ، وأدلى الزبير إليها  
بأسماء أختها ، فأمرت الناس أن يسلموا عليهما معا بالإمرة .

واختلفا في تولي القتال ، فطلبه كل منهما أولا ، ثم نكّل كل منهما عنه  
وتفادى<sup>(٢)</sup> منه .

وقد ذكرنا في الأجزاء للتقدمة قطعة سالحة من أخبار الجمل .

(١) يقال : رغب إليه ، إذا أسمى . (٢) تفادى منه : تخلى عنه .

## [ من أخبار يوم الجمل ]

وروى أبو مخنف ، قال : لما تراخى الناس يوم الجمل والتقوا ، قال على عليه السلام لأصحابه : لا يرمين رجل منكم بسهم ، ولا يطمعن أحدكم فيهم برمح ، حتى أحدث إليكم ؛ وحتى يبدؤكم بالقتال والقتل . فرى أصحاب الجمل عسكر على عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً ، فضج إليه أصحابه ، وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين . وجىء برجل إليه ، وإنه لى فسقاط له صفيح ، فقيل له : هذا فلان قد قتل . فقال : اللهم اشهد ، ثم قال : أعذروا إلى القوم ، فأتى برجل آخر قتل : وهذا قد قتل : فقال : اللهم اشهد ، أعذروا إلى القوم ، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، بحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل ، قد أصابه سهم فقتله ، فوضعه بين يدي على عليه السلام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا أخى قد قتل ؛ فمد ذلك استرجع على عليه السلام ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفصول قلبها ، فدخلت بطنه فرفضها بيده ، وقال لبعض أهله ، اغزم وسطه بعامة ، وتغلذ ذا العقار ، ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله صلى الله عليه وآله السوداء ، وتعرف بالمعقاب ، وقال لحسن وحسين عليهما السلام : إنما دفعت الراية إلى أخيكما وتركتهما لكما من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

قال أبو مخنف : وطاف على عليه السلام على أصحابه ، وهو يقرأ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْجُومُ الْأَسْمَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَذَكَرُوا حَتَّى جَاءَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَتَى تَصْرُوهَا إِنْ تَصْرُوهَا قَرِيبٌ ﴾<sup>(١)</sup>.



ثم قال : أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأمرنا لنا ولكم ظهراً  
في كل أمر . ثم رفع مصحفاً يده ، فقال : مَنْ يأخذ هذا المصحف ، فيدعوهم إلى ما فيه ،  
وله الجنة ؟ فقام غلام شاب اسمه مسلم ، عليه قباء أبيض ، فقال : أنا آخذه ، فنظر إليه  
علي وقال : يا فتى ، إن أخذته ، فإن يدك اليمنى تقطع ، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ، ثم  
تضرب بالسيف حتى تقتل فقال : لا صبر لي على ذلك ، فتأدى علي ثأبته ، فقام الغلام ،  
وأعاد عليه القول ، وأعاد الغلام القول مراراً ؛ حتى قال الغلام : أنا آخذه ؛ وهذا الذي  
ذكرت في الله قاتل ، فأخذه وأطلق ، فلما خالطهم ناداهم : هذا كتاب الله بيننا وبينكم .  
فضربه رجل فقطع يده اليمنى ، فتناوله باليسرى فصره أخرى فقطع اليسرى ، فاحتضنه  
فضربوه بأسيا فمهم ، حتى قتل فقالت أم ذريح المبدية في ذلك <sup>(١)</sup> :

يارب إن مسلماً أتاهم <sup>(٢)</sup> / كمصحف أرسله مولاهم  
للمدل والإيعاز قد دعاهم <sup>(٣)</sup> بتلو كتاب الله لا يحشاهم  
لخصبوا من دمه طلباهم <sup>(٤)</sup> وأمههم واقفة ترَاهم <sup>(٥)</sup>  
• تأمرهم بالعمى لا تنهاهم <sup>(٦)</sup> •

قال أبو مخنف : فعند ذلك أمر علي عليه السلام ولده محمد أن يحمل الراية ، فحمل  
وحمل معه الناس ، واستعمر القتل في العربيتين وقامت الحرب على ساق .

• • •

(١) الأسماء والحمر في تاريخ الطبري ( حوادث سنة ٣٦ ) مع الخلاف في الرواية و ترتيب الأسماء .  
(٢) الطبري : « لاهم إلى مسلماً دعاهم » .  
(٣) الطبري : « قد حضرت من عنق لاهم » .  
(٤) الطبري : « وأمههم واقفة » .  
(٥) الطبري : « يأمرهم بالعمى » .

## [ مقتل طلحة والزبير ]

قال : فأما طلحة ، فإن أهل الجبل لما تضرعوا قال صهوان : لا أطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم ! فأتى له بسهم فأصاب ساقه ، فقطع أكماله<sup>(١)</sup> ، فجعل الدم يفيض<sup>(٢)</sup> ، فاستدعى ابن مولى له بقة ، فركبها وأدبر ، وقال لمولاه : ومعك أمان مكان أقدركه على النزول ، فقد قتلى الدم ! فيقول له مولاه : انم ، وألا لحقت القوم ، فقال : بالله<sup>(٣)</sup> مارأيت مصرع شيخ أصبح من مصرعي هذا ! حتى انتهى إلى دار من دور البصرة ، فنزلها ومات بها .

وقد روى أنه رأى قبل أن يرميه مروان ، وجرح في غير موضع من جسده .

وروى أبو الحسن اللدائي أن عليا عليه السلام مر بطلحة ، وهو يكيد<sup>(٤)</sup> نفسه ، فوقف عليه وقال : أما والله إن كنت لأبض أن أراك مصرعين في البلاد ، ولكن ما حتم واقع ، ثم تمثل :

وما يدري إذا أزمعت أمراً      بأي الأرض يدركك القيل<sup>(٥)</sup>

وما يدري الفقير متى غناه      ولا يدري الفتي متى يعيل<sup>(٦)</sup>

(١) الأكل : عرف في القراع .

(٢) يفيض : يسيل قليلا قليلا .

(٣) بالله : ج د : د تاقه .

(٤) يكيد : هو يكيد نفسه ، أي يهود بها ! وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على سعد ابن معاذ ، وهو يكيد نفسه ، فقال : « هذا أقمس سيد قوم ، فقد صدقت الله ما وعدته ، وهو صادق ما وعدك » .

(٥) من آيات في القرآن ( عيل ) ونسبها إلى أحيحة ؛ والبيت الأول في الأغانى ٢١ : ١٠٦ ( من غير نسبة ) .

(٦) يعيل : يختار .

وما تدري إذا أتعت شولا<sup>(١)</sup> أنتج بعد ذلك أم تحيل<sup>(٢)</sup>

• • •

وأما الزبير فقتله ابن جرموز غيلة بوادي السباع، وهو منصرف عن الحرب، نادى على مفرط منه؛ وتقدم ذكر كيفية قتله فيما سبق.

وروى السكلي، قال: كان العرق الذي أصاب السهم إذا أمسكه طلعة بيده استمسك، وإذا رفع بيده منه سال، فقال طلعة: هذا سهم أرسله الله تعالى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً؛ ما رأيت كالهم دم قرش أضيع!

قال: وكان الحسن البصري إذا سمع هذا وحكى له، يقول: ذُقْ عَقَق<sup>(٣)</sup>! وروى أبو مخنف، عن عبد الله بن عون، عن نافع، قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: أما قتلت طلعة.

وقال أبو مخنف: وقد قال عبد الملك بن مروان: لولا أن أبي أخبرني أنه رمى طلعة فقتله، ما تركت تيمناً إلا قتله، نعمان قال: بنى ابن محمد بن أبي بكر وطلعة قتلاه، وكما تيمنين.

قال أبو مخنف: وحدثنا عبد الرحمن بن حنظل، عن أبيه جندب بن عبد الله، قال: مررت بطلعة، وإن معي عصا به يقاتلهم، وقد فشت فيهم الجراح، وكثرهم الناس، فرأيت حريصاً، والسيوف في يده، وأصحابه يتصدعون<sup>(٤)</sup> عنه رجلاً رجلاً، واثنين فائتين؛ وأنا أسهم، وهو يقول: عباد الله، الصبر الصبر؛ فإن بعد الصبر النصر والأجر؛

(١) الشول من النوق: التي حن لها ولرغم صرعها، وآتى عليها صبة أشهر من يوم تساجوا، فلم يبق من ضرعوها إلا شول من القذ أو حنة.

(٢) تحيل: لم تفلح.

(٣) العقق، كشط: طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب، وجناحه أكبر من جناحي الحمامة، والغرب تضربه به اللبلب فلا يحمى.

(٤) يتصدعون: يترقبون، ويؤذون، يتصدعون.

قلت له : النجاء النجاء ! شكيتك أمك أفوانه ما أجرت ولا نصرت ؛ ولكنك وزرت وخسرت ؛ ثم صيحت بأصحابه ، فاندعروا عنه ، ولو شئت أن أطعمه لطعمته ، قلت له : أما والله لو شئت لجذلتك في هذا الصيد<sup>(١)</sup> ، قال : والله لم لك هلاك الدنيا والآخرة إذنا قلت له : والله لقد أسيت وإن دمك لحلال ، وإنك لمن الناصين . فانصرف ومعه ثلاثة نفر ، وما أدرى كيف كان أمره إلا أني أعلم أنه قد هلك .

وروى أن طلعة قال ذلك اليوم : ما كنت أعلن أن هذه الآية زلت فينا : ﴿ وَأَقْنُوا قِذَّةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وروى اللدائقي ، قال : لما أدير طلعة وهو جريح يرتاد مكانا ينزله<sup>(٣)</sup> ، جعل يقول لمن يمر به من أصحاب علي عليه السلام : أنا طلعة ، من يهزني أكررها . قال : فكان الحسن البصري إذا ذكر ذلك يقول : لقد كان في جوار هريص .

(١) الصيد : القرب .  
(٢) سورة الأعراف ٧٥ .  
(٣) ب : « يرتاد منزله » .

(١٤٩)

## الأجل

ومن كلام له عليه السلام قبل موته :

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ أَمْرٍ لَا يَمَيِّزُ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ، الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاةُ .

كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَنْجَسْتُهَا عَنْ مَسْكُونٍ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيَّاهُ ! عِلْمٌ تَحْزُونُ .

أَنَا وَصِيَّتِي ، فَإِنَّهُ لَا تَشْرِكُوا إِلَهَ شَيْئًا ، وَبِحَمْدِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَضَيُّعُوا سُنَّتَهُ ، أَقِيمُوا هَذِينَ الْمُؤَدِّينَ ، وَأَوْفِدُوا هَذِينَ الْمُعْبَاهِينَ ، وَحَلَاكُمْ ذَمُّ مَالٍ تَشْرُدُوا . حَلَّ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ تَحْهُودُهُ ، وَخُفَّ عَنْ الْجَهْلَةِ . رَبُّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَوِيمٌ ، وَلِإِمَامٍ عَلِيمٌ .

أَنَا بِالْأَنْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ ! غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ إِنْ تَبَعْتَ الْوَطْأَةَ فِي هَذِهِ الْأَرَاةِ فَذَلِكَ ، وَإِنْ تَذَخَصِ الْقَدَمُ ، فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَبُ رِيَّاحٍ ، وَتَحْتَ طِينِ غَمَامٍ . اضْمَحَلَّ فِي الْجَلْبُوتِ مُتَلَفُّهَا ، وَغَفَا فِي الْأَرْضِ تَحَطُّهَا .

وَأَنَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بِدَيِّ أَيْمَانَا ، وَسَتَقْبَلُونَ مِنِّي جَنَّةَ خَلَاءٍ ، سَاكِتَةٍ بَعْدَ حَرَائِكِ ، وَصَامِتَةٍ بَعْدَ نَطْقٍ . لِيَبْطَأَكُمْ هُدُونِي ، وَخَفُوتُ إِطْرَافِي ، وَسُكُونُ أَمْرِي ! فَإِنَّهُ أَوْعَظُ الْمُقْبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْبَلْبِخِ ، وَالْقَوْلِ الْمُسْمُوعِ .

وَدَائِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مَرَصِدٌ فَيُنْثَلِقُ اَغْدَا تَرَوْنَ اَبَائِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ  
عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي ، وَتَقِيَامُ غَيْرِي مَقَامِي .

•••

### الشيخ :

أطردت الرجل ، إذا أمرت بإخراجه وطرده ، وطردته إذا نفيتَه وأخرجته ؛  
فالإطراد أدل على العز والقهر من الطرد ، وكأنه عليه السلام جعل الأيام أشخاصا يأمر  
بإخراجهم وإصاדם عنه ، أي ما زِلْتُ أبحث عن كيفية قتل ، وأي وقت يكون بعينه ،  
وفي أي أرض يكون ، يوما يوما ، فإذا لم أجده في اليوم أطردته واستقبلت غده ؛ فأبحث  
فيه أيضا فلا أعم ، فأبده وأطرده ، وأسأف يوما آخر ، هكذا حتى وقع المقدور . وهذا  
الكلام يدل على أنه لم يكن يرق حال كله معرفة مفصلة من جميع الوجوه ، وأن رسول  
الله صلى الله عليه وآله أعلم بذلك علما مجملا ؛ لأنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وآله قال له :  
« ستضرب على هذه » وأشار إلى هامته - فغضب منها هذه - وأشار إلى لحيته ، وثبت  
أنه صلى الله عليه وآله قال له : « أتسلم من أشقى الأولين » ؟ قال : نعم ، طاهر  
الغاية ، فقال له : « أتسلم من أشقى الآخرين » ؟ قال : لا ، قال : « من يضربك هاهنا ،  
فيغضب هذه » .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على  
أنه يموت من ضربه ، ألا تراه يقول : إن ثبتت الوطأة في هذه المزة فذاك ، وإن تدحى  
فلنما كُنَّا في أهواء أخصان ، وسهابة رياح ، أي إن سلتُ فذاك الذي تطلبونه ، يخاطب  
أهله وأولاده ، ولا ينبغي أن يقال : « فذاك ما أطلب » ، لأنه عليه السلام كان يطلب الآخرة ،

أكثر من الدنيا . وفي كلامه للنقل عنه ما يؤكدهما قلناه ؛ وهو قوله : « إن عشت فأناولي<sup>(١)</sup> دمي ، وإن ميت فضربة بضربة » .

وليس قوله عليه السلام : « وأنا اليوم عيزة لكم ، وغداً مفارقكم » وما يجرى مجراه من ألقاظ الفصل بنافس<sup>(٢)</sup> لما قلناه ؛ وذلك لأنه لا يبنى عدداً بعينه ، بل ما يستقبل من الزمان ، كما يقول الإنسان الصحيح : أنا عدا ميت ، فإلى أحرص على الدنيا ؛ ولأن الإنسان قد يقول في مرضه الشديد لأهله وولده : ودّعكم وأنا مفارقكم ، وسوف يخلو منزلي متى ، وتتأسفون على فراق ، وتعرفون موصي بعدى ؛ كله على غلبة الغن ؛ وقد يقصد الصالحون به المظلة والاعتبار وجذب الداعمين إلى جاب التقي ، وردعهم عن الهوى وحب الدنيا .

فإن قلت : لما نصنع قوله عليه السلام لأبن ملجم :  
أريدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَدِيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَادٍ<sup>(٣)</sup>  
وقول الخالص من شيمته : فملا نقتله ؛ فقال : فكيف أقتل قاتلي ؛ وتارة قال : إنه لم يقتل ، فكيف<sup>(٤)</sup> أقتل من لم يقتل ؛ وكيف قل في البط الصانع خنقه في المجد ، ليلة صرته ابن ملجم : دعوهن ، فإنهن نوائح . وكيف قال تلك الآية : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكوت إاليه ، وقلت : ما بقيت من الأود والدد ؛ فقال : ادع الله عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني بهم حبرا منهم ، وأبدلهم بي شرأمني ؛ وكيف قال : إني لا أقتل محاربا ، وإنما أقتل فتكاً وعيلة ، يقتلني رجل حامل الذكر . وقد جاء عنه عليه السلام من هذا الباب آثار كثيرة .

قلت : كل هذا لا يدل على أنه كان يعلم الأمر مفصلاً من جميع الوجوه ، ألا ترى أنه

(١) : « عناولى » .

(٢) من أبيات في الآلى ٦٣ ، سبها إلى عمر و بن عبدكرب ؛ وروايته فيها : « أريد حياته » .

ليس في الأخبار والآثار ما يدل على الوقت الذي يقتل فيه بئنه، ولا على المكان الذي يقتل فيه بئنه ! وأما ابن ملجم ، فمن الجائز أن يكون علم أنه هو الذي يقتله ، ولم يعلم حلاً محققاً أن هذه الضربة ترهق نفسه للشرية منها ، بل قد كان يجوز أن يُبيل ويُفريق منها ؛ ثم يكون قتله فيما بعد قتل يد ابن ملجم ، وإن طال الأمد . وليس هنا بمستحيل ، وقد وقع مثله ، فإن عبد الملك جرح عمرو بن سعيد الأشلق في أيام معاوية على منافرة كانت بينهما ففما عمرو عنه ، ثم كان من القضاء والقدر أن عبد الملك قتل عمراً أيضاً بيده ذبحاً ، كما تذهب الشاة .

وأما قوله في البطل : «دعوهن فإهن نوائح» قلعه علم أنه تلك الليلة يصاب ويخرج ، وإن لم يعلم أنه يموت منه ، والنوائح قد ينعن على المقتول وقد ينعن على الجرح ، والتمام والدعاء لا يدل على العلم بالوقت بئنه ، ولا يدل على أن إجابته تكون على الفور لا محالة .

ثم نعود إلى الشرح .

أما قوله : «كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره» ، أي إذا كان مقدوراً ، ولا فقد رأياً من يفر من الشيء . وبطل ، لأنه لم يقدّر ؛ وهذا من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّشِيدَةٍ ۖ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَصَاجِمِهِمْ ۖ ﴾<sup>(٢)</sup> ومن قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْمَوْتُ الَّذِي تُقَرِّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفي القرآن العزيز مثل هذا كثير . قوله : «والأجل مساق النفس» أي الأمر الذي تساق إليه ، وتنتهي عنده ، وتقف إذا بلغت فلا يبقى له حينئذ أكلة في الدنيا .

(١) سورة النساء ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٤ .

(٣) سورة الجمعة ٨ .



قوله : « والمهرب منه موافقته » ، هذا كلام خارج مخرج المبالغة في عدم النجاة ، وكون القرار غير ممن ولا عاصم من الموت ، يقول : المهرب بعينه من الموت موافقة للموت ، أى إتيان إليه ، كأنه لم يرتض بأن يقول : المهرب لا بد أن ينتهى إلى الموت ، بل جعل نفس المهرب هو ملاقة الموت .

قوله : « أبجتها » أى أكشفها ، وأكثر ما يستعمل « بحث » مَعْدَى بحرف الجر ، وقد عداه هاهنا إلى « الأيام » بنفسه وإلى « مكنون الأمر » بحرف الجر ، وقد جاء : بحث الذجاجة التراب ، أى نبشته .

قوله : « فأبى الله إلا إخفاؤه » هيهات علم مخزون « تحذيره : هيهات ذلك ! مبتدأ وخبره ، هيهات اسم للفعل ، مستلهاً بـ « أبى » علم هذا النيب علم مخزون مصون ، لم أطلع عليه . فإن قلت : ما معنى قوله : « كم اطردت الأيام أبجتها » ؟ وهل يعلم الإنسان بموته كيف يكون ، وفي أى وقت يكون ، وفى أى أرض يكون ؟ مما يمكن استدراكه بالنظر والفكر والبحث ؟

قلت : مراده عليه السلام أنى كنت فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أسأله كثيراً عن هذا النيب ؛ فإنا نبأى منه إلا بأسور إجمالية غير مفصلة ، ولم يأذن الله تعالى فى إطلاعى على تفاصيل ذلك .

قوله : « فافقه لا تشركوا به شيئاً » الرواية المشهورة « فافقه » بالنصب ؛ وكذلك « عمداً » بتقدير فعل ، لأن الوصية تستدعى الفعل بعدها ، أى وحدوا الله ، وقد روى بالرفع ؛ وهو جائز على الابتداء والخبر .

قوله : « أقموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم ذم ما لم تشركوا » ، كلام داخل فى باب الاستعارة ، شبه الكتاب والسنة بمودى الخلية ، وبمصباحين

يُعضاء بهما . وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ : كلمة جارية مجرى التثنية ، معناها : ولا ذم عليكم ، فقد أعذرتم . وذم ، مرفوع بالفاعلية ، معناه : عذاكم وسقط عنكم .

فإن قلت : إذا لم يشركوا بالله ولم يضيعوا سنة محمد صلى الله عليه وآله فقد قاموا بكل ما يجب ، وانتهوا عن كل ما يفتقر ، فأى حاجة له إلى أن يستثنى ويقول : « ما لم تشركوا » ، وإنما كان يحتاج إلى هذه اللفظة لو قال : وصيقي إليكم أن تؤخذوا الله ، وتؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ، فإن حينئذ يحتاج إلى قوله : « ما لم تشركوا » ويكون مراده بها فعل الواجبات ، وتجنب المنهيات ، لأنه ليس في الإقرار بالوحدانية والرسالة العمل ، بل العمل خارج عن ذلك ، فوجب إذا أوصى أن يؤمن بالاعتقاد والعمل ، كما قال عمر لأبي بكر في واقعة أهل الردة : كيف تقاتلهم وهم مقررون بالشهادتين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فقال أبو بكر : إنه قال تحية هذا : « فإذا هم قالوها عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها » وأداء الزكاة من حقها .

قلت : مراده بقوله : « ما لم تشركوا » ما لم ترجعوا عن ذلك فكأنه قال : خلاكم ذم إن وحدتم الله وأنتمم سنة رسوله ، ودمتم على ذلك ولا شبهة أن هذا الكلام منظم ، وأن اللفظين الأولين ليستا بمعنىين عن اللفظة الثالثة <sup>(١)</sup> وبمقدار أن يتنبا عنه ، فإنما ذكره مزيد تأكيداً وإيضاحاً غير موجودين لو لم يذكر ، وهذا كقوله تعالى : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَحَسَّ اللَّهُ وَبَقَّهْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » <sup>(٢)</sup> ، وليس لقائل أن يقول : إن لفظ الله لا يكون مطيعاً لله والرسول ، وأى حاجة به إلى ذكر ما قد أغنى اللفظ الأول عنه . قوله : « نُحِلَّ كُلُّ أَمْرٍ مَحْمُودٍ » ، وخُفِّفَ عن الجهة ، هذا كلام متصل بما قبله ،

(١) به : « اللفظ الثالث » .

(٢) سورة النور ٥٢ .

لأنه لما قال : « عالم تشرذوا » أنبأ عن تكليفهم كل ما وردت به السنة النبوية : وأن يدوموا عليه ؛ وهذا في الظاهر تكليف أمور شاقة ، فاستدرك بكلام يدل على التخفيف ، فقال : إن التكاليف على قدر المكلفين ، فالعامة تكليفهم غير تكاليف العامة ، وأرباب الجمل والمبادى كائنات وأهل البادية وطوائف من الناس ، الغالب عليهم البلادة وقلة الفهم ، كأقاصى الحشنة والتزك ومحوم ، وهؤلاء عند المكلفين غير مكلفين ، إلا بحمل التوحيد والمدل ، بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المعقدة وحل المشكلات العامضة. وقد روى « تحمل » على صيغة الماضي ، و « مجهوده » بالنصب ، و « خفف » على صيغة الماضي أيضا ، ويكون الفاعل هو الله تعالى المقدم ذكره ، والرواية الأولى أكثر وأليق .

ثم قال : « ربّ رحيم » أى ربكم رب رحيم ودين قويم ، أى مستقيم . وإمام عليم ، أى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن الناس من يحمل « ربّ رحيم » فاعل « خفف » على رواية من رواها قسلا ماضيا وليس بمحسن لأن عطف « الدين » عليه يقتضى أن يكون الدين أيضا مخففا ، وهذا لا يصح .  
ثم دعا نفسه ولهم بالعفوان .

ثم قسم الأيام الماضية والحاضرة والمستقبلة قسمة حسنة ، فقال : « أنا بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم عبئة لكم ، وغدا معارفكم » ، إنما كان عبرة لهم لأنهم يرونه بين أيديهم ملقى صريحا بعد أن صرّح الأبطال ، وقتل الأقران ، فهو كما قال الشاعر :  
أَكَلُ أَشْلَاءِ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَاءِ أَضْحَى بَيْنَ وَشِلْوِهِ مَا كُولُ  
ويقال : دَحَضْتُ قَدَمُ فُلَانٍ ، أى رَلْتُ وَرَلْتُ .

ثم شبه وجوده في الدنيا بأفياء الأغصان ومهاب الرياح وخلال الممات ، لأن ذلك كله سريع الانقضاء لا ثبات له .

قوله : « اضْمَلْ في الجوِّ متلفقها ، وعَفَا في الأرض مَخْطُها » ، اضْمَلْ ذهب ، والميم زائدة ، ومنه الضمحل وهو الماء القليل ، واضْمَعَلْ السحاب : تَشَعَّ وذَهَب ، وفي لغة الكلابيين اضْمَعَلْ الشيء بتقديم الميم . ومتلفقها : مجتمعا ، أي ما اجتمع من النجوم في الجو ؛ والتلفيق : الجمع ؛ وعَفَا : دَرَسَ ، ومَخْطُها : أثرها ؛ كالمخطة .

قوله : « وإنما كنتُ جاراً جاوركم نَدَّني أياها » ، في هذا الكلام إشاراً بما يذهب إليه أكثر العقلاء من أمر النفس ، وأن هوية الإنسان شيء غير هذا البدن .

وقوله : « ستمقبون مني » أي إنما تجدون عقيب فقدي جنة ؛ بمعنى بدنًا خلاء ، أي لا روح فيه ؛ بل قد أقفر من تلك المعاني التي كنتم ترفقوها وهي العقل والخلق والقوة وغير ذلك . ثم وصف تلك الجنة فقال : « ساكنة بعد حرّك » بالفتح ، أي بعد حركة « وصامتة بعد نطق » وهذا الكلام أيضاً يُشعر<sup>(١)</sup> بما قلناه من أمر النفس ، بل بصرح بذلك ، ألا تراء قال : « ستمقبون مني جنة » ، أي تستقبلون بي جنة صفتها كذا ؛ وتلك الجنة جنته عليه السلام ، ومحال أن يكون الموص والموص عنه واحداً ، قلل على أن هويته عليه السلام التي أعقبها منها الجنة غير الجنة .

قوله : « لمظكم هدوي » ، أي سكوني ، وخوت أطراقي ، مثله خفت خفوتنا سكن ، وخفت خفاناً مات فجأة . وإطرافه : إرجاءه حينه ينظر إلى الأرض ، اضغفه من رفع جفنه ، وسكون أطرافه : بداه ورحلاه ورأسه عليه السلام .

قال : « فإنه أوعظ للمعتبرين من الملتحق البليغ ، والقول المسجوع » ؛ وصدق عليه السلام « فإن خطباً آخر من ذلك اللسان ، وهذا تلك القوي الخطب جليل ، ويجب أن يتعمق العقلاء به . وما عسى يبلغ قول الواعظين بالإضافة إلى مَنْ شاهد تلك الحال ، بل بالإضافة إلى من سمعها ، وأفكر فيها ، فضلاً عن مشاهدتها عياناً ؛ وفي هذا الكلام شبه من كلام الحكماء الذين تكلموا عند تابوت الإسكندر فقال أحدهم : حرّكنا بسكونه .

وقال الآخر : قد كان سيفك لا يحف ، وكانت مراقبك لا ترام ، وكانت قهقاتك لا تؤمن ، وكانت عطائك بفرح بها ، وكان صياؤك لا ينكشف ، فأصبح ضوءك قد سجد ، وأصبحت قهقاتك لا تخشى ، وعطائك لا ترجى ، ومراقبك لا تمنع ، وسيفك لا يقطع .

وقال الآخر : انظروا إلى حلم المنام كيف انحلى ، وإلى ظل العمام كيف انسل !  
وقال آخر : ما كان أحوجنا إلى هذا الحلم ، وإلى هذا الصبر والسكون أيام حياته !  
وقال آخر : القدرة العظيمة التي ملأت الدنيا العريضة الطويلة ؛ طويّت في ذراعين .

وقال الآخر : أصبح أسر الأسراء أسيرا ، وقاهر الملوك مقهورا . كان بالأمس مالكا ، فصار اليوم هالكا .  
ثم قال عليه السلام : « وَدَعَيْتُمْ وَدَاعِ امْرِئٍ مِرْصَدًا لِلتَّلَاقِ » ، أرصدته لكدا ، أى أعدته له ، وفي الحديث : « إِنْ لَا أَنْ أُرْصَدَهُ قَدِيمٌ عَلَى » . والتلاقى ها هنا : لقاء الله .  
وبروى : « وَدَاعِيَكُمْ » أى وداعى إياكم ، والوداع مفتوح الواو .

ثم قال : « غدا ترون أبابى ، ويكشف لكم عن سرائرى ، وتعرفوننى بعد حلو مكانى ، رقيام غيرى مقامى » ؛ هذا معنى قد تداوله الناس قديما وحديثا ، قال أبو تمام :  
رَاحَتٌ وَفُودُ الْأَرْضِ عَنْ قَبْرِ  
قَارِعَةِ الْأَيْدِ مِلَاءُ الْقُلُوبِ  
قد علت ما رزئت إنما يعرف قدر الشمس بعد العروب  
وقال أبو الطيب :

وَنَدَمَهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبَصَدَّهَا تَقْبِينَ الْأَشْيَاءِ<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ١ : ٢٩ ، وروايته : « وَبَدَعَهُمْ » .

ومن أمثالهم :

• الصد يظهر حسنه الصد •

ومنها أيضا : فولا سرارة المرض لم نعرف حلاوة العافية  
وإنما قال عليه السلام : « وبكشف لكم عن سرائري » ؛ لأنهم بعد فقدته وموته  
يظهر لهم ويثبت عندهم إذا رأوا وشاهدوا أسرة من بعده ، أنه إنما كان يريد بتلك  
الحروب العظيمة وجه الله تعالى ، وآلا يظهر المكرب في الأرض ، وإن ظن قوم في حياته  
أنه كان يريد الملك والديار .

(١٥٠)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام ويوم فيها إلى الملاحم :

وَأَحْذُوا بَيْنَنَا وَشِمَالًا ظُفَا فِي مَسَالِكِ أَلَمَى، وَتَرَا كَأَيْدَاهِ الرُّشْدِ؛ فَلَا تَسْتَعْمِلُوا  
مَاهُ كَائِنٌ مُرَصَّدٌ، وَلَا تَسْتَظِلُّوا مَا يَحْيِي بِهِ الْعَدُوُّ؛ فَسَكَمٌ مِنْ مُسْتَعْمِلٍ بِمَا إِنْ  
أَذَرَ كُهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يَذَرَ كُهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرٍ عَدُوًّا

بِأَقْوَمٍ، هَذَا إِبَانُ وَرُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَدُورٍ مِنْ طَلْعَةٍ مَالَا تَعْرِفُونَ. أَلَا وَإِنْ  
مَنْ أَذَرَ كُهُ مِثْلًا يَسْرِي فِيهَا بِسِرِّهِ مُبِيرٌ، وَتَحْذُوا فِيهَا قَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ  
فِيهَا رِبْقًا، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصْدَحَ شَهْبًا، وَيَشْتَبَ صَدْعًا؛ فِي سُرَّةٍ عَنِ النَّاسِ؛  
لَا يُصِيرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ؛ ثُمَّ لَيْشَحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ التَّصَلَّ،  
تُجَلَّى بِالتَّنْزِيلِ أَنْصَارُهُمْ، وَبُرْمَى بِالتَّسْبِيرِ فِي مَسَامِيهِمْ، وَيَنْبَقُونَ كَأَسِّ الْحَسَكَةِ  
بَعْدَ الصَّبُوحِ.

...

الشرح :

يذكر عليه السلام قوماً من فرق الصلال أحذوا بيننا وشمالاً ، أى ضلوا عن الطريق  
الوسطى التى هى منهاج الكتاب والسنة ؛ وذلك لأن كل فضيلة وحق فهو محبوس بطرفين  
خارجين عن العدالة ، وهما حابيا الإفراط والتفريط ؛ كالقطانة التى هى محبوسة

بالجر بزة والاضباوة، والشجاعة التي هي محبوسة بالهوى والجن، والجهود المحبوس بالتهذيب والشح؛ فمن لم يقع على الطريق الوسطى وأخذ يميناً وشمالاً فقد ضلّ.

ثم فسر قوله: «أخذ يميناً وشمالاً»، فقال: «ظلموا ظمناً في مسالك النقي»، وتركوا مذاهب الرشd تركاً». ونصب «تركاً» و«ظلمنا» على المصدرية، والعامل فيهما من غير لفظهما<sup>(١)</sup>؛ وهو قوله: «أخذوا».

ثم نهام عن استعجال ما هو ممدّد، ولا بدّ من كونه ووجوده، وإنا كنا كأننا لقرب كونه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِهِم مِّمَّنْ مُتُّونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ونهام أن يستعجلوا ما يجيئ في الغد لقرب وقوعه، كما قال:

• وإن خذا للناظرين قريب •

وقال الآخر:

• غدّ ماخذ لنا أقرب اليوم من غد •

وقال تعالى: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصَّبِيحُ الْأَيْسَرُ الصَّبِيحُ قَرِيبٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم قال: كم من مستعملٍ أسأ ويحرص عليه، فإذا حصل ودّاه لم يحصل! قال أبو المناهية:

مَنْ عَاشَ لَاقَ مَا يَسُو • من الأمور وما يسره<sup>(٤)</sup>

ولرب حَتَفٍ فَوْقَهُ دَهَبٌ وَبَاقُوتٌ وَدُرٌّ

وقال آخر:

فَلَا تَحْتَنِنَنَّ الدَّهْرَ شَيْئًا فَكَمْ أَمْتِيَةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّةً

(١) ب: «الظلمة».

(٢) سورة الزمر ٣٠.

(٣) سورة هود ٨٦.

(٤) ديوانه ٩٩.



وقال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وتباشير الصبح : أوائله .

ثم قال : يا قوم قد دما وقت القيامة ، وظهور العتق التي تظهر أمامها .  
وإبان الشيء ، بالكسر والتشديد : وقته ورمانه ، وكى عن تلك الأهوال بقوله :  
« وَذُنُوبٌ مِنْ طُلْعَةِ مَالٍ تَعْرِفُونَ » ؛ لأن تلك الملاحم والأشراط المائلة غير معهود مثلها ، نحو دابة  
الأرض ، والدجال وفتنته ، وما يظهر على يده من الخاريق والأمور للوهمة ، وواقعة  
السفينة وما يقتل فيها من الخلائق الذين لا يحصى عددهم .

ثم ذكر أن مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله ، وهو الذي عني بقوله : « وَإِنْ مِنْ  
أَدْرَاكِهِمَا مَثَلٌ يَسْرِى فِي ظُلُمَاتٍ هَذِهِ الْعِتَقِ بِسَرَّاجٍ مَنِيرٍ » ؛ وهو المهدي ، وأتباع  
الكتاب والسنة .

ويحذو فيها : يقتفى ويتبع مثال الصالحين ، ليحل في هذه العتق . وريقاً : أى حبل  
مفقودا .

ويستق ريقاً ، أى يستفك أسرّى ، وينقذ مظلومين من أيدي ظالمين .  
ويصدع شعباً ، أى يفرق جماعة من جماعات الضلال . ويشمب صدماً : يجمع  
ما تفرق من كلمة أهل الهدى والإيمان .

قوله عليه السلام : « فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ » ، هذا الكلام يدل على استتار هذا الإنسان  
المشار إليه ، وليس ذلك بنافع للإمامية في مذهمهم ، وإن ظنوا أنه تصريح بقولهم ؛ وذلك  
لأنه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخفيه الله تعالى في آخر الزمان ، ويكون مستترا مدة ،  
وله دعاة يدعون إليه ، ويقررون أمره ، ثم يظهر بعد ذلك الاستتار ؛ ويملك الممالك ؛

وبهر التول ؛ ويمهد الأرض ؛ كما ورد في قوله : « لا يبصر القائف » ، أى هو فى استنار شديد لا يدركه القائف ، وهو الذى يعرف الآثار ، والجمع « قافة » ، ولا يعرف أثره ولو استقصى فى الطلب ؛ وتابع النظر والتأمل .

ويقال : شَحَذْتُ السَّكِينَ أَشْعَدَّهُ شَحْذًا ، أى حَدَدْتَهُ ، يريد : لِيُجَرَّضَنَّ فى هذه اللام قوم على الحرب وقتل أهل الضلال ، وَلِنَشْعِذَنَّ عِزَانَهُمْ كَمَا يَشْعِذُ الصَّيْقِلُ السِّيفَ ، ويرقق حدة .

ثم وصف هؤلاء القوم المشعوذى المرائىم ؛ فقال : تَحْمَلُ مِصْرُومَ الْفَزِيلِ ، أى يكشف المرئين والقطاء من قلوبهم تلاوة القرآن وإلهامهم تأويله ومعرفة أسرار .

ثم صرح بذلك فقال : « ويرمى بالتفسير فى مسامعهم » ، أى يكشف لهم السطاء ، ويخلق المعارف فى قلوبهم ، ويلهمون فهمهم الموامض والأسرار الباطنة ، ويفتقون كأس الحكم صد الصبوح ، أى لا تزال المعارف الربانية والأسرار الإلهية تفيض عليهم صابحا ومساء ؛ فالفتوق كناية عن العيىس الحاصل لهم فى الأصل ، والصبوح كناية عما يحصل لهم منه فى العداوات ، وهؤلاء هم العارمون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة ؛ وحقيق بمنزلهم أن يكونوا أنصارا لولى الله الذى يعتنيه ، ويحققه فى آخر أوقات الدنيا ، فيكون خاتمة أوليائه ، والذى باقى عصا التكليف عنده .

•••

الأصل :

منها :

وَمَا لَئِنْ أَمَدَّ بِهِمْ لَيَسْتَكْبِلُوا الْيَوْمَ ، وَبَسْتَوْجِبُوا الْعِبْرَةَ ، حَتَّى إِذَا أَخْلَوْنَا

( ٩٠ هـ )

الْأَجَلُ، وَاسْتَرَّاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ وَاشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ؛ لَمْ يَمْنُتُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّغِيرِ،  
وَلَمْ يَسْتَمِظُوا بَذَلِ أَشْيَائِهِمْ فِي الْخَلْقِ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ،  
سَحَلُوا نَصَائِرَهُمْ عَلَى أَشْيَائِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ.

\*\*\*

### الْتِمِزُ :

هذا الكلام يتصل بكلام قبله ، لم يذكره الرسمى رحمه الله ، وهو وصف فئسة ضالّة  
قد استولت ومنتسكت ، وأمل لها الله سبحانه . قال عليه السلام : وطال الأمد بهم  
ليستكولوا الخرى ، ويستوجبوا العير ، أى النعم <sup>(١)</sup> التى يفرها بهم من نعم الله سبحانه ،  
كما قال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ  
فَنَدَمْنَا مَا نَدَمِيرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وكما قال تعالى : ﴿ سَنَنْزِلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
حق إذا اخلواق الأجل ، أى قارب أسرارهم الاقضاء ، من قولك : اخلوق السحاب ،  
أى استوى ، وصار خليقاً بأن يطير ، واخلوق الرسم : استوى مع الأرض .  
واستراح قوم إلى الفتن ، أى صبا قوم من شيعتنا وأوليانا إلى هذه الفئسة ، واستراحوا  
إلى صلاحها وفئسها ، واتبعوها .

واشتالوا عن لقاح حربهم ، أى رفضوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشنوا الحرب بينهم  
وبين هذه الفئسة ، مهادنة لها وسلما وكرامية للقتال ، يقال : شال فلان كذا ، أى عرفه ، واشتال  
« التمل » هو فى نفسه ، كقولك : حَبَّمْ زيد عمراً ، واحتشم هو نفسه . ولقاح حربهم :  
هو بفتح اللام ، مصدر من لَقَحْتُ القاذية .

قوله « لَمْ يَمْنُتُوا » ، هذا جواب قوله : « حَتَّى إِذَا » ، والصمير فى « يَمْنُتُوا » راجع إلى

(١) كذا فى د ، و ، ا ، ب : « والنعم » .

(٢) سورة الاسراء ١٦ .

(٣) سورة الاعراف ١٨٢ .

العارفين بالدين تقدم ذكرهم في الفصل السابق ذكره ، بقول : حق إذا ألقى هؤلاء السلام إلى هذه الفتنة مجزأ عن القتال ، واستراحوا من مبادئهم بدخولهم في ضلالهم وخفتهم ، إنما تنقية<sup>(١)</sup> منهم ، أو لشبهة دخلت عليهم ، أنهم الله تعالى هؤلاء العارفين الشجعان الذين خستهم بحكمته ، وأعلمهم على أسرار ملكوته قهضوا ، ولم يثبوا على الله تعالى بصبرهم ، ولم يستعملوا أن يبذلوا في الحق بموسمهم ؛ قال : حتى إذا وافق قضاء الله تعالى وقدره كي ينهض هؤلاء بقضاء الله وقدره في اقضاء مدة تلك الفتنة ، وارتفاع ما كان يميل الخلق من البلاء بملكها وإمرتها ، حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم . وهذا معنى لطيف ، يعني أنهم أطهروا بصائرهم وعقدت لهم قلوبهم للناس ، وحكشوها وجردوها من أجفانها ، مع تحريد السيوف من أجفانها ، فكانت شيء محمول على السيوف يصير من يصير السيوف ، ولا ريب أن السيوف المحررة من أجل الأجسام للأبصار ، فكذلك ما يكون محمولا عليها ، ومن الناس من فكش هذا الكلام ، فقال : أراد بالبصائر جمع بصيرة ، وهو الدم ، فكأنه أراد طهروا بآثارهم ولذمها التي سفكتها هذه الفتنة ، وكان تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على أسيافهم التي جردوها للعرب ، وهذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بهذه :

رَأَوْا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْطَافِهِمْ      وَتَصِيرَتِي بِمَذْهَبِهَا عَتَدُ وَأَيُّ<sup>(٢)</sup>

ومسره أبو عمرو بن العلاء ، فقال : يريد أنهم تركوا دم أبيهم وجملوه حلقهم ، أي لم يثأروا به ، وأما طلبت ثأري وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول في هذا البيت : البصيرة : الترس أو الدرع ، ويرويه : « حلوا بصائرهم » .

• • •

(١) كذا في ج ، وفي ا ، ب : « نية » ، وفي د : « نية » .

(٢) البيت في الصحاح ٢ : ٩٢ ، وبه إلى الأسر المحصى ، وهو أيضا في اللسان ٥ : ١٢٣ .

## الأصل .

حَتَّى إِذَا قَبَسَ اللَّهُ رُسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْنَابِ ، وَعَاثَهُمُ الشَّيْطَانُ ، وَأَتَاكَ لَوْلَا  
 عَلَى الْوَلَانِجِ ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِيمِ ، وَهَمَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمُودَّتِهِ ، وَتَقَلُّوا  
 الْبِنَاءَ عَنْ رَمَى أَسَابِهِ ، فَخَوَّهُ فِي غَيْرِ مَوْجِعِهِ  
 مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَنْبُوتُ كُلِّ صَارِبٍ فِي عَمَرِهِ قَدْ مَارُوا فِي الْخَيْرَةِ ،  
 وَذَهَلُوا فِي الشُّكْرِ ؛ عَلَى شَيْءٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ؛ مِنْ مُنْقَلِبٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبٍ ،  
 أَوْ مُفَارِقٍ لِلَّذِينَ مُنَابِرٍ

\*\*\*

## الشرح .

رَجَعُوا عَلَى الْأَعْنَابِ : تَرَكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، قَالَ سَمْعَاءُ : ﴿ وَمَنْ مُنْقَلِبٌ عَلَى  
 عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ أَفَّا شَيْئًا ﴾ <sup>(١)</sup>  
 وَعَاثَهُمُ الشَّيْطَانُ : أَهْلَكَهُمْ اِخْتِلَافُ الْأَرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ ، عَاثَ كَذَبًا ، أَيْ أَهْلَكَهُ ،  
 وَالشَّيْطَانُ : الطَّرْفُ .  
 وَالْوَلَانِجُ : جَمْعُ وَلِيجَةٍ ، وَهِيَ الْبِطَاطَةُ يَتَّخِذُهَا الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ ، قَالَ سَمْعَاءُ : ﴿ وَلَمْ  
 يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِيمِ ، أَيْ غَيْرَ رَحِمِ الرَّسُولِ أَفَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَذَكَرَ هَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) سورة آل عمران ١٠٥

(٢) سورة البقرة ١٦٥

ذِكْرًا مطلقاً غير مصافق لها ، كما يقول القائل : « أهل البيت » ، فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول .

وَهَجَرُوا السَّبَّ ، يَمْشِي أَهْلُ الْبَيْتِ أَيْضًا ؛ وهذه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله : « حَلَفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي » ؛ حَبْلَانِ مَمْدُودَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، لَا يَمْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْخَوْضِ » ، فَمَثَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ بِلَفْظِ « السَّبِّ » لَمَّا كَانَتْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ قَالَ : « حَبْلَانِ » ، وَالسَّبْبُ فِي الْقَمَةِ : الْجَهْلُ .

عَنِ نَفْوِهِ : « أَمِرُوا عَمُودَتَهُ » قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا التَّوَدُّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ <sup>(١)</sup> .

قوله : « وَثَقَلُوا الْبِنَاءَ مِنْ رَمَى أَهْلِهِ » ؛ الرَّمَى مِنْ مَصْدَرِ رَمَعْتُ الشَّيْءَ . أَرْضَهُ ، أَيْ أَصَفَتْ لِمَنْ يَمَسُّ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرُصُوصًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَتَرَامِي الْقَوْمِ فِي الصَّفِّ ، أَيْ تَلَاصَقُوا . فَبَيَّنَتْهُ فِي عَمَرِ مَوْصِفِهِ أَوْ ثَقُلُوا <sup>(٣)</sup> الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِهِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ . ثُمَّ ذَمَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُمْ مَعَادِنُ كُلِّ حَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ صَارِبٍ فِي عَمْرَةٍ » ، الْعَمْرَةُ : الصَّلَالُ ، وَالْجَهْلُ ، وَالصَّارِبُ فِيهَا : الدَّاحِلُ لِلْعَقْدِ لَهَا .

قَدْ مَارُوا فِي الْخَيْرَةِ ، مَارَ يَمُورُ إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَ ، فَكَأَنَّهُمْ يَسْبَحُونَ فِي الْخَيْرَةِ كَمَا يَسْبَحُ الْإِنْسَانُ فِي الْمَاءِ .

وَدَهَلُ فُلَانٍ ، بِالْفَتْحِ ، يَدْهَلُ عَلَى سَنَةِ مِنْ آلِ مَرْهُونٍ ، أَيْ عَلَى طَرِيقَةِ ، وَآلُ مَرْهُونٍ : أَتْبَاعُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَذْهِبُوا آلَ مَرْهُونٍ أَشَدَّ الْقَذَابِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الشورى ٢٣ .

(٢) سورة الصف ٥ .

(٣) ب : « وَثَقَلُوا » ، وَمَا أَتَيْهِ مِنْ د .

(٤) سورة عامر ٥٦ .

من منقطع إلى الدنيا : لا مَ له غيرها . راكن : يَخِلُّ إليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ <sup>(١)</sup> . أو مفارق للدين مبين <sup>(٢)</sup> : مزابل .

فإن قلت : أى فرق بين الرَجُلَيْنِ أو هل يكون المنقطع إلى الدنيا إلا مفارقا للدين ؟ قلت : قد يكون فى أهل الصلال مَنْ هو مفارق للدين مبين ؛ وليس براكن إلى الدنيا ولا منقطع إليها ؛ كما نرى كثيراً من أخبار النصارى ورهبانهم .

فإن قلت : أليس هذا <sup>(٣)</sup> النص صريحاً فى تحقيق مذهب الإمامية ؟ قلت : لا ، بل نحمده على أنه عَنِ عليه السلام أعداء الدين حاربوه من قريش وغيرهم من أفتاء العرب ، فى أيام صِفِّين ، وهم الذين قتلوا البناء ، وهدموا السب ، ووصلوا غير الزَّحِيم ، وابتكروا على الولائج ، وغالطهم السُّبُل ، ورجموا على الأعقاب ؛ كسمرو بن الماص ، والغيرة بن شعبة ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عُقبة ، وحبيب بن مسلمة ، وبشر بن أرطاة ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن الماص ، وحوشب ، وذى الكلاع ، وشُرْحَبِيل ابن السمط <sup>(٤)</sup> ، وأبى الأمور السُّلَمي ؛ وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له فى الفصول المتصلة بصِفِّين وأخبارها ، فإن هؤلاء قتلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية ، فقتلوا البناء عن رضى أصله إلى غير موضعه .

فإن قلت . لفظ الفصل يشهدُ بخلاف ما تأولتَه ، لأنه قيل عليه السلام : حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ، فجعل رجوعهم على الأعقاب عَقِيبَ قبض الرسول صلى الله عليه وآله ، وما ذكرته أنتَ كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة ! قلت : ليس يمنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجموا على الأعقاب ، لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصدروا فى أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين وأداء ، وقد كان فيهم مَنْ

(٢) كذا فى د ، و ، ا ، ب : « ومبين » .

(٤) ب : « الصمت » .

(١) سورة هود ١١٣ .

(٣) ساقطة من د

يتبعك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان، ويشعر من له؛ ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة رسول الله . ولا يمتنع أيضاً أن يريد رجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالسكينة ، فإن كثيراً من أصحابنا يطمنون في إيمان بعض من ذكرناه وبعدونهم من المنافقين ، وقد كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقتلهم ويردهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك ؛ خصوصاً فيما يتعلق بأمر المؤمنين ، الذي ورد في حقه : « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا يمين على بن أبي طالب » ، وهو خبرٌ محققٌ مذكور في الصحيح .

فإن قلت : يملك من هذا التأويل قوله : « وبقروا البناء عن رصن أساسه » ، لمعناه غير موضعه ، وذلك لأن « إذا » ظرفٌ ؛ والمعامل فيها قوله : « رجع قومٌ على الأعقاب » وقد عطف عليه قوله : « وبقروا البناء » ؛ فإذا كان المصحوح على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور ، وهو وقت قبض الرسول ، وحسب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً ، لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر ، ولم ينقل أحدٌ وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وإنما نقل عنه إلى شخص آخر ، وفي إعطاء المعطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحاً .

قلت : إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً وقت قبض النبي صلى الله عليه وآله فقد قلنا بما يجب من وجود عامل في الظرف ، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً ، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر ؛ إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للمطف ، أو بأن تكون للمطف في مطلق الحدث لاني وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبْرَأْنَا أَنْ



بُصِفَتْهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ <sup>(١)</sup>؛ فالعامل في الطرف «استطاع»  
ويجب أن يكون استطاعهما وقت إتيانهما أهلها لا محالة . ولا يجب أن تكون جميع  
الأعمال المذكورة المعطوفة وقمة حال الإتيان أيضاً؛ إلا ترى أن من جعلها «أقامه» ولم يكن  
إقامة الجدار حال إتيانهما القرية بل منازحياً عنه برمان ما ؛ اللهم إلا أن يقول قائل : أشار  
بيده إلى الجدار فقام ، أو قال له : قم ، فقام ، لأنه لا يمكن أن يحمل إقامة الجدار مقارناً  
للإتيان إلا على هذا الوجه ؛ وهذا لم يكن ، ولا قاله مفسر ولو كان قد وقع على هذا الوجه  
لما قال له : (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أُخْرًا) ؛ لأن الآخر إنما يكون على أعمال عمل فيه  
مشقة : وإنما يكون فيه مشقة إذا ساء بيده ، وبناشره محوارجه وأعضائه

واعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤده الجليل ،  
ومنصبه العظيم ، ودينه القويم ، (من الإغصم) أعما حلف ممن سلف ؛ فقد كان صاحبهم  
بالمعروف مَرْهُنًا من الدهر ، وإما أن يكون ما كانوا فيه حَقَمَ أو حَقَه ، فتركه لهم رفعا  
نفسه عن الممارسة ، أو لما رآه من المصلحة ؛ وعلى كلا التقديرين فالواجب عايناً أن  
طبق بين آخر أعماله وأقواله بالنسبة إليهم وبين أولها ، فإن تعد تأويل ما يتأوله من  
كلامه ، لبس بأحد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المشابهة في القرآن ، ولم يمنع  
بدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة . وكذلك هاهنا .

( ١٥١ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَمَرَاجِرِهِ ، وَإِلَاقَةِ صَامٍ مِنْ حَبَائِلِهِ وَنَحَائِلِهِ ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَحْيُهُ وَصَفْوَتُهُ ؛ لَا يُؤَاذِي فَضْلَهُ ، وَلَا يُخْزِي  
فَقْدَهُ ؛ أَحْصَاءُ بِهِ الْبِلَادُ تَمَدُّ الصَّلَاةِ الْمُطْلِقَةِ ، وَالْجَمَاهُ الْعَالِيَةِ ، وَالْجَمُوعُ الْبَلَّاقِيَةِ ؛  
وَالنَّاسُ يَسْتَعِينُونَ بِالْحَرِيمِ ، وَيَسْتَدِينُونَ بِطُغْيَانِهِمْ ؛ يَحْيَوْنَ عَلَى قَتَرَةٍ ، وَيَمُوتُونَ  
عَلَى كُفْرَةٍ .

ثُمَّ لَكُمْ مَقْشَرُ الْمَرْبِ الْغَرَامِ بِلَايَةٍ قَدْ اقْتَرَبَتْ ؛ فَاتَّقُوا سَكْرَاتِ النِّعَةِ ،  
وَأَحْذَرُوا تَوَاقِقَ الْعِقَةِ ، وَتَمَبَّتُوا فِي قَتَمِ الْيَمِينَةِ ، وَأَعْرِجُوا حَاجِ الْعَيْتَةِ ، عِنْدَ طُلُوعِ  
حَبِيبِهَا ، وَظُهُورِ كَيْبِهَا ، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاهَا ؛ تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ حَقِيقَةِ ،  
وَتَوُودُ إِلَى فَلَاحَةِ حَقِيقَةِ ؛ شِبَابُهَا كِشَابُ الْفُلَامِ ، وَأَنْثَارُهَا كَأَنْثَارِ السَّلَامِ ؛  
يَتَوَارِثُهَا الطُّغْنَةُ بِالْمُجُودِ ، أَوْلَهُمْ قَائِدُ لِأَجْرِهِمْ ؛ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدِرُ بِأَوَّلِهِمْ ؛  
يَنْفَاقُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَتَسْكَنُونَ عَلَى جِبْفَةِ مُرِيحَةٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ  
يَتَبَرَّأُ النَّاسُ مِنَ التَّشْوِيعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْقَوْدِ ، قَائِدًا بِلُورٍ بِالنَّفْصَاءِ ، وَيَتَلَاغُونَ  
عِنْدَ الْإِقَاءِ .

ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ طَالِيعُ الْفَيْحَةِ الرَّحُوفِ ، وَالْفَاصِيَةِ الرَّحُوفِ ، فَتَرَبَّعَ قُلُوبُ تَمَدُّ  
أَسْجَانِهِ ، وَتَضِلُّ رِجَالُ تَمَدُّ سَلَامَتِهِ ، وَتَحْتَلِفُ الْأَفْوَاهُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ الْأَرْوَاحُ  
عِنْدَ مُجُومِهَا .

مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَصُهُ ، وَمَنْ سَى فِيهَا حَقِيقَتُهُ ؛ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادَمَ الْحُمُرِ  
فِي الْعِمَانَةِ . قَدْ اضْطَرَبَ مَقْنُودُ الْحَبْلِ ؛ وَتَحْمَى وَجْهُ الْأَمْرِ ، تَمِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ ،  
وَنَهْطُ فِيهَا الظُّلْمَةُ ، وَتَذُقُ أَهْلُ الْبَدْوِ مَحَلَّهَا ، وَتَرُضُهُمْ بِكَلْسِهَا ؛ يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا  
أَلْوَحْدَانُ ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ ، تَرْدُ يَمْرُ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ حَبِيطَ الدَّمَاءِ ، وَتَسْلِمُ  
مَنَارَ الدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ .

يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ، وَيُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ . يَرْعَادُ مِيزَانُ ، كَاشِفَةٌ عَنْ  
سَاقٍ ، تَقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ ، وَبُخَارُقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ؛ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ ،  
وَوَظَائِعُهَا مُقِيمٌ :



### الْمِنْخُ :

مَدَاخِرُ الشَّيْطَانِ : الْأُمُورُ الَّتِي يُدْخَرُ بِهَا ، أَيْ يُلَوَّدُ وَيَسْتَد ، دَحْرَتُهُ أَذْحَرُهُ  
دُخُورًا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَخْرِجْ مِنْهَا  
مَذْمُومًا مَذْخُورًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أَيْ مَقْصُوسٌ .

وَمِزَاجُهُ : الْأُمُورُ يَزْجُرُ بِهَا ؛ جَمْعُ مَزْجَرٍ : وَمِزْجَرَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا يَبْنَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ  
الْأَفْصَالِ « مَقْمَلًا » وَ « مَقْمَلَةٌ » وَجَمْعُهُ ؛ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كَلَامَهُ عَرَفْتَ ذَلِكَ .

وَحِبَائِلُ الشَّيْطَانِ : مَكَائِدُهُ وَأَشْرَاكُهُ الَّتِي يُضِلُّ بِهَا الْبَشَرَ . وَخَائِلُهُ : الْأُمُورُ الَّتِي  
يُخْتَلِ بِهَا ، بِالْكَسْرِ ، أَيْ يَجْدَعُ .

لَا يُؤَاوِي فَضْلَهُ : لَا يَأْوِي ، وَالْفِظَةُ مَهْمُوزَةٌ ، آوَيْتُ فَلَانًا : حَاطَبْتُهُ ،

وَلَا يَحْمُوزُ « وَازِيَهُ » .

(١) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٩ .

(٢) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ١٨ .

ولا يحبر قهده : لا يبدأ أحد مسده بعده . والجفوة الجافية : غلظ الطبع  
وبلاغة الفهم .

ويستدلون الحكيم : يستضيئون الفلاء ، واللام هاهنا للجنس ، كقوله : ﴿ وَجَاءَ  
رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ <sup>(١)</sup> .

يحيون على فقرة : على انقطاع الوحي ما بين بيوتين .  
ويموتون على كفرة ، بالفتح ، واحد الكفرات ، كالصربة واحدة الصربات .  
ويروى : « ثم إنكم معشر الناس » والأعراض الأهداف . وسكرات النعمة : ما يحدثه  
الذم عند أربابها من العقلة للشبهة للشكر ، قل الشاعر :

تُخَسُّ سَكْرَاتُ إِذَا مَيَّ الْمَرْءُ      سَهَابًا صَارَ حُرْمَةً لِلزَّمَانِ  
سَكْرَةُ الْمَالِ وَالْخِدَاةِ وَالْمِشْرِ      وَلِكُلِّ شَرَابٍ وَالسُّلْطَانِ

ومن كلام الحكماء : للوالى سَكْرَةُ لا يُعْقِبُ سِوَاهَا إِلَّا بِالْمَرْءِ . والبواثق : الذواهي ،  
جمع باثقة ؛ يقال : باثقتهم الداهية نوحًا ، أى أصابتهم ، وكذلك : باثقتهم يؤوق  
على « فصول » ، واثباتت عليهم باثقة نثر ، مثل اباحت ، أى انفتحت ، واثباتت عليهم  
الذهر : هجم بالداهية ، كما يخرج الصوت من البوق ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة  
من لا يأمن جاره بوائقه » ، أى غوائله وشره .

والقتام ، بفتح القاف : العبار . والأقم : الذى يعلوه قَتَمَةٌ ؛ وهو لون فيه  
غبرة وسُحْرَةٌ .

والعشوة ، بكسر العين : ركوب الأمر على غير بيان ووضوح وروى : « وتبينوا  
في قتام العشوة » كما قرئ : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> و « تبتوا » .

(١) سورة النجم ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات ٦ .

واهو جاج العتة : أخذها في غير القصد ، وعدوها عن المسجع .

ثم كنى عن ظهور المستور الحق منها بقوله : « عند طلوع جنيتها ، وظهور كمينها » ،  
والجنين : الولد مادام في البطن ، والجمع أجنة ، وبحور ألا يكون الكلام كناية بل صريحا ؛  
أي عند طلوع ما سجن منها ؛ أي استر وظهور ما كن ، أي ماطن .

وكنى عن استحكام أمر العتة بقوله : « وانتصاب قطبها ، ومدار رحاها » .

ثم قال : إنها تبدر بسيرة ، ثم نصير كثيرة .

والفطاعة . مصدر فطع بالضم ، فهو فطيع أي شديد شنيع تجاوز للقدار ، وكذلك  
أفطع لرحل فهو مفطع ، وأفطع الرجل على ما لم يسم فاعله : رل به أمر عظيم ، وأفطعت  
الشيء : وجدته عظيما ، ومثله استمطعته ، وهذا المعنى كما قال الشاعر :

وَأَرُبُّهَا حَاجَ السَّكِينِ رَ مِنْ الْأُمُورِ لَكَ الصَّيْرِ

وفي المثل : « والشر تبدو منهارة » ، وقال الشاعر :

فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُؤَدِّينَ تَذْكَى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامٌ<sup>(١)</sup>

وقال أبو تمام :

رَبِّ قَلِيلٍ جَدًّا كَثِيرًا كَمْ مَطَرٍ بِدَوِّهِ مَطِيرٌ

وقال أيضا :

لَا تَدِيلُنْ صَمِيرَ هَمِّكَ وَأَطَارُ كَمْ لَدَى الْأَسْلِ دُوْحَةٌ مِنْ قَصَبٍ<sup>(٢)</sup>

قوله : « شبابها كشباب العلام » بالسكسر ، مصدر شبّ الفرس والفيلام يشبّ

ويشبّ شبابا وشبيبا ، إذا قص وامب ، وأشبته أنا ، أي هيئته

(١) لصير بن سيار ، ألفه لاس عند ربه ١١٠ : ٢

(٢) ديوانه ١ : ١٢٧ . والأتل شجر مروف بفضه ، والدوحة : الشجرة العظيمة .

والسلام: الحجارة جمع، واحدة سحبة بكسر اللام؛ يذكر الفتنة، ويقول: أنها تبدو في أول الأمر وأرامها يرحون وبشيتون كما يشبّ الدلام ويبرح، ثم تقول إلى أن تمثب فيهم آثاراً، كآثار الحجارة في الأبدان، قال الشاعر:

والحب مثل الحرب أولها التخييل والنشأط  
وحسامها أم الرية في النكر والصرع القطأط<sup>(١)</sup>

ثم ذكر أن هذه الفتنة يتوارثها قوم من قوم، وكلهم ظالم، أولهم يقود آخرهم؛ كما يقود الإنسان الفطار من الإبل وهو أمامها وهي تنسه. وآخرهم يقتدى بأولهم، أي يفعل فعله، ويحذو حذوه.

وجبة مريجة: منتنة، أراحت: ظهر ريحها ويحوز أن تكون من أراح الدمير، أي مات، وقد جاء في «أراح» بمعنى أمتن «أراح» بلام مر.

ثم ذكر خبراً التابع من التابعين، بسى يوم الصيامة

فلن قلت: إن الكتاب العزيز إنما ذكر خبراً للتبوع من التابع في قوله: ﴿إِذْ يَرْأَى الَّذِينَ أَتَّبَعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا قد عكس ذلك، فقال: إن التابعين خبراً من التبوع!

قلت: إنه قد ورد في الكتاب العزيز مثل ذلك، في قوله: ﴿أَيْنَ شَرٌّ كَأَوْ كَمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً﴾<sup>(٤)</sup>، فتوهم: ﴿لَمْ تَكُنْ تَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً﴾ هو الخبر، وهو قوله حكايته عنهم: ﴿وَأَقْبِرَ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وهذا هو الخبر.

(١) أم الرية كناية عن الحرب.

(٢) سورة الفرق ١٦٦

(٣) سورة الأنعام ٢٢، ٢٣.

(٤) سورة غافر ٢٤

ثم ذكر عليه السلام أن الفائدة جبراً من اللقود ، أى بغير المتبوع من التابع فيكون كل من الفريقين تبراً من صاحبه ، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَتَمَنَّى نَفْسُكُم بِنَفْسٍ ﴾ (١) .  
ويتزايلون : يتفرقون .

قوله : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرخوف » . طالعها : مفداتها وأثلاثها ؛ وسماتها « رجوها » ، لشدة الاضطراب فيها .

فإن قلت : ألم تكن قلت : إن قوله : « عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع » يعنى به يوم القيامة ، فكيف يقول : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة » وهذا إما يكون قبل القيامة ؟ قلت : إنه لما ذكر تافس الناس على الجعة المنفة وهى الدنيا ، أراد أن يقول بعده بلا فصل : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرخوف » ، لكنه لما تعجب من تراحم الناس وتكاثفهم على تلك الجيفة ، أراد أن يؤكد ذلك التعجب ، فأتى بحملة معترضة بين الكلامين . تؤكد معنى تعجبه منهم ، فقال : إياهم على ما قد ذكرنا من تكاثفهم عليها ؛ من قليل يتبرأ منهم من بعض ، وليس بعضهم بعضاً ، وذلك أدعى لهم — لو كانوا يعقلون — إلى أن يتركوا التكالب والتهاوش على هذه الجيفة الخسيسة . ثم عاد إلى نظام الكلام ، فقال : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرخوف » ، ومثل هذا الاعتراض في الكلام كثير ، وخصوصاً في القرآن ، وقد ذكرنا منه فيما تقدم طرقاً .

قوله : « والقاصمة الرخوف » القاصمة : الكاسرة ، وسماتها زخوفاً تشبيهاً لمشيهاً قدماً بمشي الدابة الذى يهلك الزروع ويبيدها ، والزحف : السير على تركة كثير الجيوش بعضها إلى بعض .

قوله : « وتزيغ قلوب » أى تميل ، وهذه اللفظة والتى بعدها دلتان على خلاف ما تذهب إليه الإمامية من أن المؤمن لا يكفر ، وناصرتان لمذهب أصحابنا .

ونجوسها : مصدر نجم الشر إذا ظهر .

من أشرف لها : من صادمها وقابنها . ومن سى فيها ، أى فى نكبتها وإطفاؤها ، وهذا كله إشارة إلى الملحمة الكائنة فى آخر الزمان .

والتكادّم : التماسخ بأذى القم ، كما يكدر الحار ، ويقال : كدّم يسكدرم ، ولكدّم : المعص .

والعامة : القطيع من حمر الوحش ، واجمع حون .

تعيص فيها الحكمة : تنقض .

فإن قلت : ليس قوله : « وتنطق فيها الظلمة » واقفاً فى تعيص قوله : « تعيص فيها الحكمة » ، فأين هذا من الخطابة التى هو فيها سيج وحده !

قلت : بل المناقضة ظاهرة ؛ لأن الحكمة إذا غاصت فيها لم ينطق بها أحد ولا بدّ من نطق ما ، فإذا لم تنطق الحكمة وجب أن يكون النطق لمن ليس من الحكماء ؛ فهو من الظلمة ، فقد ثبت التناقض .

والمستعمل : المبرد . يقول : تنعت أهل البدو وتسعنت الحديد والخلشب بالمبرد . وأهل البدو : أهل البادية ، ويجوز أن يريد بالمستعمل الحلقة التى فى طرف شكيم الأجسام المعرضة بإزاء حلقة أخرى فى الطرف الآخر ، وتدخل إحداها فى الأخرى ؛ بمعنى أن هذه الحلقة تصدم أهل البدو بمقدمة جيشها كما يصدم الفارس الراجل أمامه بمستعمل لجام فرسه .

والكئكل : الصدر . وترضهم : تدفهم دفعا جريشا .



قوله : « نضيق في غبارها الوُحْدان » ، جمع واحد ، مثل شاب وشبان ، وراع ورُعيان ، ويجوز « الأُحْدان » بالهمز ، أى من كان يسير وحده فإنه يهلك بالكلية في غبارها ، وأما إذا كانوا جماعة ركبانا فإنهم يضلون ، وهو أقرب من الهلاك ، ويجوز أن يكون الوُحْدان جمع أوحِد ؛ يقال : فلان أوحِد الدهر ، وهؤلاء الوُحْدان أو الأُحْدان ، مثل أسود وسودان ، أى يصل إلى هذه الفتنة ، وضلها الذى كفى عنه بالتباعد فضاء عصرها وعطاء عهدها ؛ لنموض الشبهة واستيلاء الباطل على أهل وقتها . ويكون معنى الفقرة الثانية على هذا التفسير أن الرَّاكِب الذى هو بمنزلة النجاة لا ينجو . والركبان : جمع راكب ، ولا يكون إلا ذائبيد . قوله : تَرَدُّ بِمَرِّ الْقِضَاءِ ، أى بالهوار والمهلك والاستئصال .

فإن قلت : أيجوز أن يقال لفتنة القبيحة : إياها من القضاء ؟

قلت : نعم ، لا بمعنى انطلق بل بمعنى الإعلام ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> أى أعلنهم ، أى ترد هذه الفتنة بإعلام الله تعالى لمن يشاء إعلامه من المكلفين أيها أم القيم <sup>(٢)</sup> التى لا تبق ولا تذر ، فذلك الإعلام هو الرَّاكِب الذى لا يبلغ الوصف سرارته ، لأن الإخبار عن حلول الكروء الذى لا مدفع عنه ولا محص منه ، مرًا جدًا .

قوله : « وَغَلَبَ غَيْطُ الدِّمَاءِ » ، أى هذه الفتنة يحاربها الحالب دماءً عبيطاً ، وهذه كناية عن الحرب ، وقد قال عليه السلام في موضع آخر : « أما والله ليحلبتها دماء ، وليتب منها دماء » والعبيط : الدم الطرى الخالص .

وثَلَمَتِ الْإِنَاءَ ، أي لمه بالكسر .

وَالْأَكْيَاسَ : القلاء .

(١) سورة الاسراء ٤ .

(٢) أم القيم : الناحية .

والأرجاس : جمع رجس ، وهو القدر والتجس ، وللمراد هاهنا الفاسقون ، فلما أن يكون على حذف المضاف ؛ أى ويدبرها ذور الأرجاس ، أو أن يكون جعلهم الأرجاس أنفسهم ، <sup>(١)</sup> لما كانوا قد أسرفوا فى الفسق ، فصاروا كأهم الفسق والتجاسة نفسها <sup>(٢)</sup> كما يقال : رجل عدل ، ورجل رضا .

قوله : « مِرْعَادٌ مِرَاقٍ » ، أى ذات وهيد وتهدد ، وبحوز أن يعنى بالترعد صوت السلاح وقبضته ، وبالبرق لونه وضوءه .  
وكاشفة عن ساق : عن شدة ومشقة .

قوله : « برينها سقيم » ؛ يمكن أن يعنى بها أنها لشدةها لا يكاد الذى يبرأ منها وينفض يده عنها ببرا بالحقيقة ، بل لا بد أن يستثنى شيئا من الفسق والعلال ، أى لشدة التباس الأمر واشتباء الحال على المكلفين حينئذ .  
ويمكن أن يعنى به أن المارِبَ منها غير تاجر ، بل لا بد أن يصيبه بعض معرفتها ومضرتها .

وظاعها مقيم ، أى ما يعارق الإنسان من أذاها ومضرها ؛ فكأنه غير مفارق له ، لأنه قد أبقى عنده ندوبا وعقائيل من شرورها وغوائلها .

• • •

## الافضل

منها :

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَحْتَلُونَ بِمَقْدِ الْإِيمَانِ ، وَيُرْوِرُ الْإِيمَانِ ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ .

(١-١) ساقط من ب .

وَالزُّمُوا مَا عَقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبَيِّتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ . وَأَقْدَمُوا عَلَى  
 اللَّهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ، وَأَنْتُمَا مَدَارِجُ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِلُ الْعُدْوَانِ ،  
 وَلَا تَدْخُلُوا بَطُونَكُمْ لَعَقَ الْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بَيْنَ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَنَاصِيَةَ ،  
 وَسَهْلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ .

• • •

### الْبَيْخُ :

يُقَالُ : طَلَّ دَمُ فُلَانٍ فَهُوَ مَطْلُولٌ ، أَيْ مُهْدَرٌ لَا يُطْلَبُ بِهِ ، وَيَجُوزُ أُطْلَ دَمُهُ ، وَطَلَّ  
 اللَّهُ وَأَطَلَهُ : أَهْدَرَهُ ، وَلَا يُقَالُ : طَلَّ دَمُ فُلَانٍ بِالْفَتْحِ ، وَأَبُو حَبِيْبَةَ وَالْكَاثِي يَقُولَانِهِ .  
 وَيَخْتَلُونَ : يَخْدُمُونَ بِالْإِيمَانِ الَّتِي يَفْقِدُونَهَا وَيَقْسِمُونَ بِهَا ، وَبِالْإِيمَانِ الَّتِي يَظْهَرُونَ  
 وَيُفَرِّقُونَ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ : « فَلَا تَكُونُوا أَبْصَارَ الْعَيْنِ ، وَأَعْلَامَ الْبَدْعِ » ، أَيْ لَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَشَارُ  
 إِلَيْكُمْ فِي الْبَدْعِ كَمَا يَشَارُ إِلَى الْأَعْلَامِ النَّبِيَّةِ الْعَامَّةِ ، وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ : « كُنْ فِي  
 الْفِتْنَةِ كَابْنِ الْأَيُّونِ ، لَا ظَهَرَ فَبُرِكَبَ ، وَلَا ضَرَمَ فَيَعْلَبُ » ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ بِرُويهَا كَثِيرٌ  
 مِنَ النَّاسِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَوْلُهُ : « وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ » ، جَاءَ فِي الْخَبَرِ : « كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَتُولِ » .  
 وَمَدَارِجُ الشَّيْطَانِ : جَمْعُ مَذْرَجَةٍ ، وَهِيَ السَّبِيلُ الَّتِي يَدْرَجُ فِيهَا . وَمَهَابِلُ الْعُدْوَانِ :  
 مَحَالَّةٌ لِقِيَّ يَهْبِطُ فِيهَا .  
 وَلَعَقَ الْحَرَامِ : جَمْعُ لَعْفَةٍ ، بِالضَّمِّ ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَا تَأْخُذُهُ اللَّعْفَةُ ، وَاللَّعْفَةُ ، بِالْفَتْحِ :  
 الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ .

قَوْلُهُ : « فَإِنَّكُمْ بَيْنَ مَنْ حَرَّمَ » ، يَقُولُ : أَنْتَ بَيْنَ فُلَانٍ ، أَيْ أَنْتَ بِمَرَأَى مَنْهُ ، وَقَدْ  
 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِصِفَتَيْنِ : « فَإِنَّكُمْ بَيْنَ اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ » ، وَهَذَا  
 مِنْ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ ، قَالَ سُبْعَانُهُ : « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ : « تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا » <sup>(٢)</sup> .

(١٥٢)

## الأصل

ومن خطبة له عليه السلام :

أَتُخَذُ فِي الدَّالِّ عَلَى وَجُودِهِ مَخْلُوقُهُ، وَيُحَدَّثُ خَلْقُهُ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَيُشْتَبَاهِمُ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ؛ لَا تَخْلُقُهُ لِلشَّاعِرِ ، وَلَا تَحْبُبُهُ السَّوَابِرُ ؛ لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمُصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَاللَّعْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ ، الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا يَمْنَى حَرَكَهَ وَيَنْصَبِ ، وَالسَّيِّعِ لَا يَأْدُرُهُ ، وَالْبَصِيرِ لَا يَتَفَرِّقُ آلَةٍ ، وَالشَّاهِدِ لَا يَمُاسُهُ ، وَالْبَاطِنِ لَا يَتَرَاوَى مَسَافَةً ، وَالظَّاهِرِ لَا يَرُؤِيهِ ، وَالْبَاطِنِ لَا يَلْطَافُهُ .

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا ، وَبَانَ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُصُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أُنْطَلَّ أَرْلَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « كَيْفَ » فَقَدْ اسْتَوْصَمَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « أَيْنَ » ، فَقَدْ حَبَزَهُ ، عَالِمٌ إِذَا لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذَا لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذَا لَا مَقْدُورٌ .

...

## الشرح :

[أبحاث كلامية]

في هذا الفصل أبحاث :

أولها في وجوده تعالى ، وإثبات أن للعالم صانعاً ؛ وهاتان طريقتان في الدلالة على وجوده الأول سبحانه :

إحدهما : الطريقة المذكورة في هذا الفصل ، وهي طريقة للتكلمين ، وهي إثبات أن الأجسام محدثة ، ولا بدّ للحديث من محدث .

والثانية : إثبات وجوده تعالى من النظر في نفس الوجود .

وذلك لأنّ الوجود ينقسم بالاعتبار لأول إلى قسمين : واجب وممكن ، وكلّ ممكن لا بدّ أن ينتهي إلى الواجب ، لأنّ طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقلّ بنفسه في قوامه ؛ فلا بدّ من واجب يستند إليه ؛ وذلك الراجب الوجود الضروري الذي لا بدّ منه ، هو الله تعالى .

وثانيها : إثبات أوليته ؛ وببانه ما ذكره في هذا الفصل ؛ وهو أن العالم مخلوق له سبحانه حادث من جهته ، والمحدث لا بدّ له من محدث ، فإن كان ذلك المحدث محدثاً ، عاد القول فيه كالقول في الأول ، ويتسلسل ، فلا بدّ من محدث قديم ؛ وذلك هو الله تعالى .

وثالثها : أنه لا شبهة له ، أي ليس يحسم كنهه الأجسام ، وببانه ما ذكر أيضاً أن مخلوقاته متشابهة ، يعني بذلك ما يريد المتكلمون من قولهم : الأجسام متماثلة في الجسمية ، وأن نوع الجسمية واحد ، أي لا يختلف جسمٌ جسماً بذاته ، وإذا كانت متماثلة صحّ على كلّ واحد منها ما صحّ على الآخر ، فهو كال [ هـ ] سبحانه شبيهٌ منها - أي لو كان جسماً مثلاً - لوجب أن يكون محدثاً كمثلها ، أو تكون قديمة مثله ؛ وكلاً الأمرين محال .

وراسها : أن الشاعر لا تستطه ، وروى « لا تلحس » ؛ والشاعر الحواس ، وببانه أنه تعالى ليس يحسم لما سبق ؛ وبالبس يحسم استعمل أن تكون الشاعر لامية له ؛ لأنّ إدراك الشاعر مدركاً مَقْصُورٌ على الأجسام وهيئاتها . والاستسلام في اللغة : لس الحجر باليد وتقبيله ؛ ولا يهزم ، لأن أصله من السَّلام وهي <sup>(١)</sup> الحجارة ؛ كما يقال : استنوّق الجمل ، وبمضمهم يهزمه .

وخامسها : أن السواتر لا تحجب ؛ وبما أنه أن السواتر والحجب ؛ إنما تحجب ما كان في جهة ؛ وذلك لأنها ذوات أين ووضع فلا نسبة لها ، إلى ما ليس من ذوات الأين والوضع .

ثم قال عليه السلام : « لا فتراف الصانع وللصنوع » ، إشارة إلى أن للصنوع من ذوات الصفة والصانع منزّه عن ذلك ؛ يرى عن اللوآء ، فلا يلزم فيه ما يلزم في ذوات المادة والحمة .

وسادسها : معنى قولنا . إنه أحد ، « أنه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس : أول العدد أحد وواحد ، بل المراد بأحديته كونه لا يقبل التجزؤ ؛ واعتبار آخر كونه لا ثاني له في الربوبية .

وسامها : أنه خالق ، لا بمعنى الحركة (والنصب) وهو النصب ؛ وذلك لأن الخالقين منّا يحتاجون إلى الحركة من حيث كانوا أجساما تعمل بالآلات ، والبارئ سبحانه ليس بحم ، ولا يفعل بالآلة ، بل كونه قادرا إنما هو لداته لطفة ، لا لأمر زائد عليها ، فلم يكن فاعلا بالحركة .

وثامسها : أنه صميع ، لا بأداة ؛ وذلك لأن حاجتنا إلى الحواس ، إنما كانت لأمر يخصنا ؛ وهو كوننا أحياء بحياة حالة في أوضاعنا ، والبارئ تعالى حي لداته ؛ فلم يحتاج في كونه مدركا إلى الأداة والجارحة .

وتاسمها : أنه بصير لا بتعريف آلة ، والمراد بتعريف الآلة ما هنا الشعاع الذي باعتباره يكون الواحد منّا مبصرا ، فإن القائلين بالشعاع يقولون : إنه يخرج من العين أجسام لطيفة هي الأنسة ؛ وتكون آلة للعين في إحصاء البصرات ، فيتفرق عليها ، فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرا ، والبارئ تعالى بصير لا شعاع يحمله آلة في الإدراك ، ويتفرق على المرتبات

فمدرَكها به ؛ وذلك لما قد مناه من أنه حي لذاته ؛ لا بمعنى ، فلا يحتاج إلى آلة وأداة ووصلة تكون كالواسطة بينه وبين المدركات .

وعاشرها : أنه الشاهد لا عملة ؛ وذلك لأن الشاهد متنا هو الحاضر بحسبه عند المشهود ؛ ألا ترى أن من في الصين لا يكون شاهداً من في المغرب ؛ لأن الحضور الجسماني يقتصر إلى القرب ، والقرب من لوازم الجسمية ، فما ليس بجسم - وهو عالم بكل شيء - يكون شاهداً من غير قرب ولا بماتة ، ولا أين مطلوب .

وحادي عشرها : أنه الباطن لا يتراخى مسافة بينونه المارق عن المادة بينونه ليستأبئية ، لأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر بالجهة ؛ فلا جرم كان الباري تعالى مبايناً عن العالم ، لا بمسافة بين الذاتين .

وثاني عشرها : أنه الظاهر لا برويق ، والباطن لا باطافة ؛ وذلك لأن الظاهر من الأجسام ما كان مرئياً بالبصر ، والباطن منها ما كان لطيفاً حذاً ؛ إما لعنصره أو لشفافيته ، والباري تعالى ظاهر للبصائر لا للأبصار ، باطن ؛ أي غير مدرك بالحواس لأن ذاته لا تقبل المدركة إلا من حيث كان لطيف الحجم أو شفاف الجرم .

وثالث عشرها : أنه قال : بان من الأشياء بالظهور لها ، والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه <sup>(١)</sup> بالمضوع له ، والرجوع إليه ؛ هذا هو معنى قول المتكلمين والحكماء ، والفرق بينه وبين الموجودات كلها أنه واجب الوجود لذاته ، والأشياء كلها ممكنة الوجود <sup>(٢)</sup> بذواتها ، فكلها محتاجة إليه ، لأنها لا وجود لها إلا به ؛ وهذا هو معنى خضوعها له ، ورجوعها إليه . وهو سبحانه غني عن كل شيء ؛ ومؤثر في كل شيء ؛ إما بنفسه ، أو بأن يكون مؤثراً فيها هو مؤثر في ذلك الشيء ، كأفصاكا ، فإنه يؤثر فينا ؛ ونحن تؤثر فيها ، فإذا هو قاهر لكل شيء ، وقادر على كل شيء . فهذه هي البينونة بينه وبين الأشياء كلها .

(١) ج : هـ عه .

(٢) ساطعة من د .

ورابع عشرها : أنه لا صفة له زائدة على ذاته ؛ ونعني بالصفة ذاتاً موجودة قائمة بذاته ؛ وذلك لأن من أثبت هذه الصفة له فقد حده ، ومن حده فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، وهذا كلام غامض ، وتفسيره أن من أثبت له علماً قديماً أو قدرة قديمة ، فقد أوجب أن يعلم بذلك العلم معلومات محدودة ، أى محصورة ، وكذلك قد أوجب أن يقدر بتلك القدرة على مقدرات محدودة ؛ وهذه المقدمة فى كتب أصحابنا المتكلمين مما يذكرونه فى تقرير أن العلم الواحد لا يتعلق بمعلومين ، وأن القدرة الواحدة لا يمكن أن تتعلق فى الوقت الواحد من الجنس الواحد فى المحل الواحد إلا بجزء واحد ؛ وسواء فرض هذان المعنيان قديمين أو محدثين ، فإن هذا الحكم لازم لهما ، فقد ثبت أن من أثبت المسمى القديمة فقد أثبت البارى تعالى محدود العلية والقادرية ، ومن قال بذلك فقد عدّه ، أى جعله من جهة الجنة المعدودة فيها بيننا كسائر البشر والحيوانات ، ومن قال بذلك ؛ فقد أبطل أزله ، لأن كل ذات مماثلة لهذه القدرات الحديثة ؛ فإنها محدثة مثلها ، والمحدث لا يكون أزلياً .

وحامس عشرها : أن من قال : « كيف » ، فقد استوصفه ، أى من قال لزيد : كيف الله ؟ فقد استدعى أن يوصف الله بكيفية من الكيفيات ، والبارى تعالى لا تجوز الكيفيات عليه ، والكيفيات هى الألوان والطعوم ونحوها ، والأشكال والمسمى وما يحرى تحرى ذلك ؛ وكل هذا لا يجوز إلا على الأجسام .

فإن قلت : ينبى أن يقول : « فقد وصفه » ، ولا يقال : « فقد استوصفه » ؛ لأن السائل لم يستوصف الله ؛ وإنما استوصف صاحبه الذى سأل عن كيفية الله .

قلت : « استوصف » ها هنا بمعنى « وصف » ؛ كقولك : استغنى زيد عن عمرو ، أى غنى عنه ، واستغنى عليه ، أى علا ، ومثله كثير .

وسادس عشرها : أن من قال : « أين » فقد حيزه ، لأن « أين » سؤال عن المكان ، وليس الله تعالى فى مكان ، ويأتى أنه فى كل مكان بمعنى العلم والإحاطة .



وسابع عشرها : أنه عالم إذ لا معلوم ، ورب إذ لا مروب ، وقادر إذ لا مقدور ، وكل هذا صحيح ومدلول عليه ، لأنه عالم فيما لم يزل وليس شيء من الأشياء بموجود ، وهو رب كل شيء قبل أن يخلقه ، كما تقول إنه سميع بصير قبل أن يدرك السموات وللبررات ، أي قبل أن يخلقها ، وقادر على الأشياء قبل كونها ، لأنه يستحيل حال كونها أن تكون مقدورة ، لاستحالة إيجاد الموجود .

وقد شرحنا كل هذه المسائل التوحيدية في كتابنا المصنف في علم الكلام .

• • •

## الأصل

منها :

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَاحِظٌ ، وَلَاخَ لَاحِظٌ ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا ؛ وَانْتَظَرْنَا الْغَيْبَ ، أَنْتَظَرُ الْجَدِيبَ الْمَطَرُ .  
وَإِنَّمَا الْأُتِيَةُ قَوْمًا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ .  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَمُ سَلَامَةٍ ، وَجَاعُ كَرَامَةٍ ، أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَسْجِدَهُ وَبَيْنَ حُجَجِهِ ، مِنْ ظَاهِرٍ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حُكْمٍ ؛ لَا تَقْنَى غَرَابِيَهُ ، وَلَا تَنْقِضُ عَمَائِيَهُ .

فِيهِ مَرَايِيعُ النِّعَمِ ، وَمَصَابِيحُ الْعِلْمِ ، لَا تُنْتَجَحُ أَنْظِيرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ ، قَدْ أَتَى حِلَاءَهُ ، وَأَرَعَى مَرَعَاءَهُ ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَقَى ، وَكِفَاةُ الْكَتَنِيِّ .

• • •

## البُزْج :

هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه .  
 قد طلع طالع ، يعنى عود الخلافة إليه ، وكذلك قوله : « ولمع لامع ، ولاح لائح » :  
 كل هذا يراد به معنى واحد .  
 واعتدل مائل ، إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان ،  
 واستبدل الله عثمان وشيعته علياً وشيعته ، وبأهم ذلك أيام هذا .  
 ثم قال : « وانتظرونا المير انتظار المجدب للمطر » ؛ وهذا الكلام يدل على أنه قد كان  
 يترقب عثمان الدوائر ، ويرتقب حلول الخطوب بساحته ، ليلى الخلافة .  
 فإن قلت : أليس هو الذى خلق الدنيا ، فأين هذا القول من طلائها ؟  
 قلت : إنه طلق الدنيا أن جهل<sup>(١)</sup> بها خطأ دنيوياً ، ولم يطلقها ، أن يسهى فيها عن  
 المنكرات التى أمره الله تعالى بالنهى عنها ، ويقيم فيها الدين الذى أمره الله بإقامته ، ولا  
 سبيل له إلى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف إلا بولاية الخلافة .



## [ عقيدة على في عثمان ورأى المتزلة في ذلك ]

فإن قلت : أيموز على مذهب المتزلة أن يقال : إنه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان ،  
 انتظار المجدب المطر ، وهل هذا إلا محض مذهب الشيعة ؟  
 قلت : إنه عليه السلام لم يقل : « وانتظرونا قتله » وإنما انتظر المير ، فيحوز أن يكون  
 أراد انتظار حله وعزله عن الخلافة ، فإن علياً عليه السلام عند أصعابنا كان يذهب إلى  
 أن عثمان استعق الخلع بإحداثه ، ولم يستعق القتل ، وهذا الكلام إذا أُجِل على انتظار  
 الخلع كان موافقاً لمذهب أصعابنا .

(١) د : « ينال » .

فإن قلت : أتقول المعتزلة إن عليا كان يذهب إلى فتق عِمان المستوجب لأجله الخلع ؟ قلت : كلا ، حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك أو إنما تقول إن عليا كان يرى أن عِمان يَضَعُ عن تدبير الخلافة ، وأن أهله غَمَّوا عليه ، واستبدَّوا بالأمر دونه ، واستمجزه المسلمون ، واستسقطوا رأيه ، فصار حكمه حكم الإمام إذا غيى ، أو أسره العدو ، فإنه يتخلع من الإمامة .

• • •

ثم قال عليه السلام : « الأئمة قوام الله على خلقه » ، أى يقومون بمصالحهم ، وقيم المنزل : هو المدير .

قال : « وعرفاؤه على عبادته » : جمع عريف ، وهو النقيب الرئيس ، يقال : عريف فلان بالضم عرافة بالفتح ، مثل خطبة أى خطب عريفا ، وإذا أردت أنه عمل ذلك قلت : عريف فلان عليهما سنين ، بعريف عرافة بالكسر ، مثلي كُتب يكتب كتابه .

قال : « ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه » ، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروهم ، هذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قال المفسرون : ينادى في الموقف : يا أتباع فلان ، ويا أصحاب فلان ، فينادى كل قوم باسم إمامهم ، بقول أمير المؤمنين عليه السلام : لا يدخل الجنة يومئذ إلا من كان في الدنيا عارفا بإمامه ، ومن بعرفه إمامه في الآخرة ، فإن الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة ، وإن لم يكونوا رأَوْهم في الدنيا ، كأن النبي صلى الله عليه وآله يشهد <sup>(٢)</sup> للمسلمين وعليهم ، وإن لم يكن رأيا كثَرهم ، قال سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ <sup>(٣)</sup> وجاء في الخبر

(١) سورة الإسراء ٧١ .

(٢) ب : « شهد » .

(٣) سورة النساء ٤١ .

للفروع : « مَنْ مات بغير إمام مات ميتة جاهلية » ، وأصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية ؛ وهي أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة ؛ ألا ترى أنهم يقولون : الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان ، ويمدّونهم واحدا واحدا ، فلو أن إنسانا لا يقول بذلك ؛ لكان عندهم فاسقا ، والفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا ، أعني مَنْ مات على فسقه . فقد ثبت أن هذه القضية ، وهي قوله : عليه السلام : « لا يدخل الجنة إلا مَنْ عرفهم » قصيدة صحيحة على مذهب المعتزلة ، وليس قوله : « وعرفوه » بمنكر عند أصحابنا ؛ إذا فسرنا قوله تعالى : ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ) على ما هو الأظهر والأشهر من التفسيرات ، وهو ما ذكرناه .

وبقيت القضية الثانية فيها الأشكال ، وهي قوله عليه السلام : « ولا يدخل النار إلا مَنْ أنكرهم وأنكروهم » ، وذلك أن قائل أن يقول : قد يدخل النار مَنْ لم ينكرهم ؛ مثل أن يكون إنسان يعتقد صحة إمامة القوم الذين يذهب أنهم أئمة عند المعتزلة ، ثم يزني أو يشرب الخمر من غير توبة ، فإنه يدخل النار ؛ وليس بمنكر للأئمة ؛ فكيف يمكن الجمع بين هذه القضية وبين الاعتزال !

فالجواب أن الواو في قوله « وأنكروهم » بمعنى « أو » كافي قوله تعالى : ( فَانْكِرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ )<sup>(١)</sup> فالإنسان للفروض في السؤال وإن كان لا ينكر الأئمة إلا أنهم ينكرونها ، أى يسخطون يوم القيامة أفعاله ، يقال : أنكرت فعل فلان أى كرهته ؛ فهذا هو تأويل الكلام على مذهبنا ، فأما الإمامية فإنهم يحصلون ذلك على تأويل آخر ، وينسبون قوله : « ولا يدخل النار » ، فيقولون : أراد ولا يدخل النار دخولا مؤبداً إلا من ينكرهم وينكرونها .

ثم ذكر عليه السلام شرف الإسلام ، وقال : إنه مشتق من السلامة ، وإنه جامع للكرامة ، وإن الله قد بين جميعه ، أى لأدلة على صحته .

ثم بين ما هذه الأدلة ، فقال : « من ظاهر علم ، وباطن حكم » أى حكمه ، « من » ها هنا للتبيين والتفسير ؛ كما تقول : دفعت إليه سلاحاً من سيف ورمح وسهم ؛ ويعنى بظاهر علم وباطن حكم ، والقرآن ، ألا تراه كيف أتى بهذه الصفات ونعوت لا تكون إلا للقرآن ؛ من قوله : « لا تنفى عزائمه » أى آياته المحسنة . و « براهينه العازمة » أى القاطعة ولا تنفص عجزائه ؛ لأنه مهمل تأمله الإنسان استخرج منه بكفر غرائب مجانب لم تسكن عنده من قبل .

« فيه سرايع للثمن » : السرايع الأمطار التى تجىء فى أول الربيع فتكون سبباً لظهور الكلأ ، وكذلك تدبر القرآن سبباً للثمن الدينية وحصولها .

قوله : « قد أحى حماء ، وأحى سراطه » ، الصير فى « أحى » يرجع إلى الله تعالى ، أى قد أحى الله حماء ، أى عرضة لأن يحى ، كما تقول : أقتلت الرجل ، أى عرضته لأن يقتل . وأضرته ، أى عرضته لأن يضرب ؛ أى قد عرض الله تعالى حى القرآن ومحارمه لأن يمتنع وممكن منها ، وعرض مراءاه لأن يرعى ، أى ممكن من الانقضاء بما فيه من الزواجر واللواغظ لأنه خاطبنا بلسان عربى مبين ، ولم يفتح بياناً لا نعلم إلا بالشرع حق فيه فى أكثره على أداة العقل .

( ١٥٣ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَهُوَ فِي مَثَلَةٍ مِّنْ أَنفِهِ يَهْوَىٰ مَعَ الْعَافِينَ ، وَبِمَدُّو مَعَ الْمُدْنِيِّينَ ، بِإِلَّا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ،  
وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

\*\*\*

الشرح :

يصف إماماً من أهل الصلال غير معتب ، بل كما تقول : رحم الله أمراً اتقى ربه وخاف  
ذنبه ، وأمس الرجل رجل قلّ حياؤه ، وعدم وقاره ؛ ولست تسمى رجلاً نعيه .  
ويهوى : يسقط . والسبيل القاصد : الطريق المؤدية إلى المطلوب .  
والإمام : إمام الخليفة ، وإمام الأستاذ ؛ أو الدين ، أو الكتاب ؛ على كل من هؤلاء تطلق  
هذه اللفظة .

\*\*\*

الأصل :

منها :

حَتَّىٰ إِذَا كُشِفَ لَهُمْ عَنْ جَرَائِهِمْ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَاسْتَفْخَرَجَهُمْ مِّنْ جَلَالِيبِ غَفَاتِهِمْ ،  
اسْتَفْجَلُوا مُذِيرًا ، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا ؛ فَلَمْ يَنْقَضِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ ، وَلَا بِمَا قَضَوْا  
مِنْ وَطَرِهِمْ .

وإِنِّي أُنذِرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ لِلْآزِلَةِ ، فَهَيْهَاتُ نَفْسِي أَمْرُؤُ بِنَفْسِيهِ ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ  
سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَاضِعًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ  
الضَّرْعَةَ فِي الْمَهَادِي ، وَالضَّلَالَ فِي الْمَهَادِي ، وَلَا يُسِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْفَوَاةَ بِتَمَشُّفٍ فِي حَقٍّ ،  
أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نَقْلِ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ .

فَأَنقِ أَهْلًا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَنْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَأَحْصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ؛  
وَأَنْتُمْ الْيَكْرُ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ الَّذِي الْأَمْسُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ ،  
وَلَا تَحِمْصَنَّ عَنْهُ . وَحَافِلٌ مَنْ حَافِلٌ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَاهُ وَمَارَضِي لِنَفْسِهِ ، وَضَعُ  
فَخَرَّكَ ، وَأَخْطَطُ كِبْرَكَ ؛ وَأَذْكُرُ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ تَمَرُّكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ ؛  
وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ؛ وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا ؛ فَاثْمِدْ إِقْدَمِكَ ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ .  
فَالْخَذَرُ الْخَذَرُ أَهْلًا السَّامِعُ أَوْ الْجَدُّ الْجَدُّ ؛ أَهْلًا الْعَاقِلُ ؛ (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) <sup>(١)</sup> .



### التفسير :

فَاعِل « كَشَفَ » هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا كَشَفَ لَهُمْ  
عَنْ حِزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ بِمَا أَرَاهُمْ حَالِ اللُّوتِ مِنْ دَلَائِلِ الشَّقْوَةِ وَالْعَذَابِ ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ  
الصَّحِيحِ أَنَّهُ : « لَا يَمُوتُ مَيِّتٌ حَقٌّ بَرَى مَقَرَّهُ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ » .

وَلَمَّا انْفَتَحَتْ أَعْيُنُ أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ مَعَارِقَةِ الدِّيَارِ ؛ تَنَبَّاهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَخْرَاجًا لَهُمْ مِنْ  
جَلَائِبِ غَفْلَتِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ النِّفْلَةِ وَالتَّهْوُلِ فِي لِبَاسٍ نَزَعَ عَنْهُمْ .

قَالَ : « اسْتَظْلُوا مَدْبَرًا » ، أَيْ اسْتَظْلُوا أَمْرًا كَانَ فِي ظُهُورِهِمْ وَاعْتَادَهُمْ مَدْبَرًا عَنْهُمْ ؛ وَهُوَ  
الشَّقَاءُ وَالْمَذَابُ . « وَاسْتَدْبَرُوا مَقْبَلًا » تَرَكَوْا وِرَاءَهُمْ ظُهُورَهُمْ مَا كَانُوا خَوَّلُوهُ مِنَ الْأَوْلَادِ  
وَالْأَمْوَالِ وَالنِّعَمِ ، وَفِي قُوَّةِ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : عَرَفُوا مَا أَنْكَرُوهُ وَأَنْكَرُوا مَا عَرَفُوهُ :

ودرى : « أحذركم ونفسى هذه للزلة » بفعلة ، من الزلزال ، وفى قوله : « ونفسى » لطافة وشيقة ؛ وذلك لأنه طيَّب قلوبهم بأن جعل نفسه شريكة لهم فى هذا التحذير ، ليكونوا إلى الاتقياء له أقرب ، وعن الإباء والثفرة أبعد ؛ بطريق جَدِّدٍ لاجب .

والمهاوى : جمع مهواة ؛ وهى الهوة يتردى فيها .

والمناوى : جمع منواة ، وهى الشبهة التى يفرى بها الناس ، أى يصلون .

يصف الأمور التى يُعِينُ بها الإنسان أرباب الضلال على نفسه ، وهى أن يستغنى حق بقوله ، أو يأمرُ به ، فإن الرفق أنجح ، وأن يحرف للسلطان الكذب لا يثمر خيرا ، وأن يخوف من الصدق فى ذات الله ، قال سبحانه : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فذم من لا يصدق ويحلف فى الحق .

قوله : « واخضِرْ من مِجْلَتِكَ » ، أى لا تَكُنْ مِجْلَتَكَ كثيرة ، بل إذا كانت لك حجة فليكن شيئا يسيرا .

وتقول : أنمت النظر فى كذا ، أى دققته ، من قولك : أنمت سحق الحمر ، وقيل : إنه مقلوب « آمن » .

والنبي الأمي : إما الذى لا يحسن الكتابة ، أو للنسب إلى أم القرى ؛ وهى مكة . ولا يحصى عنه : لا مفر ولا مهرب ، حاص ؛ أى تحلص من أمر كان شبا فيه .

قوله : « فإن عليه ممر » أى ليس للقبر بدار مقام ، وإنما هو ممر وطريق إلى الآخرة .



وكان تدين ندان ، أى كما تجازى غيرك تجارى بفعلك وبحسب ما عملت ؛ ومنه قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَمَدِيرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> أى يجربون ؛ ومنه البيان فى صفة الله تعالى .

قوله : « وكان تزرع تحصد » معنى قد قاله الناس بعده كثيرا ، قال الشاعر :

إذا أنت لم تزرع وأدركت حاصداً      ندمت على التنصير فى زمن البذر

ومن أمثالهم : « من زرع شرا حصد ندما » .

فامهد لنفسك : أى سوّ ووطئ .

﴿ وَلَا يُبَشِّرُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> من القرآن العزيز ، أى ولا يخبرك بالأمر أحد على حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها .

• • •

### الاجل :

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الْذِكْرِ الْحَكِيمِ ، لِقَى عَابِئَهَا يُنِيبُ وَيُعَاقِبُ ، وَلَهَا يَرْضَى وَبَسْخَطُ ؛ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ حَبِداً - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ ، وَأَحْلَسَ فَمَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَلَمِنَا لَا قِيَا رَبَّهُ بِمَخْصَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحِصَالِ لَمْ يَنْبُ مِنْهَا : أَنَّ بَشْرَكَ يَا اللَّهُ فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ مِيعَادَتِهِ ، أَوْ بَشْرِي خَيْفُ يَهْلِكُ نَفْسِي ؛ أَوْ يُعَمَّرَ بِأَمْرِ فَتَهُ غَيْرُهُ ؛ أَوْ يَسْتَنْصَحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشَى فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْيَمْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَيْئِهِ .

إِنَّ الْهَائِمَ كَهْمًا بَطُونُهَا ، وَإِنَّ السَّجَاعَ كَهْمًا الْمُدَوَّنُ عَلَى خَيْرِهَا ، وَإِنَّ النَّسَاءَ كَهْمًا زِينَةُ الْكُلْيَاءِ أَلَمِنَا وَالْفَسَادُ فِيهَا .

إِنَّ الْمُؤْمِدِينَ مُسْتَكِينُونَ ، إِنَّ الْمُؤْمِدِينَ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ الْمُؤْمِدِينَ حَائِفُونَ .

• • •

## الْبُخْرُ :

عزائم الله ، هي موجباته والأمر للقطع عليه ، الذي لا ريب فيه ولا شبهة ، قال عليه السلام : إن من الأمور التي يحسن الله تعالى عليها نصاً لا يحتمل التأويل - وهي من العزائم التي يقطع بها ، ولا رجوع فيها ولا نسخ لها - أن من مات وهو على ذنب من هذه الذنوب <sup>(١)</sup> المذكورة - ولو اكتفى بذلك عليه السلام لأغناه عن قوله : « لم يقب » إلا أنه ذكر ذلك تأكيداً وزيادة في الإيضاح <sup>(٢)</sup> - فإنه لا ينفعه فعل شيء من الأفعال الحسنة ولا الواجبة ؛ ولا تفيده العبادة ؛ ولو أجهد فيه فيها ؛ بل يكون من أهل النار . والذنوب المذكورة هي أن يتخذ مع الله إلهاً آخر فيشركه في العبادة ، أو يقتل إنساناً بغير حق ، بل لبشرى غيظه ، أو يقذف غيره بأمر قد فعله هو .

مره بكذا يعرفه عراً ، أي عاب وعلّقه ، أو يروم بلوغ حاجة من أحدهم بإظهار بدعة في الدين ؛ كما يفعل أكثر الناس في زماننا ، أو يكون ذا وجهين ؛ وهو أيضاً قوله : « أو يمشي فيهم بلسان » ؛ وإنما أراد به تأكيده .

• • •

لما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد ، أقامه في قبة حراء ، وأدخل الناس يسلمون على معاوية ، ثم يحملون إلى قبة يزيد ، فيسلمون عليه بولاية العهد ؛ حتى جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، أما إنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعفها ؛ وكان الأحنف جالساً ، فما حفت الناس ، قال معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بحر ! قال : أخاف الله إن كذبتك ، وأخافك إن صدقتك ؛ فإذا أقول ! فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمر له بصيلة جريئة . فلما خرج فقيه ذلك الرجل بالباب ، قال : يا أبا بحر ، إني لأعلم أن شر من خلق الله هذا الرجل ؛ ولكن هؤلاء

(١) ساقطة من ب .

(٢) ١ ، ج ١ ، زيادة الإيضاح .

قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ، فلما طمع في استخراجها إلا بما سمعت  
 فقال : يا هذا أميتك عليك ؛ فإن ذا الوحيين حليق ألا يكون وجيهاً عند الله غداً .

• • •

ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله ، ويعلم باطن خطابه ؛ وإنما رمز بباطن هذا  
 الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل ، لأنهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاك وإهلاك غيره  
 من المسلمين ، وعرضوه <sup>(١)</sup> عليه السلام بأمرهم مدلوله ، وهو التأليب على عثمان وحضره ،  
 واستنجدوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ، وثقوا الناس بوحين  
 ولسانين ؛ لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به ، ثم دَبُّوا له الحمر <sup>(٢)</sup> ، لحمل دنوسهم هذه  
 بمائلة لتشرك بالله سبحانه ؛ في أنها لا تُعَمَّرُ إلا بالتوبة ، وهذا هو معنى قوله : « اعقل ذلك »  
 فإن المثل دليل على شبهه . وَرَوَى « فَإِنَّ الْمَثَلَ » واحد الأمثال ، أى هذا الحكم بعدم  
 المعفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام ، والواحد منها دليل على ما يمثله ويشابهه .  
 فإن قلت : فهذا تصريح بمذهب الإمامية في طهارة الزبير وعائشة .

قلت : كلاً ، فإن هذه الخطبة خطب بها وهو سائر إلى البصرة ، ولم تقع الحرب  
 إلا بعد تمديد الكهائن ، ورمز فيها إلى المدكورين ، وقال : « إن لم يتوبوا » ؛ وقد  
 ثبت أنهم تابوا ، والأخبار عنهم بالتوبة كثيرة مستقيمة .

ثم أراد عليه السلام أن يوصي إلى ذكر النساء لاحتال التي كان وقع إليها من استنجد  
 أعدائه بأسرأة ؛ فذكر قبل ذكر النساء أنواعاً من الحيوان ، تمهيداً لقاعدة ذكر النساء ،  
 فقال : إِنَّ اللَّهَ نَزَّهٌ عَنْهَا بَطُونُهَا ، كَالْحَمْرِ وَالْبُغْرِ وَالْإِبِلِ الْعَمَى ، وَإِنَّ السَّبَّاحَ هَمَّتْهَا الْعِدْوَانُ

(١) عروه : مسوه .

(٢) آخر الفوم ؛ إذا تواروا بالخر ؛ ونحن للرجل إذا حبل صاحبه : هو يد له الضراء ويعنى له  
 الخمر .

قَلَى غيرها ؛ كالأسود العنصرية والنمور والنهود والنراة والمقور . ثم قال : وإن النساء  
همن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها .

نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة قلى شجرة ، فقال : ليت كل شجرة تحمل مثل  
هذه الثمرة .

ومرت امرأة سقراط وهو يتشرف في الشمس ، فقالت : ما أقبحك أيها الشيخ !  
فقال : لو أتكنت من للرأى الصدئة لعمى ما بان من قبح صورتي فيكن .

ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة ، فقال : منهم يسقى سمًا ليرمى به يوما ما .

ورأى بعضهم جارية تحمِل نارا ، فقال : نار قلى نار ؛ والحامل شرٌّ من الحمل

وقيل لسقراط : أي السباع أحسن ؟ قال : لمرأة .

وتزوج بعضهم امرأة نحيفة ، فقيل : في ذلك ، فقال : احترت من الشر أقفه .

ورأى بعض الحكماء امرأة عريضة قد احتملها السيل ، فقال : رادت الكدر

كدرًا ، والشر بالشر يهلك .

• • •

ثم ذكر عليه السلام خصائص المؤمن ، فقال : إن المؤمنين مستكبرون ؛ استكبان  
الرجل ، أي خضع وذل .

إن المؤمنين مشفقون ، التقوى رأس الإيمان كما ورد في الخبر .

ثم قال : « إن المؤمنين خائفون » ؛ هو الأول وإنما أكد ، والتأكيد مطلوب في

باب الخطابة .

( ١٥٤ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَنَظِيرُ قَلْبِ الْكَلْبِ بِوَيْسِيرِ أَمَدِهِ ، وَيَسْرِفُ غَوْرَهُ وَتَجَدُّهُ .  
دَائِعٌ دَعَا ، وَرَائِعٌ رَعَى ؛ فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَأَتَّبِعُوا الرَّائِعِي .

• • •

الشرح :

يقول : إن قلب الكلب له عين يبصر بها غايته التي يجري إليها ، ويعرف من أحواله المستقلة ما كان مرتفعاً أو منخفضاً ساقطاً . والتجدد : الارتفع من الأرض ، ومنه قولهم للعالم بالأمور : « طَلَّامَ أَتَجَدُّ » .

ثم قال : « دَائِعٌ دَعَا » : موصح « دَائِعٌ » رفع ، لأنه مبتدأ محذوف الخبر ، تقديره : « في الوجود دَائِعٌ دَعَا ، وَرَائِعٌ رَعَى » : وبمعنى بالداعي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبالرائعي نفسه عليه السلام .

• • •

الأصل :

قَدْ حَاصُوا بِحَارِ الْفِتَنِ ، وَأَحْدُوا بِالْبِدَعِ دُونَ الشَّيْنِ ؛ وَأَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ ، وَنَطَقَ  
الصَّائِلُونَ الْمَكْدُوبُونَ .

نَحْنُ الشَّعَارُ وَالْأَصْعَابُ ، وَأَنْفَرَةٌ وَلَا أَبْوَابُ ؛ وَلَا تَوَاتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛  
فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سَارِقًا .

## الْبَيْتُ :

هذا كلام متصل بكلام لم يحكيك الرحمن رحمه الله ؛ وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ في ذمهم ، ونفى عليهم عهدهم .

وَأَرَزَ لِلْمُؤْمِنُونَ : أى اقْبَضُوا ؛ وَالضَّارِع « بَارِز » بالكسر أَرَزَا وَأَرَوْزَا ، وَرَجَل أَرَوْزَا أى متقبض ، وفى الحديث : « إِنَّ الْإِسْلَامَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُفْرِهَا » <sup>(١)</sup> ؛ أى ينضم إليها ويجتمع .

ثم قال : « نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَاب » ؛ يشير إلى نفسه ، وهو أبداً بآئى بلفظ الجمع ومراده الواحد .

وَالشُّعَارُ : ما يلى الجسد من الثياب ؛ فهو أقرب من ساترها إليه ؛ ومراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله .

وَالْحَرَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَمْنَى بِهِ خَزَنَةُ الْعِلْمِ وَأَبْوَابُ الْعِلْمِ ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « أَمَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَهِيَ بَابُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ » . وقوله فيه : « حَازَنَ عَلَى » وقال تارة أخرى : « عَيْنُهُ عَلَى » . ويمكن أن يربط خزانة الجنة وأبواب الجنة ، أى لا يدخل الجنة إلا مَنْ وَاقٍ بِوَلَايَتِنَا ؛ فقد جاء فى حقه الظهير الشائع المستفيض : إنه قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ ، وذكر أبو عبيد المروى فى " الجمع بين العريبين " ، أن قوماً من أئمة العربية فسروه فقالوا : لأنه لما كان مُحِثُهُ من أهل الجنة ، ومَبْخِضُهُ من أهل النار ؛ كَأَنَّهُ بهذا الاعتبار قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ . قال أبو عبيد : وقال غير هؤلاء : بل هو قَسِيمُهَا بِنَفْسِهِ فى الْحَقِيقَةِ ؛ بِدَحْلِ قَوْمَا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَقَوْمَا إِلَى النَّارِ ؛ وَهَذَا الَّذِى ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ أَخِيراً هُوَ مَا يَطَابِقُ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهِ ، يَقُولُ لِلنَّارِ : هَذَا لِي فَدَعِيهِ ، وَهَذَا لَكَ فَجَذِبِيهِ .

ثم ذكر أن البيوت لا تؤتى إلا من أبوابها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

(١) النهاية لابن الأثير ١ : ٢٤ .

البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» (١).

ثم قال : مَنْ أتاها من غير أبوابها سمى سارقاً ، وهذا حق ظاهر وباطن ؛ أمّا الظاهر فلأنَّ مَنْ ينسور البيوت من غير أبوابها هو السارق ، وأمّا الباطن فلأنَّ مَنْ طلب العلم من غير أستاذ محقق فلم يأتيه من بابه ؛ فهو أشبه شيء بالسارق .

\*\*\*

### [ ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل علي ]

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فُسر نفسه ، وبالنسبة في تمديد مناقبه وفضائله بفصاحته ؛ التي آتاه الله تعالى إياها ، واختصه بها ، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة ؛ لم يبلغوا إلى مشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره ؛ ولست أعنى بذلك الأخبار للمائة الشائمة التي يحتاج بها الإمامية على إمامته كغير المدير ، والثرثرة ، وقصة براءة ، وحب المناجاة ، وقصة حير ، وتمر الدار ممسكة في اجتهاد الدعوة ؛ ونحو ذلك ؛ بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث ، التي لم يحصل أقل القليل منها غيره ؛ وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يُتهمون فيه ، وجعلهم قائلون بتفضيل غيره عليه ، فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس مالا يوجه رواية غيرهم .

\*\*\*

انظر الأول : « يا علي ، إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها ، هي زينة الأبرار عند الله تعالى ، الزهد في الدنيا ، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً » (٢) ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ؛ ووهب لك حب المساكين ، جعلك ترضى بهم أنبياءاً ؛ ويرضون بك إماماً .

(١) سورة النور ١٧٧

(٢) ترزأ : تأحد .

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ " حلية الأولياء " وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في " المسند " : « فطوى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك ! » .

\*\*\*

الخبر الثاني : قال لومد ثقيف : « تَتَلَّيْنِ ، أَرَأَيْتَ إِيَّاكُمْ رَجُلًا مَنَّى أَوْ قَالَ : عَدِيلَ نَفْسِي . فليضربن أعناقكم ، وأيسرين ذرائعكم ، وليأخذن أموالكم » . قال عمر : فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ ، وجعلت أنصِبُ له صدرى رجاء أن يقول : هو هذا . فالتفت فأخذ بيد عليّ وقال : « هو هذا ! » ، مرتين .

رواه أحمد في " المسند " ؛ ورواه في كتاب فضائل عليّ عليه السلام ، أنه قال : « لَتَنَمَّيْنِ بَابِي وَلِيَّةً <sup>(١)</sup> ، أَوْ لَأَبْشُرَنَّ إِيَّاكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي ، يُغْضِي فُهْمَكُمْ أَمْرِي . يَقْتُلُ الْقَاتِلَةَ ، وَيَسِيءُ الدَّيْنَةَ » . قال أبو ذر : فما رايتُ إلا يرتد كُفَّ عُمَرُ فِي حُفْرَتِي <sup>(٢)</sup> مِنْ خَلْقِي ، بِقَوْلٍ : مَنْ تَرَاهُ بَنِي ؟ قُلْتُ : إِيَّاهُ لَا بَشِيكَ ، وَإِيَّاهُ بَنِي خَاصَّةَ النَّعْلِ ، وَإِنَّهُ قَالَ : « هو هذا » .

\*\*\*

الخبر الثالث : « إِنْ لَقِيتَ عَهْدِي فِي حُلَّةٍ عَهْدًا ، قُلْتُ : يَا رَبِّ يَتَنَّهُ لِي ، قُلْ : اسْمِعْ ، إِنْ عَلِمْتُ رَايَةَ الْهَدْيِ ، وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي ، وَنُورٌ مِنْ أَطَاعِي ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلَزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ؛ مَنْ أَحَبَّ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي ؛ فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ ، قُلْتُ : قَدْ بَشَّرْتَهُ يَا رَبِّ فَقَالَ : أَنَا عَهْدُ اللَّهِ فِي قَبْضَتِهِ ؛ فَإِنْ يَحْذَرُنِي فَيَذَنُونِي لَمْ يَظْلَمْ شَيْئًا ، وَإِنْ يَتَمَّ لِي مَا وَعَدَنِي فَهُوَ أَوَّلِي ؛ وَقَدْ دَعَوْتُ لَهُ قُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ قَبْضَهُ ، واجعل ربيته الإيمان بك . قال : قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنِّي مَحْتَصَةٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ لَمْ أَخْتَصِ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِي ، قُلْتُ : رَبِّ ، أَخِي وَصَاحِبِي أَقَالَ : إِنَّهُ سَبَقَ فِي عَلَيٍّ : إِنَّهُ لَيَبْتَلِي وَمَيَّتَلِي » .

(١) بنو وليعة : حتى في كعدة .

(٢) الهجرة : موضع الإزار .



ذكره أبو نعيم الحافظ في "حلية الأولياء" عن أبي بركة الأسدي، ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر، عن أنس بن مالك: «إن رسالتين عهد في علي إلى عهداً؛ إلهام الهدى، ومشار الإيمان، وإمام أوليائي، وور جميع من أطاعني. إن علياً أمين غداً في القيامة، وصاحب رايقي، بيد علي مفتح خزائن رحمة ربي».

\*\*\*

الخبر الرابع: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عرّسه، وإلى آدم في جلّسه، وإلى إبراهيم في جلّته، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب». رواه أحمد بن حنبل في "المسند"، ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

\*\*\*

الخبر الخامس: «من سرّه أن يحيا حياي، ويموت ميتي؛ ويتمسك بالقصيب من الياقوتة التي خلقها الله تعالى بيده، ثم قال لها: كوني فسكات؛ فليتمسك بولاء علي بن أبي طالب». ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب "حلية الأولياء"، ورواه أبو عبد الله بن حنبل في "المسند"، في كتاب فضائل علي بن أبي طالب، وحكاية لفظ أحمد رضي الله عنه: «من أحب أن يتمسك بالقصيب الأحمر الذي حرمه الله في حمة عدن يمينه، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب». الخبر السادس: «والذي نفسي بيده، لو لا أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت القصارى في ابن مريم، قللت اليوم عليك مقالا؛ لأنّ من المسلمين إلا أخذوا القرب من تحت قدميك للمركة».

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في "المسند".

\*\*\*

الخبر السابع: خرج صلى الله عليه وآله على الحبيب عشية عرفة، فقال لهم: إن الله قد

بأهـى بكم الملائكة عامة ، وغفر لكم عامة ، وبأهـى بعلى خاصة ، وغفر له خاصة . إلى قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرايتى ؛ إن السعيد كل التعيد حتى السعيد من أحت علياً فى حياته وبعد موته .

رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى كتاب فضائل على عليه السلام ، وفى " المسند " أيضاً .

\*\*\*

الخبر الثامن : رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى الكتابين المذكورين : « أنا أول من يدعى به يوم القيامة ؛ فأقوم من بين العرش فى ظله ، ثم ألقى حلة ، ثم يدعى بالنبين منهم على أترسهم ؛ فيقومون عن بين العرش ويسكتون حلاً ، ثم يدعى بعلى ابن أبى طالب لقرايته منى وممراته عنى ، ويدفع إليه لوائى أواء الحمد ، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء . ثم قال لعلى : « ففسر به حتى تقف بينى وبين إبراهيم الخليل ، ثم تكسى حلة ، وينادى من العرش : نعم العبد أبوك إبراهيم أو نعم الأخ أخوك على أشرف قبلك تدعى إذا ذهبت ، وتسكنى إذا كسيت ، وتحياً إذا حثيت »

\*\*\*

الخبر التاسع : « يا أس ، اسكب لى وضوءاً » ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال : « أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين ، وحيد المسلمين ، وبسوط الدين ، وخاتم الوصيين وقائد المرء المحجلين » . قال أس : فقلت : اللهم احملهم رحلاً من الأمان ، وكتببت دعوتى ، فجاء على ، فقال : صلى الله عليه وسلم : « من جاء يا أس » ؟ فقلت : على ؛ فقام إليه مستبشراً ، فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه . فقال على : يا رسول الله ، صلى الله عليك وآلك ؛ لقد رأيت منك اليوم نفع لى شيئاً ما صنعت به قبل ؛ قال : « وما يعنى وأنت تؤذى عنى ، وتسمعهم صوتى ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى » .

رواه أبو نعيم الحافظ فى " حلية الأولياء " .

\*\*\*

الخبر العاشر : « ادعوا إلى سيد العرب علياً » ، قالت عائشة : أأنت سيد العرب ؟ فقال : « أنا سيد ولد آدم ، وعلى سيد العرب » ؛ فلما جاء رسول إلى الأنصار ، فأنشده ، فقال لهم : « يا معشر الأنصار ، ألا أدلكم على ما لن تمسككم به لن تنصروا أبداً » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « هذا علي » ؛ فاجتبه بمحبي ، وأكرمه بكرامتي ؛ فلن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل » .

رواه الخافظ أبو نعيم في " حلية الأولياء " .

•••

الخبر الحادي عشر : « مرحباً سيد المؤمنين وإمام المؤمنين » ؛ فقيل لعلي عليه السلام : كيف شكرك ؟ قال : أحمد الله على ما آتاني ، وأسأله الشكر على ما أولاني ، وأن يزيدني مما أعطاني .

ذكره صاحب " الحلية " أيضاً

الخبر الثاني عشر : « من سرني أن يمينا حياتي ، وموت مماتي ، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربّي ، عليّ علياً من عدي ، وليوال ولته ، وليقتد بالآمة من بعدي ، فإنهم يهتدوني ، خلقوا من طينتي ، ورددوا فيها وحداً . فويل للكاذبين من أمتي ! القاطعين فيهم صلتى ، لا أنا لهم الله شفاعة » .

ذكره صاحب " الحلية " أيضاً .

■ ■ ■

الخبر الثالث عشر : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد في سرية ، وبعث علياً عليه السلام في سرية أخرى ، وكلّاهما إلى اليمن ، وقال : « إن اجتمعنا قتل على الناس ، وإن افرقنا فكل واحد منكما على جنده » ، فاجتمعوا غاراً وسبياً نساء ، وأخذوا أموالاً ، وقتلوا ما ، وأخذ عليّ جارية فاحتصنها لنفسه ، فقال خالد لأربعة من المسلمين : منهم يزيد الأسدي : اسبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذكروا له كذا ، واذكروا

كنا ، لأمر عددها على ، فسبقوا إليه ، جاء واحد من جانيه ، قال : إن علياً فعل كذا ، فأعرض عنه ، فجاء الآخر من الجانب الآخر ، فقال : إن علياً فعل كذا ، فأعرض عنه فجاء بريدة الأسلمي فقال : يا رسول الله ، إن صيا فعل ذلك ، فأخذ جارية لنفسه ، فغضب صل الله عليه وآله ، حتى احمر وجهه ، وقال : «دعوا لي علياً» ، يكررها ، «إن علياً مني وأنا إن علي» ، وإني حط في الخس أكثر مما أخذ ؛ وهو ولي كل مؤمن من بعدى .

رواه أبو عبد الله أحمد في "المسند" غير مرة ، ورواه في كتاب فضائل علي ، ورواه أكثر الحديثين .



الخبر الرابع عشر : «كنت أبا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق آدم قسم ذلك في وجهه حراين ، فعزه أنا ، وجزه علي» .  
رواه أحمد في "المسند" وفي كتاب فضائل علي عليه السلام ، وذكره صاحب كتاب الفردوس ، وزاد فيه : «ثم اتقلنا حتى مرنا في عهد المطلب ، فكان لي النبوة ولعلي الوصية» .



الخبر الخامس عشر : «النظر إلى وجهك يا علي عبادة ، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحببك أحبني . وحببي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، الويل لمن أبغضك» .

رواه أحمد في "المسند" ، قال : وكان ابن عباس يفسره ، ويقول : إن من ينظر إليه يقول : سبحان الله ! ما أعلم هذا الفتي ! سبحان الله ! ما أشجع هذا الفتي ! سبحان الله ، ما أفصح هذا الفتي !

الحديث السادس عشر : لما كانت ليلة بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ يَسْتَقِ لِنَا مَاءً ؟ » ، فأجمع الناس ، فقام عليّ فاحتضن قرنة ، ثم أتى بثراً بعيدة القعر مظلمة ، فأمحدر فيها ، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل : أن تاهبوا لنصر محمد وأحبيه وحزبه ، فهبطوا من السماء ، فلم لمط بذعر مَنْ يسمعه ، فلما حاذوا البئر ، سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً .

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام ، وزاد فيه في طريق أخرى من أنس ابن مالك : « لَتَوْتَيْنَ يَا عَلِيّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَقَّةٍ مِنْ نَوَقِ الْجَنَّةِ فَتَرْكِبُهَا ، وَرَكْبَتُكَ مَعَ رَكْبَتِي ، وَفِيْغِدُكَ مَعَ فَيْغِدِي ؛ حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ »

• • •

الحديث السابع عشر : حطّب صلى الله عليه وآله الناس يوم الجمعة ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا قَدِّمُوا هَؤُلَاءِ ، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلَا تَعْلَمُوا هَؤُلَاءِ ، قُوَّةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ قُوَّةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَأَمَانَةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ . أَيُّهَا النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِحُبِّ ذِي قُرْبَاهَا ، أُنْصِي وَابْنَ سَعْدٍ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ؛ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَسْضَنِي عَذَّبَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ » .

رواه أحمد رضى الله عنه في كتاب فضائل عليّ عليه السلام .

• • •

الحديث الثامن عشر : الصّديقون ثلاثة : « حبيب النّجار ، الذي جاء من أقصى المدينة يسمى ، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، وعليّ بن أبي طالب ؛ وهو أفضلهم » .

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام .

• • •

الحديث التاسع عشر : أعطيت في عنّ خسا ، هُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ؛ أَمَا وَاحِدَةٌ فَهُوَ كَابٍ بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهِ هَزْ وَحَلْ ؛ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ ، وَأَمَا الثَّانِيَةُ

فلواء الحمد بيده ، آدم ومن ولد نمحته ، وأما الثالثة فواقف على عثر<sup>(١)</sup> حوضي ؛ يسقي من عرف من أمتي ، وأما الرابعة فسائر عورتي ومسلي إلى ربّي ، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان ، ولا زانياً بعد إحصان .  
رواه أحمد في كتاب الفضائل .

\*\*\*

الحديث المشرون : كانت جماعة من الصحابة أبواب شريعة في مسعد الرسول صلى الله عليه وآله ، فقال عليه الصلاة والسلام يوماً : « سدّوا كل باب في المسعد إلا باب عليّ » ، فسدت ، فقال في ذلك قوم ، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله مقام فيهم ، فقال : « إن قوماً قالوا في سدّ الأبواب وترك باب عليّ ، إني ما سدّدت ولا فتحت ، ولكنني أمرت بأمرٍ فاتبعته » .

رواه أحمد في " المسند " مراراً وفي كتاب الفضائل

\*\*\*

الحديث الحادي والمشرون : دعا صلى الله عليه وآله عليّاً في غزاة الطائف ، فاتبعاه ، وأطال محواه حتى كره قوم من الصحابة ، ذلك ، فقال قائل منهم : لقد أطال اليوم نحوى ابن عمه ، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع معهم قوماً ، ثم قال : « إن قائلًا قال : لقد أطال اليوم نحوى ابن عمه ، أما إني ما اتبعته ؛ ولكن الله اتبعناه » .  
رواه أحمد رحمه الله في " المسند " .

\*\*\*

الحديث الثاني والمشرون : « أخصيك<sup>(٢)</sup> يا عليّ بالنبوة فلا نبوة بعدى ، ونخمس الناس بسبع ، لا يحاحد فيها أحد من قريش : أنت أزلهم إيماناً بالله ، وأوقاهم بهداه ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعلمهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله منزلة » .

رواه أبو نعيم الحافظ في " حلية الأولياء " .

•••

الخبر الثالث والعشرون ، قالت فاطمة : إنك زوّجتني فقيراً لا مال له ، فقال : « زوّجتك أفداهم سلماً ، وأعظمهم حياءً ، وأكثرهم عيماً ! ألا تعلمين أن الله أطلع إلى الأرض الطلعة ، فاختار منها أباك ، ثم أطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك ! » .

رواه أحمد في السند .

•••

الحديث الرابع والعشرون ، لما أرسل : ( يَذَا حَاءَ نَعْرُ أَفٍّ وَالْفَتْحُ ) بعد انصرافه عليه السلام من غزاة حُنَيْنٍ ، جعل يكثر من « سبحان الله ! أستغفر الله » ، ثم قال : « يا علي ! إنه قد جاء ما وعدت به ، جاء الفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي ؛ فقدّمك في الإسلام وقربك مني ، وصبرك ؛ وعندك سيّدة نساء العالمين ؛ وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن ؛ فأما حريصٌ عليّ أن أراعي ذلك لو لمه » .

رواه أبو إسحاق النخعي في « تفسير القرآن » .

•••

واعلم أنا إعاد ذكر ما هذه الأخبار ها هنا ، لأن كثيراً من المتعرفين عنه عليه السلام إذا مرّوا على كلامه في « نهج البلاغة » وغيره القصص التي تحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له صلى الله عليه وآله ، وتمييزه إياه عن غيره ، يسبونه إلى القهية والزهو والفتور ، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة ، قيل لعمر : ولّ علياً أمر الجيش والحرب ، فقال : هو أثبته من ذلك ! وقال ريد بن ثابت : ما رأينا أزهى من علي وأحسمة . فأردنا بإيراد هذه الأخبار ها هنا عند تفسير قوله : « نحن الشعار والأصحاب ، ونحن الخزنة والأبواب » ، أن ننبّه على عظم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله ، وأن من قيل

في حقه ما قيل لو رقى إلى السماء ، وعَرَج في الهواء ، ونُفِرَ قَلَى الملائكة والأنبياء ، تعظما وتبجحا ؛ لم يكن ملوماً ، بل كان بذلك حديراً ؛ فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعمُّم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله ؛ وكان اللفظ البشـر حلقاً ، وأكرمهم طبعاً ، وأشدَّهم تواضعاً ، وأكثرهم احتمالاً ، وأحسبهم بشراً ، وأطلقهم وجهاً ؛ حتى نسه من نفسه إلى الذميمة والمراح ، وهما حُفَّان بما فيان التكبر والاستطالة ؛ وإنما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع ، بقية مصدور ، وشكوى مكروب ، وتنفس مهموم ؛ ولا يقصد به إداد ذكره إلا شكر انعمة ، وتنبية العاقل قَلَى ما حصه الله به من الفصيلة ، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف ، والحسن قَلَى اعتقاد الحق والصواب في أمره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل ؛ فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال : ﴿ أَمَّا يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ أَحَقُّ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِ مِنْ يَدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَآتَاكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

## الأجند :

منها :

فيهم كرائم الإيمان ، وهم كفور الرحمن ؛ إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسَبَّحُوا . فليصدق رائد أهله ، وليحصر عقله ، وليسكن من أبناء الآخرة ، فإنه منسأ قديم ، وإلينا ينقلب ؛ فالناظر بالقلب ، العاقل بالبصر ؛ يكون مبتدأ عقله أن يعلم : أعمله عليه أم له ؟ فإن كان له مضي فيه ، وإن كان عليه وقف عنه ، فإن العاقل يغير علمه ؛ كالتأثير قَلَى غير طريق ؛ فلا يزيدُه بؤده عن الطريق الواضح



إِلَّا بُدْءًا مِنْ حَاجَتِهِ ؛ وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ؛ فَلْيَنْظُرْ مَا ظَرَفَ  
أَسَائِرُهُ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ ؟

•••

### الْبَيْتُ :

قوله : « فيهم » يرجع إلى آل محمد صلى الله عليه وآله الذين عنانهم بقوله : « نحن الشعار  
والأصحاب » ، وهو بطلق دائما هذه الصبغ الجميلة ، ويعنى عنه ؛ وفي القرآن كثير من ذلك ،  
نحو قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ  
إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) .

وكرائم الإيمان : جمع كريمة وهي للنفات منه ، قال الشاعر :

ماضٍ مِنَ الْعَيْشِ لَوْ يَفْدَى بِذَلِكَ لَهُ كَرَامٌ لِلَّالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَمَرٍ  
فَإِنْ قُلْتَ : أَيْسُ كُونَ فِي الْإِيمَانِ كَرَامٌ وَغَيْرُ كَرَامٍ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ  
أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا اسْمٌ لِلطَّعَاتِ كُلِّهَا وَأَحْسِبْهَا وَنَفْسَهَا ، فَمَنْ كَانَتْ مُوَافَقُهَا أَكْثَرَ كَرَامٍ الْإِيمَانِ  
عِنْدَهُ أَكْثَرُ ، وَمَنْ قَامَ بِالْوَاجِبَاتِ قَطُّ مِنْ غَيْرِ مُوَافِقٍ ، كَانَ عِنْدَهُ الْإِيمَانُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ  
كَرَامُ الْإِيمَانِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَعَلَى هَذَا تَكُونُ التَّوَابِلُ أَكْرَمَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ ؟

قُلْتَ : هِيَ أَكْرَمُ مِنْهَا بِاعْتِبَارٍ ، وَالْوَاجِبَاتُ أَكْرَمُ مِنْهَا بِاعْتِبَارٍ آخَرَ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ  
صَاحِبَهَا إِذَا كَانَ قَدْ قَامَ بِالْوَاجِبَاتِ كَانَ أَهْلَى مَرْتَبَةً فِي الْجَنَّةِ مِنْ اقْتِمَارِهَا عَلَى الْوَاجِبَاتِ قَطُّ ؛  
وَأَمَّا الثَّانِي فَلِأَنَّ الْخُلُقَ بِهَا لَا يَمْتَعِبُ ، وَالْمَعْلُومُ بِالْوَاجِبَاتِ يَمْتَعِبُ .

قوله : « وهم كنوز الرحمن » لأن الكرم مال يتحرر لشديدة أو ملحة تترك بالإنسان ،  
وكذلك هؤلاء قد ذكروا الإيضاح للشكليات الدينية على المكملين .

ثم قال : إن نطقوا صدقوا ، وإن سكتوا لم يكن مكنونهم عن عيٍّ يوجب كونهم مسموقين ؛ لكنهم ينطقون حكماً ، ويصمتون حلاً .

ثم أمر عليه السلام بالتقوى والعمل الصالح ، وقال : « ليس صدق رائد أهله » ، الرائد : المذهب من الحق يرتاد لم الرعى ؛ وفي أمثالهم : « الرائد لا يكذب أهله » ، والمعنى أنه عليه السلام أمر الإنسان بأن يصدق منه ولا يكذبها بالنسوف والتعليل ، قال الشاعر :

أحى إذا خاضت بك فاحتشذ لها وإذا حدثت نفسك فاصدق

وفي المثل : « المشيخ عما لا يملك كلاس ثوبى زور »

فإنه منها قدم ؛ قد قيل : إن الله تعالى خلق أرواح البشر قبل أجسادهم ، والخبر في ذلك مشهور والآية أيضا ؛ وهي قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> . ويمكن أن يفسر على وجه آخر يودع أن الآخرة اليوم عديم محض ، والإنسان قديم من العدم ، وإلى العدم يتقلب ؛ فقد صحح أنه قديم من الآخرة ويرجع إلى الآخرة .

وروى : « أن العالم بالبصر » أى بالبصرة ، فيكون هو وقوله : « فالناظر بالقلب » ، سواء ؛ وإنما قاله تأكيذاً ، وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تفسير وتأويل ، فأما الرواية المشهورة فالوجه في تفسيرها أن يكون قوله : « فالناظر » مبتدأ و « المائل » صفة له ؛ وقوله : « بالبصر » يكون مبتدأ عمل « جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، موضعها رفع ، لأنها خبر المبتدأ الذى هو « فالناظر » ؛ وهذه الجملة المذكورة قد دخلت عليها « كان » ، فلطار والجورور وهو الكلمة الأولى منها منصوبة للوضع ، لأنها خبر « كان » ، ويكون قوله فيما بعد : « أن يعلم » منصوب

(١) سورة الأعراف ١٧٢

للوضع ؛ لأنه يدل من « البصر » الذي هو خبر « يكون » والمراد بالبصر هاهنا البصيرة ،  
 فيصير تقدير الكلام : فالناظر بقلبه ، العامل بموارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر والبصيرة ،  
 بأن يعلم : أعمه له أم عليه ا

ويروى : « كالسائل على غير طريق » ، والسائل : طالب السبيل ؛ وقد جاء في الخبر  
 المرفوع : « مَنْ عَمِلَ نَبِرَ هَدًى ، لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا » ، وفي كلام الحكماء : « للعامل بهير  
 علم كالراعى من غير وتر » .

• • •

الأصل :

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ؛ وَمَا ظَاهِرُهُ ، طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خُفِيَ  
 ظَاهِرُهُ خُفِيَ بَاطِنُهُ ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ أُلْهِبَ  
 الْعَبْدَ وَيَسْمُ عَمَلُهُ ، وَيَحْبِبَ الْعَمَلَ وَيُسَمِّصْ بَدَنَهُ » .

• • •

الشرح :

هذا الكلام مشتق من قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَسَاءَهُ يَرْزُقُ رَبَّهُ وَالَّذِي  
 حَبَّتْ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِيدًا ﴾<sup>(١)</sup> ؛ وهو تمثيل ضربه الله تعالى لمن يجمع فيه الوعظ والتذكير  
 من البشر ، ولن لا يؤثر ذلك فيه مثله بالأرض المذبة الطيبة تخرج النبات ، والأرض  
 السبخة الخبيثة لا تنبت ؛ وكلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى يرمى . يقول : إن  
 لسكتنا حالتى الإنسان الظاهرة أمراً باطلاً يناسبها من أحواله ؛ والحالتان الظاهرتان : ميلة  
 إلى العقل وميله إلى الهوى ؛ فالمتبع لمتنفس عقله يرزق السعادة والفوز ؛ فهذا هو الذى طالب

ظاهره ، وطلب باطنه ، والمتبع لفتنوى هوا وعادته ودين أسلافه يرزق الشقاوة والمطرب ؛ وهذا هو الذى حُبث ظاهره وخُثث باطنه .

فإن قلت : فلم قال : « فاطاب » ؟ وهلا قال : « من طاب » ! وكذلك فى « خُبث » ! قلت : كلامه فى الأخلاق والمفائد وما تنطوى عليه الصائغ ؛ يقول : ما طاب من هذه الأخلاق والملكات ، وهى خلق النفس الربانية المريدة للعق ؛ من حيث هو حق ؛ سواء كان ذلك مذهب الآباء والأجداد أو لم يكن ؛ وسواء كان ذلك مستقبها مستهجننا عند العامة أو لم يكن ؛ وسواء نال به من الدنيا حظاً أو لم ينل . يستطيب باطنه بمنى ثمرته ؛ وهى السعادة ؛ وهذا المعنى من مواضع « ما » لا من مواضع « من » .

وأما الخبر المروى<sup>(١)</sup> ، فإنه مذكور فى كتب المحدثين ؛ وقد فسره أصحابها المتكلمون ، فقالوا : إن الله تعالى قد يمتح المؤمن ويختبره لإرادته إتمامه ، ويبفض عملاً من أعماله وهو ارتكاب صغيرة من الصائغ ؛ فإنها مكروهة عند الله ؛ وليست قاذحة فى إيمان المؤمن ، لأنها تقع مكفرة ؛ وكذلك قد يمتح الصالح بأن يربد عقابه ؛ نحو أن يكون فاسقاً لم يقف ، ويمح عملاً من أعماله ؛ نحو أن يطيع بعض الطاعات ، وحقه لتلك الطاعة ؛ هى إرادته تعالى أن يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم .

\*\*\*

الأصل :

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا يَغْنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ . وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ ، طَابَ غَرْمُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا حُبثَ سَقْيُهُ ، خُبثَ غَرْمُهُ وَأُثْمِرَتْ ثَمَرَتُهُ .

\*\*\*

(١) ساقطه من ب .

### الهنج :

السنق : مصدر سقنت ، والسقق ، بالكسر : النصيب من الماء .

وأمر الشيء ، أى صار مرًا .

وهذا الكلام مثل فى الإخلاص وضده وهو الرياء وحب السمعة ، فكل عمل يسكون مدده الإخلاص لوجه تعالى لا غير ؛ فإنه زائل حلوا الجنى ، وكل عمل يسكون الرياء وحب الشهرة مدده ؛ فليس زائل ، وتكون ثمرة مرة المذاق

( ١٥٥ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش :

أَتَلَمُدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْحَسِرَتْ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَّعَتْ عَظَمَتُهُ الْقُفُولَ  
فَلَمْ تَجِدْ مَسَاعًا إِلَى بُلُوغِ عَابَةِ مَلَكُوتِهِ

هُوَ اللَّهُ الْخَلْقُ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَشْيَنُ بِمَا تَرَى الْعَيُونُ . ثُمَّ تَسْلُفُهُ الْقُفُولُ بِتَحْدِيدِ  
فَيْكُونَ مُشْتَبَهَا ، وَلَمْ تَقْعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرِ فَيْكُونَ مُتَمَلَّا . خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ  
تَمَثُّلٍ ، وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةٍ مُعِينٍ ؛ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ إِطَاعَتِهِ ؛  
فَأَجَابَ وَلَمْ يَدَّاعِيسْ ، وَأَخَادَ وَلَمْ يُبَارِعْ .

وَمِنْ أَطْلَافِ صُنْعِهِ ، وَتَجَانِبِ حَقِّقِهِ ، مَا أَرَامَا مِنْ عَوَامِيسِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ  
الْخَدِيعِيسِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الصَّبَاءُ الْأَمَاسِيطُ لِكُلِّ نَفْسٍ ، وَيَبْسُطُهَا الطَّلَامُ الْقَائِيسُ لِكُلِّ  
سَمٍ . وَكَثِيفَ عَيْبَتِ أَغْيَاسِهَا عَنْ أَنْ تَسْتَوِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُصِيبَةِ نُورًا تَهْدِي بِهِ فِي  
مَدَائِيسِهَا ، وَتَتَمَثَّلُ بِعَلَائِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَسَارِفِهَا ، وَرَدَّعَهَا بِتَلَالُوفِ ضِيَائِهَا عَنْ  
الْمِيسِ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا ، وَأَكْثَهَا فِي مَكَامِيسِهَا عَنِ الدَّهَابِ فِي بُدُوحِ انْتِلَاقِهَا .  
وَهِيَ مُسَدَّلَةٌ الْجُلُفُونَ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَائِقِهَا ، وَجَاءَتُهُ أَهْلِيلُ مِيزَاحَا تَسْتَدِيلُ بِهِ فِي التَّامِيسِ  
أَرْزَاقِهَا ، فَلَا مَرْدُ أَنْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلُمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِيعُ مِنَ الْمِيسِ فِيهِ لِفَسْقِ دُجَّتِهِ ، فَإِذَا  
أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِيَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ سَهَائِلِهَا ، وَدَخَلَ مِنَ إِشْرَاقِ مَوَارِهَا عَلَى الصَّبَابِ  
فِي وَجَارِهَا ؛ أَطْلَقَتْ الْأَخْطَارَ عَلَى مَا فِيهَا ، وَتَبَهَّمَتْ بِمَا أَكْثَسَبَتْهُ مِنَ الْعَاشِ فِي  
ظُلَمِ لَيَالِيهَا .



وسُبُحات إشراقها: جلاله وبهاؤه . وأكسها : سترها، وُبَلَج اختلافها: جمع بُلْجَة؛ وهي أول الصبح ؛ وجاء بُلْجَة أيضا بالفتح .

والجَدَاف : جمع حَذَقَة العين . والأَسْدَاف : مصدر أَسَدَف الليل ، أظلم .  
وغسق الدَّجَجَة : ظلام الليل . فإذا أَلَقَت الشمس قناعها ، أى سَفَرَت عن وجهها وأشْرَقَت .

والأَوْصَاح : جمع وَصَح، وقد يراد به حُلٌّ يعمل من الأوامر الصَّحاح، وقد يراد به الأوامر الصَّحاح نفسها وإن لم يكن حُلًّا، والصَّبَاب ، جمع صَبَّ . ووَخَّارها : يَبْتِها . وشَطَايا الأَذَان : أقطاع منها . والقَصَب هاها : المَضْرُوف .

وخلصة الخطبة، التمتع من أعين اختلافيش التي تنصر ليلا ولا تنصر نهارا، وكل الحيوانات بخلاف ذلك، فقد صار الليل لها ماشا، والنهار لها سكونا ؛ بعكس الحال فيما عداها . ثم من أجدها التي نظيرها وهي لم لا ريش عليه ولا تضروف ؛ وليست رقيقة فتشق ولا كثيمة تنتقلها عن الطيران . ثم من ولدها إذا طارت احتملته وهو لاصق بها، فإذا وقعت وقع ملتصقا بها هكذا ، إلى أن يشتد ويقوى على الهوض فيفارقها .

• • •

### [ فصل في ذكر بعض غرائب الطيور وما فيها من عجائب ]

واعلم أنه عليه السلام قد أتى بالملة الطبيعية في عدم إحصارها سارا ؛ وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد ؛ وقد يمرض مثل ذلك لبعض الناس ؛ وهو المرض الذي « روز كور » أى أعمى النهار ، ويكون ذلك عن إفراط التحلل في الروح النوري، فإذا لقيَ حرَّ النهار أصابه قَر ، ثم يستترك ذلك يرد الليل فينزل ، فيعود الإبصار .



وأما طيراتها من غير ريش ؛ فإنه ليس بذلك الطيران الشديد ، وإنما هو نهوض وخفة ، أودعها الله تعالى إياه بواسطة الطبيعة ، والاتصاف الولد بها ، لأنها نصته إليها بالطبع ، وينصم إليها كذلك ، وتستعين على ضمه برجليها ، وبقتصر المسافة . وجملة الأمر أنه تعجب من عجيب . وفي الأحاديث العامة ؛ قيل للعنقاء : لماذا لا جناح لك ؟ قال : لأنى تصوير مخلوق ، قيل : فلماذا لا تخرج نهاراً ؟ قال : حياء من الطيور ، بمنون أن المسيح عليه السلام صورته ، وأن إياه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَخَّأْتُ مِنَ الطَّيْنِ كَمَيْتَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنَفَّخُ فِيهَا فَتَسْكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ (١) .

وفي الطير عجائب وغرائب لا تهدي القول إليها ؛ ويقال : إن ضربين من الحيوان أصمان لا يسمعان ، وهما النمام والأفريقي .

وتقول العرب : إن العظيم <sup>(يسمع بيمينه)</sup> ينفه ؛ لا يحتاج معها إلى حاسة أخرى . والكراكي يجمعها أمير لها كيتسوب النحل ، ولا يجمعها إلا أرواجا . والمصافير آفة للناس آفة لهم ، لأنسكر داراً حتى يسكنها إنسان ؛ ومتى سكنتها لم تقم فيها إذا خرج الإنسان منها ؛ فبفراقه تعارق ؛ وسكناء نسكن . ويذكر أهل البصرة أنه إذا كان زمن الخروج إلى الساتين لم يبق في البصرة مصفون إلا خرج إليها ، إلا ما أقام على بيضه وفراخه ؛ وقد يذرب المصفون فيستحيب من السكان الهيد ويرجع .

وقال شيخنا أبو عثمان : بلمنى أنه درّب فخرج من يمول . وليس في الأرض رأس أشبه برأس الحية من رأس المصفور ، وليس في الحيوان الذي يعابش الناس أقصر حرمانه ، قبل لأجل السفاد الذي يستكثر منه . ويتميز الله كرم من الأتقى في المصافير تميز الديك

من الدجاجة ؛ لأن له لحية ؛ ولا شيء أحنى على ولده منه ، وإذا عَرَضَ له شيء صاح ، فأقبلت إليه المصافير بساعده ؛ وليس [ شيء ] <sup>(١)</sup> في مثل جسم المصفور [ من ] <sup>(٢)</sup> شدة وطئه [ إذا مشى أو على السطح ما المصفور ؛ فإليك ] <sup>(٣)</sup> إذا كنت تحت السطح ووقع ؛ حبت وقعة وقعة حجر ، ودكور <sup>(٤)</sup> المصافير لا تمش إلا سعة ؛ وكثيراً ما تحلب الحيات إلى المنارل ، لأن الحيات تنسجها حرصاً على ابتلاع بيضها وفراخها .

ويقال : إن الدجاجة إذا باصت بيصتين في يوم واحد وتكرر ذلك ماتت ، وإذا هربت الدجاجة لم يكن لأواخر ما تبضه صفرة ؛ وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يخلق فيها فروج ؛ لأن غذاءه الملح مادام في البيضة ، وقد يكون للبيضة محان فتتفص <sup>(٥)</sup> عن قروحين يحنقان من البياض ، ويمتدين بالحنين ، لأن الفرائج تخلق من البياض وتمتد بالصفرة . وكل ذلك فإنه يلتقط الحنة فيعدف بها إلى الدجاجة سماحاً وإيثاراً ؛ ولهذا قالوا : « أسمع من لافطة » يعنون الديسكة إلا ديسكة مرو بخراسان ، فإنها تطرد دجاجة عن الحب وتعه من أمورها فتبطل .

والحمام ملهء ، وفي أمثالهم : « أحق من حمامة » ، وهي مع حنقها مهتدية إلى مصالح نفسها وفراخها .

قال ابن الأعرابي : قلت لشيخ من العرب : من علمك هذا ؟ قال : علمني الذي علم الحمامة على بلهها تغليب بيضها ، كي تغلي أوجهين جميعاً نصيبهما من الحنن والهداية في الحمام لا تكون إلا في الخضر والشر ، وأما الأسود الشديد السواد فهو كالزنجي القليل المعرفة ، والأبيض صميف القوة . وإذا خرج الجوزل <sup>(٦)</sup> عن بيضته علم أبواه أن حنقه لا ينفع لعداء ، فلا يكون لهما هم إلا أن ينقضا في حنقه الريح لتقح حوصلاته بعد النعاسها ، ثم يعدن أنه لا يحتمل في أول غنقه أن يزق بالطم ؛ فيزقانه باللعاب الخنط

(١) تسككة من كتاب الحيوان .

(٢) اعقمت البيضة عن المرح : خلفت .

(٣) د : د : د كورة

(٤) الجوزل : فرج الحمام .

بقواها وقوى الطم ثم بلمان أن حوصلته تحتاج إلى دباغ ، فبأكلان من شورج<sup>(١)</sup>  
أصول الحيطان ، وهو شيء من الملح الخالص والتراب فيزقانه به . فإذا علما أنه قد اندبغ  
زقاه بالعَبّ الذي قد غبّ في حواصلهما ، ثم مالدى هو أطرى فأطرى ، حتى يتعود ؛ فإذا  
علما أنه قد أطلق اللقطة منعا بعض اللع ، ليعتاج وينشوف ، فتطلبه نفسه ، ويحرص  
عليه ؛ فإذا فطما وبلغا منتهى حاجته إليهما ، نزع الله تلك الرحمة منهما ، وأقبل بهما على  
طلب نسل آخر .

ويقال : إن حية أكلت بوم مكاء فعزل لكاء بشرير على رأسها ، وبدنومنها  
حتى دأمت<sup>(٢)</sup> الحية لسانها ، وفنعت فاعا نريده ونهم به ، فألقى فيها حسكة<sup>(٣)</sup> فأخذت  
مخلفها حتى ماتت !

ومن دعاء الصالحين : يار راق السماب<sup>(٤)</sup> في عتة اودلك أن التراب إذا قصص عن  
فراجه ، قصص عنها بيمس الألوان ، فينثر عنها ولا يرقها ؛ فتفتح أفواهها ، فيأنيها ذباب  
يتساقط في أفواهها ، فيكون عذامها إلى أن تسود ، فيقطع الدباب عنها ، ويسود العراب  
إليها فيأنيس بها ويغذيها .

والعبارى تدبى<sup>(٥)</sup> جناح الصقر بنرقها ، ثم يجمع عليه العباريات ، فينتفن ريشه  
طاقة طاقة ؛ حتى يموت ؛ وأدلك يحاول العبارى العلوا عليه ، ويحاول هو العلوا عليها ، ولا  
يتجاسر أن يدنو منها متفلا عنها . ويقال : إن العبارى تموت كمدأ إذا انحسر عنها  
ريشها ، ورات صولجهاها تطير .

• • •

(١) الشورج : نوع من الملح ؛ وربما كان للدباغة خاصة .

(٢) دأمت لسانها : أخرجه .

(٣) حسكة : عوكة .

(٤) السماب ، أى التراب .

(٥) تدبى : تصطاد .

وكل الطير يتساقط بالأسناء إلا الحجل فإن الحجلة تكون في سفالة الريح، واليطوب<sup>(١)</sup> في علالاتها، فتلقح منه كما تلقح النحلة من العسل<sup>(٢)</sup> بالريح .  
والعباري شديد الحق، يقال إنها أحق الطير ؛ وهي أشده حيابة لبيضها وفراخها .

والمعق مع كونه أحب للطيور وأصدقها حبثا ، وأشدّها حذرًا ، ليس في الأرض طائر أشدّ تضييها لبيضه وفراخه منه .

ومن الطير ما يؤثر التفرّد كالغراب ؛ ومنه ما يتعاش زوجا كالقطا .

والظلم يتسلع الحديد الحتمي ، ثم يبيعه في قاصته حتى يُحبله كالماء الجاري ؛ وفي ذلك أجبوتان : التعدي بما لا يندى به ، واستمراؤه وهضمه شيئا لو طبخ بالمار أبدًا لما انحل .  
وكا سُحر الحديد لجوف الظلم فأحاله سُحر الصخر الأصم لأذنان الجراد ، وإذا أراد أن يلقى بيعة غرس ذنّه في أشدّ الأرض صلابة ، فانصدع له ؛ وذلك من فعل الطبيعة تسخير الصانع القديم سبحانه ؛ كما إن عود الصنماء الرُخو الدقيق<sup>(٣)</sup> المنبت ، يلقى في نباته الأجر والخزف الطليظ ، فينقبه .

وقد رأيت في مسناة سور بغداد ، في حجر صلب نبتة قد شقت وخرجت من موضع ؛ لو حاول جماعة أن يضرروه بالبيارم الشديدة مدة طويلة لم يؤثر فيه أثرا .  
وقد قيل : إن إبرة المعرب أنفذ في الطنخير<sup>(٤)</sup> والطلست .

وفي الظلم شبه من الهير من جهة للنسيم والوظيف والمعق والخزامة التي في أنفه ،

(١) اليطوب : ذكر الحجل .

(٢) العسل : ذكر النحل .

(٣) سائلة من به .

(٤) الطنخير : وعاء يمل فيه الخبيص ( معرب )

وشبه من الطائر من جهة الرش والجناحين والذنب والفتار ثم إن ما فيه من شبه الطير  
حذنه إلى البيض ، وما فيه من شبه البعير لم يحذنه إلى الولادة

ويقال : إن النعامة مع عظم عظمها وشدة عدوها لا يمنع فيها ، وأشد ما يكون عدوها  
أن تستقبل الريح ؛ فكأنها كان أشد لعصوفها كان أشد لحضرها<sup>(١)</sup> ، تضع عنقها على  
ظهرها ثم تحرق الريح ، ومن أعاجيبها أن الصيغ إذا دخل وانتدأ السر في الحرة انتدأ  
لون وطيفها في الحرة ؛ فلا يزالان يرددان حرة إلى أن تنهي حرة السر ، ولذلك قيل  
للطليم : حاصب ، ومن المعتب أنها لا تأس بالطير ولا بالإبل مع مشاكتها للوعين ؛  
ولا يكاد يرى يمسها مبددا البقة ، بل تصفه طولاً صفاً مستويا على غاية الاستواء ، حتى  
لو مددت عليه حيط المسطر لما وجدت له مصه حروفاً عن البيض ؛ ثم أعطى لسكل واحدة  
نصيباً من الحصن .

والذنب لا يمرض لبيض النعام مادام الأبوان حاضرين ، فإنهما متى نقاه<sup>(٢)</sup> ركه  
الذكر قطعه<sup>(٣)</sup> وأدركته الأنثى فركته . ثم أرسلته إلى الذكر وركته عوصه ،  
فلا يزالان يعملان به ذلك حتى يقتلاه أو يجرها هرباً والنعام قد يتحدو الدور ، وعمره  
شديد ، لأن النعامة ربما رأت في أدن العارية قرطاً فيه حجر أو حبة لؤلؤ ، تلطمته  
وأكلته ، وحرمت الأذن ، أو رأت ذلك في أبتها فضربت عنقارها اللبة ففرقتها<sup>(٤)</sup>

(١) الحصر : نوع من البعير .

(٢) نقاه : نقاه .

(٣) طعنه : كسر يفتنه

(٤) الجبول ٥ : ٢١٧ وما بعدها .

(١٥٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم :

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَمْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى أَهْلِهِ وَلِيَقْتُلَ ؛ وَإِنْ أُلْعَنُتُونِي ؛ فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ ؛ وَإِنْ كَانَ دَامِشَقُهُ شَدِيدَةً ، وَمَدَاقِهِ مَرِيرَةً ، وَأَمَّا فَلَانَةٌ قَادِرٌ كَمَا رَأَى النَّسَاءُ ، وَصِيصٌ عَلَا فِي مَذْرِعِهَا كَيْرٌ جَلِ الْقَيْنِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِيَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَقْتُلْ . وَلَهَا تَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى ، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ !

الشرح :

يمتقل نفسه على الله : يحبسها على طاعته . ثم ذكر أن السبيل التي حلهم عليها هي سبيل الرشاد ؛ ذات مشقة شديدة ومدافة مريرة ، لأن الباطل محبوب النفوس ؛ فإنه للهو واللذة ، وسقوط التكليف ؛ وأما الحق فمكروه النفس ، لأن التكليف صعب وتركه للملأ المأجدة ، شاق شديد المشقة .

والضنن : الحقد . والمرحل : قدر كبيرة . والقين : الحداد ، أى كعيلان قدر

من حديد .

## [ فصل في ترجمة عائشة وذكر طرف من أخبارها ]

وقلانة كناية عن أم المؤمنين عائشة ، أبوها أبو بكر ، وقد تقدم ذكر نسبه ، وأما  
أم رومان ابنة عامر بن مويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان  
ابن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الهجرة  
سنتين ، بعد وفاة خديجة ؛ وهي بنت سبع سنين ، وبنتى عليها بالمدينة ؛ وهي بنت نس  
سنتين وعشرة أشهر ؛ وكانت قبله تذكركم جبير بن مطعم ؛ ونسبها ، وكان رسول الله صلى  
الله عليه وآله رأى في المنام عائشة في سرقة<sup>(١)</sup> من حرير عند متوقى خديجة ، فقال :  
« إن يكن هذا من عند الله فخير »<sup>(٢)</sup> ؛ روى هذا الخبر في المسند الصحيح ، وكان  
مكافئها في شوال ، وبنائه عليها في شوال أيضاً ، فكانت تحب أن تدخل النساء  
من أهلها وأختها على أزواجهن في شوال ، وتقول : هل كان في نسائه أحظى مني ؟  
وقد مكى ، وبني على في شوال ؛ ردأ بذلك على من يزعم من النساء أن دخول الرجل  
بالمرأة بين العيدين مكروه .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله عامها بنت عشرين سنة . واستأذنت رسول  
الله صلى الله عليه وآله في الكنية ، فقال لها : « اكنى بابك عبد الله بن الزبير » ؛ يعني  
أن أختها ، فكانت تكنى أم عبد الله . وكانت فقيهة راوية للشعر ، ذات حفظ من  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومثيل ظهر إليها ، وكانت لها عليه جراءة وإدلال لم يزل  
ينبئ ويستشري<sup>(٣)</sup> ، حتى كان منها في أمره في قصة مارية ، ما كان من الحديث<sup>(٤)</sup>

(١) السرقة ، واحدة السرقة ؛ وهو شفق من الحرير الأبيض .

(٢) الاستيغاب لابن عبد البر ٧٤٤ .

(٣) انظر تفسير الكشاف ٤ : ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

الذي أمره إلى الزوجة الأخرى ، وأدى إلى تظاهرها عليه ، وأرل فيهما قرآنا يُبلى في  
المحاريب ، يتصنن وعيداً غليظاً عقيب نصريح بوقوع الذنب ، وصنن القلب ، وأعتبت تلك  
الجرأة ، وذلك الانبساط وحدث مهابي أيام الخلافة العلوية ما حدث ؛ ولقد عفا  
الله تعالى عنها ، وهي من أهل الجنة عندنا بسابق لوعده ، وما صبح من أمر التوبة .

وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " في باب عائشة ، عن سعيد  
ابن نصر ، عن قاسم بن أصبغ ، عن محمد بن وضاح ؛ عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع  
عن عصام بن قدامة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
 وآله نسائه : « أبتكن صاحبة الجمل الأدب » ، يقتل حولها قتلى كثير ، وتنمو  
بمدا كادت « (١) » .

قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا الحديث من كمال من نوتته صلى الله عليه وآله ، قال :  
وعصام بن قدامة ثقة وسائر الإسناد ، ثقة رجاله أشهر من أن تذكر (٢) .  
ولم تحمل عائشة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا ولده ، ولا من مهيمة (٣) إلا من  
خديجة ، ومن السراى من طارية .

وقد رقت عائشة في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله بصموان بن المظلل السلمي ،  
والقصة مشهورة ، فأُنزل الله تعالى راءتها في قرآن بُتلى وبُقل ، وجُلِد قادفوها الحد ،  
وتوفيت في سنة سبع وخمسين للهجرة ، وعمرها أربع وستون سنة ، ودفنت بالمقبر ،

(١) النهاية لابن الأثير ٢ . ١٠ ؛ والرواية ١٠ ؛ ليت شعري أسكن صاحبة الجمل الأدب ؛ معيا  
كلاب الحوآب ؛ وقال في شرحه : أراد « الأدب » ، فأظهر الإدغام لأجل الحوآب ، والأدب الكثير  
وبر الوجه

(٢) الاستيعاب ٢٤٤ ، وفيه : « وسائر الإسناد أشهر من أن يحتاج إلى ذكر » .

(٣) المهيرة : المرة من النساء ؛ وهي عبر السرية .



في تلك معاوية ، وصلى عليها المصور ليلاً ، وأتمهم أبو هريرة ، وتزل في قبرها خمسة من أهلها : عبد الله وعروة ابنا الزبير ، والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر ، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وذلك اسبع عشرة حلت من شهر رمضان من السنة المذكورة .

\*\*\*

فأما قوله : « فأذكر كما رأى النساء » ، أى ضف آرائهن وقد جاء في الخبر : « لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » وجاء : « إهن قبيلات عقل ودين » ، أو قال : « ضيفات » ، وذلك حمل شهادة المرأتين شهادة الرجل الواحد ؛ والمرأة في أصل الحلقة سريمة الانخداع سريمة المعصب ، سيئة المظن فاسدة التدبير ، والشعاعة فيهن مفقودة ، أو قليلة ؛ وكذلك النساء .

وأما الصن ، فاعلم أن هذا الكلام يحتاج ، إلى شرح ، وقد كتبت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللساني رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام ، وسأله عما عنده فيه ، فأجابني بحواب طويل ؛ أما أذكر محصوره ، سمعته بلفظه رحمه الله ، وسمعته بلفظي ، فقد شدني الآن لفظه كله بعبته ، قال : أول بدء الصن كان بينها وبين فاطمة عليها السلام ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها بحبيب موت خديجة ، فأقامها مقامها ، وفاطمة هي ابنة خديجة ، ومن للعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها ، وتزوج أبوها أخرى ، كان بين الابنة وبين المرأة كدراً وشتاناً ، وهذا لا بد منه ، لأن الزوجة تنفس عليها ميل الأب ، والبنات تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة . كأنصرة لأمها ؛ بل هي ضرة على الحقيقة ، وإن كانت الأم ميتة . ولأنما لو قدرنا الأم حية ، لكادت العداوة مضطربة مفسرة ، فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة ، وفي المثل : « عداوة الحاة والكثة » . وقال الراجل :

إن الحياة أوليت بالسكنة وأولمت كغنتها بالظنة

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله مال إليها وأحبها ، فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله ، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنون ؛ وأكثر من إكرام الرجال لبقاتهم ، حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد ، فقال بمحض الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة ، وفي مقامات <sup>(١)</sup> مختلفة لا في مقام واحد : إنها سيّدة نساء العالمين ، وإنها عذبة مريم بنت عمران ، وإنها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش : يا أهل الموقف ، غصوا أبصاركم لتعبروا فاطمة بنت محمد . وهذا من الأحاديث الصحيحة ، وليس من الأخبار المستضعفة ؛ وإن إنكاحه عليها إياها ما كان إلا بعد أن أسكنه الله تعالى إياها في السماء شهادة لللائكة . وكم قال لامرأة <sup>(٢)</sup> : « يؤذيني ما يؤذيها ، وينقصني ما ينقصها » ، و « إنها نعمة مني ، يريني ما راها » ، فكان هذا وأمثاله بواجب زيادة الصّمن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل ، والنفوس البشرية تضيّط على ما هو دون هذا ، فكيف هذا ! ثم حصل عند بطلها ما هو حاصل عندها - أعني عليها السلام - فإن النساء كثيراً ما يحملن الأحقاد في قلوب الرجال ؛ لاسيما وهن محدّثات الليل ، كما قيل في الليل : وكانت تكثر الشكوى من عائشة ، ويمشاهن نساء المدينة وحويران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة ، ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة ؛ وكما كانت فاطمة تشكو إلى بطلها ، كانت عائشة تشكو إلى أبيها ، لعلها أن يعلمها لا بشكيتها <sup>(٣)</sup> على ابنه ، فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما ، ثم تزايد تقرّبط رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) السكنة : امرأة الابن .

(٢) ب : د : هـ : ق : .

(٣) يخال : أحكى طائفاً ؛ إذا قيل شكواه .

(٤) د : هـ : هـ : .

لمن عليه السلام . وتقريبه واختصاصه ؛ فاحدث ذلك حسداً له وغبطة في نفس أبي بكر عنه ؛ وهو أبوها ، وفي نفس طلعة وهو ابن عمها ، وهي تجاس إليهما ، ونسمع كلامهما ؛ وهما يجلسان إليها ويحدثانها ، فأعدى إليها منهما كما أعدتهما .

قال : ولست أرى علياً عليه السلام من مثل ذلك ؛ فإنه كان بنفسه على أبي بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله وإليه وثناه عليه ، وبحسب أن يفرد هو بهذه للزاي والخص نصد دونه ودون الناس أجمعين ، ومن انحرف عن إسان انحرف عن أهله وأولاده ، فما كُتبت البيعة بين هذين العريقين . ثم كان من أمر القذف ما كان ؛ ولم يكن على عليه السلام من القاذفين ، ولكنه كان من المشيرين على رسول الله صلى الله عليه وآله بطلاقها ، تنزيهاً لمرصه عن أقوال الشناعة والمنافقين .

قال له لما استشاره : إن محمد لا يشك في ذلك ، وقل له : سل الخادم وخوفها وإن أظمت على الجعود فاضربها برؤيبلغ عائشة هذا الكلام كله ، وسمعت أصمافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة ، ونقل النساء إليها كلاماً كثيراً عن علي وفاطمة ، وأنهما قد أظهرتا الشناعة جهاراً وسراً موقوف هذه الحادثة لها ، فصاحم الأمر وغلظ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صالحها ورجع إليها ، ونزل القرآن ببراءتها ؛ فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر مد أن قهر ، ويستظهر بعد أن حبيب ، ويبرأ بعد أن أنهم ؛ من سبط اللسان ، وفلنات القول ؛ وبلغ ذلك عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام ، فاستقدت الحل وعَلَّظت ، وطوى كل من العريقين قلبه على الشنآن لصاحبه . ثم كان يسها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال ؛ كلها تقتضي تهيج ما في النفوس ، نحو قولها له سوف قد استنداه رسول الله ، لحاء حتى قد بينه

وبينها وهما متلاصقان : أما وجدت مقعدا لكذا - لا تكفى عنه - إلا نفذي ! وهو ما روى أنه ساره يوما وأطال مناجاته ؛ ثم مات وهي سائرة حنفا حتى دخلت بينهما ، وقالت : فيم أنها فقد أطلما ؟ فيقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم . وما روى من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوضت لها ما كفاها ؛ ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحبابها .

ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بين وبات ؛ ولم تلهى ولدا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُقيم من فاطمة مقام يديه ، وبسوى الواحد منهما « ابني » ويقول : « دعوا لي ابني ولا تُزْرِموا »<sup>(١)</sup> « لي ابني » ، و « ما فعل ابني ؟ » فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل ، ثم رأت البعل ينفق من ابنته من غيرها ، ويحشو عليهم حنونا والوالد المشفق ! هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم أم مبغضة ! وهل تود دوماً ذلك واستمراره ، أم زواله وانقضاءه !

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها إلى المسجد ، وفتح باب صهره ؛ ثم بعث أباه ببراءة إلى مكة ، ثم عرله عنها نصهره ، ففدح ذلك أيضا في نفسها ، وولد رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية ، فأظهر على عليه السلام بذلك سرورا كثيرا ؛ وكان يتعصب لمارية ، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا قلى غيرها ، وجرت لمارية سكة مناسبة لتسكبه عائشة ، فقرأها على عليه السلام منها ، وكشف بطلانها ، أو كشفه الله تعالى قلى يديه ، وكان ذلك كشفا محسا بالبصر ، لا بتهنيا للعناقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة ، وكل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه ، وتؤكد ما في نفسها منه ، ثم مات إبراهيم فأخطت شماتة ، وإن أظهرت كآبة ،

(١) النهاية لأب الأثير ٢ : ١٢٤ ، قال : « أي لا تصروا عليه بوله » يقال : ررم الدمع والبول ؛ إذا غطى . . .

وَوَجِمَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ فَاطِمَةُ ، وَكَأَمَّا بُوْثْرَانُ مَوْيِدَانُ أَنْ تَمَيِّزَ مَارِيَةَ عَلَيْهَا بِالْوَلَدِ ، فَلَمْ يَخْذَرْ لَهَا وَلَا لِمَارِيَةَ ذَلِكَ ؛ وَهَبَتْ الْأُمُورَ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ ؛ وَفِي النَّفُوسِ مَا فِيهَا ، حَتَّى مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الرِّضَى الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَعَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدَانِ أَنْ يَمْرُضَاهُ فِي بَيْتِهِمَا ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَزْوَاجُهُ كُلُّهُنَّ ، فَسَالَ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ بِمَقْنَضِي الْحَمَّةِ الْقَلْبِيَةِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا دُونَ نِسَائِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَاهُ فَاطِمَةُ وَسَلَّمَهَا فِي بَيْتِهِمَا ؛ فَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْإِبْسَاطِ لَوْ جُودَهَا مَا يَكُونُ إِذَا حَلَا نَفْسَهُ فِي بَيْتِ مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ بِطَبْعِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَرِيضَ يَحْتَاجُ إِلَى فَصْلِ مَدَارَاتِهِ ، وَنَوْمٍ وَيَقْظَةٍ وَانْكَشَافٍ ، وَخُرُوجِ حَدَثٍ ، فَكَانَتْ نَفْسُهُ إِلَى بَيْتِهِمَا كَمَنْ سَأَلَ إِلَى بَيْتِ صَهرِهِ وَبَنَتِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا تَصَوَّرَ حَيَاةً هَامَةً اسْتَحْيَا هُوَ أَيْضًا سَهْمًا ؛ وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَحِبُّ أَنْ يَخْلُوَ نَفْسَهُ ، وَيَجْتَنِبُ الصَّهْرَ وَالْبَنَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ لُزُومَاتٍ كَمَثَلِ ذَلِكَ اللَّيْلِ إِلَيْهَا ، فَتَمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا ، فَصِطَّتْ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَمْرُضْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُ قَدَمَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ هَذَا الْمَرَضِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ مَرَضُهُ الشَّقِيقَةَ<sup>(١)</sup> يَوْمًا أَوْ نَحْوَهُ يَوْمَ ثُمَّ بَرَأَ ، فَطَاوَلَ هَذَا الْمَرَضَ ؛ وَكَانَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَشْكُ أَنَّ الْأَمْرَ لَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْزَعُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عَمَّةٌ وَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اْمُدُّ يَدَكَ أَبَايُكَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَابِعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ قَالَ : يَاعَمَّ ، وَهَلْ يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي ! قَالَ : سَتَلِمَ ، قَالَ : فَإِنَّ لِيَ أَحَبَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ وَرَاءِ رِجَائِي ، وَأَحَبُّ أَنْ أَصْغِرَ بِهِ<sup>(٢)</sup> . فَسَكَتَ عَنْهُ ، فَلَمَّا ثَقُلَ<sup>(٣)</sup> رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَرَضِهِ ، أَعْدَدَ حَيْشَ أَسَانَةِ ، وَجَعَلَ فِيهِ أَبَا بَكْرًا وَغَيْرَهُ مِنْ أَعْلَامِ

(١) الشَّقِيقَةُ : صَهرٌ يَأْخُذُ بِصَاحِبِ الرَّأْسِ وَالْفَرْجِ .

(٢) يَقَالُ : أَصْغَرَ بَلَانٌ بِمَا فِي فَمِهِ ، أَيْ أَطْفَرَهُ .

(٣) يَقَالُ : أَصْبَحَ ثَقُلًا ، أَيْ مَرِيضًا .

للمهاجرين والأنصار ؛ فكان عليّ عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر - إن حدث  
 برسول الله صلى الله عليه وآله حدث - أرتق ، وتقلب عليّ ظنه أن المدينة لو مات ظلت  
 من منازع بنازعه الأمر بالكلية ؛ فيأخذه صفواً غفواً ، وتم له البيعة ، فلا يتهياً فسخها  
 لو رام ضدّ منزلته عليها ، فكان - من عوذ أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه ،  
 وإعلامه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت - ما كان ، ومن حديث الصلاة بالناس  
 ما عرف ، قسب عليّ عليه السلام عائشة أمّ أمّرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل  
 بالناس ؛ لأن رسول الله كما روى ، قال : « ليصل بهم أحدهم » ، ولم يبين ؛ وكانت  
 صلاة الصبح ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر رمقٍ يتهادى بين عليّ  
 والفضل بن العباس ؛ حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر ، ثم دخل فلبث ارتفاع الضمى ،  
 فبطل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه . وقال : « إنكم تطوبون فداً أن يقدم قدمين  
 قدميهما رسول الله في الصلاة ؟ ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلاة  
 لصرفه عنها ؛ بل لحافظته على الصلاة بها أسكن ؛ فبوج قل هذه البكّة التي أنشأها  
 عليّ عليه السلام على أنها اجتمعات بها .

وكان عليّ عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خطبته كثيراً ؛ ويقول : « إني لم يخل  
 صلى الله عليه وآله : « إنكن أصروا بحبات يوسف » إلا إسكاراً لهذه الحال ، وغضباً  
 منها ، لأنها وخضة تبادرنا إلى صين أبورها ؛ وأني استدركتها بخروجه وصرفه عن  
 المحراب ؛ فلم ينجذ ذلك ، ولا أثر ، مع قوة الداعي الذي كان يدمر إلى أبي بكر ويمتد له  
 قاعدة الأمر ؛ وتقرر حاله في نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين  
 والأنصار . ولما ساعد على ذلك من الخطأ الفلكي والأمر الساني ؛ الذي جمع عليه  
 القلوب والأهواء ، فكانت هذه الحال عند عليّ أعظم من كل عظيم ؛ وهو الطلقة الكبرى ،

والصبيّة العظمى ؛ ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها ، ولا خلق الأمر الواقع إلا بها ؛ فدعا عليها في خلواته وبين خواتمه ، وتظلم إلى الله منها ، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور ؛ حتى بايع ؛ وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهه من مذمات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة ، وما صابران على مضمض ورمض<sup>(١)</sup> ، واستظهرت بولاية أبيها ، واستطاعت وعظم شأنها ، وانحدرت على فاطمة وقهرا ؛ وأخذت فذلك ، وخرجت فاطمة تحادل في ذلك مرارا فلم تغفر شيء ، وفي ذلك نيلتها للنساء والداخلات والمخارجات من عائشة كل كلام يسوءها ، ويبلغن عائشة عنها وعن بطيها مثل ذلك ، إلا أنه شتان ما بين الحالين ، وسد ما بين الفريقين ، هذه غالبية وهذه منلوقة ، وهذه آسرة وهذه مأمورة ، وطهر التشق والتمانة ، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من شتمانة الحدوث .

فقلت له ، رحمه الله : أقول أنت : إن عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يهتبه ! قتل : أما أنا فلا أقول ذلك ، ولكن عليا كان يقوله ، وتكليف غير تكليفه ، كان حاضرا ولم أكن حاضرا ، فأنا معجوج بالأخبار التي اتصلت بي ، وهي تتضمن تعيين النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة ، وهو معجوج بما كان قد علمه أو سلب على ظنه من الحال التي كان حاضرها .

قال : ثم ماتت فاطمة ، فعاد ساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة ، فإنها لم تأت ، وأظهرت مرصا ، ونزل إلى علي عليه السلام عنها كلام يدل على السرور .

ثم بايع علي أباها فسررت بذلك ، وأظهرت من الامتبشار بتمام البيعة واستقرار

الخليفة وبطلان منازعة الخصم ما قد ذهبه المنافون فأكثروا ، واحتسرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان ، والقلوب تعلل ، والأحقاد تدبب الحمازة ، وكلما طال الزمان على عليّ تضاعفت همومه ، وراح يمسأى نفسه ، إلى أن قتل عثمان وقد كانت عائشة فيها أشد الناس عليه تأليباً ونحرباً ، فقالت : أبعد الله الشا صحت قتله ، وأملت أن تكون الخلافة في طلعة ، صعود الإمرة نبيّة كما كانت أولاً ، فعدل الناس عنه إلى عليّ بن أبي طالب ، فلما صحت ذلك صرحت : واعثماناء ! قتل عثمان مظلوماً ، وثار ما في الأفس ، حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده .

هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله ، ولم يكن يقتنع ، وكان شديداً في الاعتزال ، إلا أنه في التفضيل كان متعادلاً .



فأما قوله عليه السلام : « ولو دُعيت لقتل من غري مثل ما أتت إلى ، لم تفعل » فإنما يعني به عمر ، يقول : لو أن عمر ولي الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل عليه ، والوجه الذي أما وليت الخلافة عليه ، وسبب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله ، أو يخرض عليه ، ودعيت عائشة إلى أن تخرج عليه في عصاة من المسلمين إلى بعض ملاد الإسلام ، تشير فتنة وتنفذ البيعة - لم تفعل ، وهذا حق ، لأنها لم تكن تحمد على عمر ما يحل على عليّ عليه السلام ، ولا الحال الحال .

فأما قوله : « ولها - بعد - حرمتها الأولى ، والحساب على الله » ، فإنه يعني بذلك حرمتها بنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله لها ، وحقه إياها . وحسابها على الله ، لأنه ضرور رحيم لا يتعاطى غصوه زلة ، ولا يضيق عن رحمة دني .



فإن قلت : هذا الكلام يدل على توقفه عليه السلام في أمرها ، وأنتم تقولون : إنها من أهل الجنة ، فكيف نجسمون بين مذهبكم وهذا الكلام ؟

قلت : يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يواتر الخبر عنده جوبتها ؛ فإن أصحابنا يقولون : إنها ماتت بعد قتل أمير المؤمنين ودمت ، وقالت : لو ددت أن لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة نين ؛ كلهم ماتوا ، ولم يكن يوم الجمل . وأنها كانت بعد قتله تنفى عليه وتشر مناقبه ؛ مع أنهم رووا أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكي حتى تبلى خمارها ، وأنها استعصت الله ودمت ؛ ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديث نوبتها عقيب الجمل بلانا يقطع الخبر ويثبت الحصة ؛ والذي شاع عنها من أمر الندم والتوبة شيئا مستغضا ، إنما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتت وهي على ذلك ، والغائب مغفوره ، ويجب قبول التوبة مدايا المدل ، وقد أكتفوا وقوع التوبة ؛ منها ما روى في الأخبار للشهيرة أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله في الآخرة كانت زوجة في الدنيا ، ومثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكف إثبات نوبتها ولو لم يقتل ، فكيف والقتل لما يكاد أن يبلغ حد القواتر !

•••

الأصل :

منه .

سَبِيلُ أَتْلُجٍ إِلَيْهَا سَجَرٌ ، أَنْوَرُ السَّرَاحِرِ ؛ فَبِالْإِيمَانِ يُنْقَلُ عَلَى الصَّالِحَاتِ ،  
وَبِالصَّالِحَاتِ يُنْقَلُ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يُسْتَرُ الْإِسْلَامُ ، وَبِالْإِسْلَامِ يُزْهَبُ اللَّوْنُ ،  
وَبِاللَّوْنِ تُغْتَسَمُ الْهَيْئَةُ ، وَبِالْهَيْئَةِ تُخْرَجُ الْآخِرَةُ ، وَبِالْآخِرَةِ تُزَلَّفُ الْجَنَّةُ ، وَتُجْعَلُ الْجَنَّةُ

الْمُكَابِرِينَ . وَإِنْ أَتَخَلَّقْ لَا مَنَصَرَ لَهُمْ مِنَ الْقِيَامَةِ ، مُزَقَّلِينَ فِي مَخَارِجِهَا إِلَى  
الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

•••

### الْمُبْتَدِئُ :

هو الآن في ذكر الإيمان ، وعند قال : « سبيل أبلغ للتفهم » ، أى واضح الطريق .  
ثم قال : « فبالإيمان يستدل على الصالحات » ، يريد بالإيمان ما علمناه القنوى لا الشرعى  
لأن الإيمان في اللغة هو التمسك ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ <sup>(١)</sup> أى بمصدق ،  
وللمنى أن من حصل عنده التمسك ، بالوحدانية والربانية ؛ وهما كذا الشهادة ، يستدل بهما  
على وجوب الأعمال الصالحة عليه أو يذهب إليها ، لأن التسليم يعلم من دين نبيه صلى الله  
عليه وآله أنه أوجب عليه أعمالاً صالحة ، ونذهب إلى أعمال صالحة ؛ قد ثبت أن بالإيمان  
يستدل على الصالحات .

ثم قال : « والصالحات يستدل على الإيمان » ، فالإيمان ما علمناه مستعمل في سبناه  
الشرعى لا فى سبناه القنوى ، وسبناه الشرعى هو ما عقد بالقلب ؛ والقول باللسان ، والعمل  
بالبوارح ، فلا يكون للؤمن مؤمناً حتى يستكمل فعل كل واجب ، ويحذف كل فيجىء ؛  
ولا شبهة أنما تسمى طناً أو ظناً من مكلف أنه يصل الأصول الصالحة ، ويحذف الأفعال القبيحة ؛  
استدلنا بذلك على حسن إطلاق لفظ المؤمن عليه ، وبهذا التفسير الذى فسرناه نسلم من  
إشكال الدهر ، لأن القائل أن يقول : من شرط الدليل أن يعلم قبل العلم بالدليل ؛ فلو كان  
كل واحد من الإيمان والصالحات يستدل به على الآخر ، لزم تقديم العلم بكل واحد منهما  
على العلم بكل واحد منهما ، فيؤدى إلى الدهر ؛ ولا شبهة أن هذا الدهر غير لازم على  
التفسير الذى فسرناه نحن .

ثم قال عليه السلام : « وبالإيمان بعمر العلم » ؛ وذلك لأن العالم وهو غير عامل ببلده ، غير منتفع بما علم ، بل مستضر به غاية الضرر ؛ فكان علمه خراب غير مسمور ؛ وإنما يعمر بالإيمان وهو فعل الواجب وتجنب التبعيع على مذهبه أو الاعتقاد والمعرفة على مذهب غيرنا أو القول الساقط على قول آخرين ؛ ومذهبه أرفع ، لأن عمارة العلم إنما تكون بالعمل من الأعضاء والجوارح ؛ وبدون ذلك يبقى العلم على حرا به كما كان .

ثم قال : « وبالعلم برمب الموت » ، هذان قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

ثم قال : « وبالموت تختم الدنيا » ؛ وهذا حق لأنه انقطاع التكليف .

ثم قال : « وبالدنيا نخرز الآخرة » ؛ هذا كقول بعض الحكماء : « الدنيا منعر ، والآخرة ربح ، ونفك رأس المال . »

ثم قال : « وبالقيامه تزلف الجنة للمتقين وتبرر الجحيم للعاوين » ، هذان القرآن العزيز<sup>(٢)</sup> . وتزلف لهم ؛ تقدم لهم وتقرّب إليهم .

ولا مقصرى عن كذا ؛ لا محبس ولا غاية لدونه وأرقل بأسرع . والمصار : حيث تستيق الخيل .

• • •

الاعتل :

منها :

قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَعَائِرِ الْمَائَاتِ ؛ يَكُلُّ دَارِ أَهْلِهَا ؛

(١) سورة طه ٢٨ .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ وَأَزَلَّكَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ • وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْعَاوِينَ • ﴾ .

سورة الصراء ٩٠ ، ٩١ .

لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا؛ وَإِنَّ الْأُمَرَ بِالْعُرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ،  
خُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهَا لَا تُبَرِّئَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَتَمَعَّانِ مِنْ رِزْقٍ.  
وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْخُبْلُ الْمَتِينُ، وَالْفُورُ الْمُبِينُ، وَالْإِشْفَاءُ النَّافِعُ، وَالرَّيُّ  
النَّافِعُ، وَالْعِصَّةُ لِلنَّسْكَ، وَالنَّجَاةُ الْمُتَعَتِّقُ؛ لَا يَتَوَجَّعُ قِيَامًا، وَلَا يَزِيدُ  
فِي تَعْتَبٍ، وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ هَرْدٍ، وَذُلُوجُ السَّعْرِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ  
عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

•••

### الْمَبْنُوحُ :

شَخَّصُوا مِنْ بِلَادِ كَذَا : خَرَجُوا . وَمَبْنُوحُ الْأَجْدَاثِ : مَكَانُ اسْتِقْرَارِهِمْ بِالْقُبُورِ وَهِيَ  
جَمْعُ جَدَثٍ .  
وَمَصَائِرُ الْعَالَمَاتِ : جَمْعُ مَصِيرٍ ، وَالْعَالَمَاتِ : جَمْعُ غَايَةٍ وَهِيَ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ،  
قَالَ الْكُوفِيُّ :

فَالْآنَ صَرْتُ إِلَى أُمُومَةٍ وَالْأُمُورِ إِلَى مَصَائِرٍ

نَمَّ ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ؛ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَقِيمُ بِدَارٍ لَا يَتَحَوَّلُ مِنْهَا ؛ وَهَذَا  
كَأُورْدٍ فِي الْخَبَرِ : « إِنَّهُ يَبْدَأُ مَتَدِيًا : بِأَهْلِ الْجَنَّةِ سَعَادَةً لِإِقْفَاءِهَا ، وَبِأَهْلِ النَّارِ ؛ شَقَاوَةً  
لِإِقْفَاءِهَا » .

نَمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْأُمَرَ بِالْعُرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ خُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَذَلِكَ  
لِأَنَّهُ تَعَالَى مَا أَمَرَ إِلَّا بِمَعْرُوفٍ ، وَمَنْهَى إِلَّا عَنِ مُنْكَرٍ ؛ وَيَبْقَى الْفَرْقُ يَتَنَالَوْنَهُ أَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا  
الْحَمَى عَنِ الْمُنْكَرِ مَا لَمَعَ مِنْهُ ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - لَا يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ مَنَعَ مِنْ إِيثَانِ الْمُنْكَرِ  
لَيَبْطُلَ الْعَكْلُفُ .

نَمَّ قَالَ : « إِنَّهَا لَا تُبَرِّئَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَتَمَعَّانِ مِنْ رِزْقٍ » ، وَإِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذلك ، لأن كثيرا من الناس يكف عن نهى الظلمة عن الما كير ؛ توخا منه أنهم إنا ان  
يطلبوا به فيقتلوه ، أو يقطعوا ررقه ويحرقوه ، فقال عليه السلام : إن ذلك ليس مما يقرب  
من الأجل ، ولا يقطع الرزق . وينبئ أن يحمل كلامه عليه السلام على حال السلامة وغلبة  
الظلم بدم تطرق الضرر الموفى على مصلحة النهى عن المنكر .

ثم أمر باتباع الكتاب العزيز ، ووضع بما وصفه به .

وماء ، نافع ، ينفع الملة ، أى بخطمها وبروى منها . ولا يزعج : يميل فيستنتب : يطلب  
منه المنهى هى الرضا ؛ كما يطلب من العالم يميل فيسترضى

قال : ولا يخفى كثرة الرد وولوج السمع ، هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله  
تعالى ، وذلك أن كل كلام منشور أو منظوم إذا تكررت تلاوته وتردد ولوجه الأسماع مل  
وسميج واستمعن ؛ إلا القرآن فإنه لا يزال عسا طربا محبوبا غير معمول .

(١٥٧)

## الأفضل

وقام إليه عليه السلام رجل ، فقال : أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال عليه السلام :

إِنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ : ﴿ اَلَمْ أَحْيِ النَّاسُ أَنْ يُذَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْعِتَّةَ لَا تَمُرُّ بِهَا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا ؟ فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ؛ إِنْ أُمَّتِي سَيَفْتَنُونَ بَعْدِي .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ لَيْسَ قَدْ قُتِلَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتَشْهِدَ مَنْ اسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَبِزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي : « أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ » فَقَالَ لِي : « إِنْ ذَلِكَ لَكَ ذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرَكَ إِذَا ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ ، وَقَالَ : يَا عَلِيُّ ؛ إِنْ الْقَوْمَ سَيَفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْنُتُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رُسُلِهِمْ ، وَيَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَعْيَتَهُ ، وَيَسْتَحِيلُونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِيلُونَ الْخَلْمَ بِالنَّبِيِّ ، وَالشُّبُهَاتِ بِالْهَدْيَةِ ، وَالرُّبَا بِالْبَيْعِ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَبَائِلُ النَّازِلِ أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ أَمْ يَمْنَزِلُهُ رِدْقُهُمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ .

## الْبَيْزُج :

قد كان عليه السلام يتكلم في الفتنة ؛ وقلبك ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وقلبك قال : « فليكنم بكتاب الله » ، أى إذا وقع الأمر واختلط الناس ، فليكنم بكتاب الله ؛ فلذلك قام إليه مَنْ سألَه من الفتنة . وهذا الخبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « إِنَّ الله قد كتب عليك جهاد الفتونين ، كما كتب علي جهاد للشركين » ، قال : فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد ؟ قال : قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وهم يعنفون السنة . فقلت : يا رسول الله ، فسلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد ؟ قال : على الإحداث في الدين ، ومخالفة الأمر ؛ فقلت : يا رسول الله ، إنك كنت وعدتني الشهادة ، فاسأل الله أن يجعلها لي بين يديك ، قال : من يقاتل الناكثين والفساسين والبارقين ! أما إني وعدتك الشهادة وسنة تشهد ؛ تضرب علي هذه الضربة هذه ، فكيف صبرك إذا قلت : يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر ، هذا موطن شكر ، قل : أجل ، أصبت ، فأعد العصومة فإنك محاسن ، فقلت : يا رسول الله ، لو بينت لي قليلا فقال : إن أمي سنةتان من بعدى ؛ فتأول القرآن ونزل بالرأى ؛ ونستعمل الخمر بالببذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع ، وتحرف الكتاب عن مواضعه ، ونطرب كلمة الصلال ، فكن جليسا بينك حتى تقلدها ، فإذا قلدها جاشت عليك الصدور ، وقلبت لك الأمور ؛ تقاتل حينئذ على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ؛ فليست حاتم الثانية بدون حاتم الأولى . فقلت : يا رسول الله ، فبأي المنازل أنزل هؤلاء الفتونين من بعدك ؟ أعمزة فتنة أم عنزلة ردة ؟ قال : بمنزلة فتنة يمشون فيها إلى أن يدركهم العدل . فقلت : يا رسول الله ، أيديركم العدل من أم من غير ما ؟ قال : بل منا ، بنا فتح وجنا يحتم ، وبنا أوف الله بين القلوب

بعد الشرك ، وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة . قلت : الحمد لله على ما وهب لنا من فضله .



واعلم أن لفظة عليه السلام للرؤى في " نهج البلاعة " بدل على أن الآية للذكورة وهي قوله عليه السلام : ﴿ اَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ ﴾ أنزلت بعد أحد ؛ وهذا خلاف قول أرباب التفسير ، لأن هذه الآية هي أول سورة الملوك وهي عدم بالانفاق مكية ، ويوم أحد كان بالمدينة ؛ وينبغي أن يقال في هذا : إن هذه الآية خاصة أنزلت بالمدينة ، وأضيفت إلى السورة المكية فصلنا واحدة ؛ وحط عليها نسب المكى لأن الأكثر كان مكة ، وفي القرآن مثل هذا كثير ، كسورة النحل ، فلها مكية بالإجماع ، وآخرها ثلاث آيات أنزلت بالمدينة بعد يوم أحد ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّفَعَّاصِينَ ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِإِثْقَالِ مَا كُنْتَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي حَقِّهِمْ بِمَا يَكْفُرُونَ • إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ <sup>(١)</sup> .

فإن قلت : فلم قال : « طعت أن المعينة لا تنزل بنا ورسول الله بين أظهرنا » ؟ قلت : لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وقوله : « حيزت على الشهادة » ، أى طعت .

قوله : « ليس هذا من مواطن النصر » كلام عال جداً يدل على يقين عظيم ، وهو قان تام ، ونحوه قوله - وقد ضربه ابن ملجم - : فرت ورب الكعبة .

(١) سورة النحل ١٢٦ - ١٢٨ .

(٢) سورة الأعراف ٢٢ .



قوله : « سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ » من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١).

قوله : « وَيَعْتَنُونَ بِذَنبِهِمْ عَلَى رَأْسِهِمْ » ، من قوله تعالى : ﴿ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أُسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُفْرُ الْإِيمَانِ ﴾ (٢).

قوله : « وَيَمْنُونُ رَحْمَتَهُ » من قوله : « أَحَقُّ الْحَقِّ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ » .

قوله : « وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ » من قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣).

والأهواء : الشهوة : العاطفة والشهوة : الحرام ، ويجوز ضم الخاء ، وقد أسحقت الرجل في تجارتها ، إذا اكتسب الشح .

وفي قوله : « بَلْ عَمَلُهُ غَتْرَةٌ » تصديق لمذهبنا في أهل البغي ، وأنهم لم يدخلوا في الكفر بالكلية ، بل هم فساق ، والفساق عندنا في منزلة بين المنزلتين ، خرج من الإيمان ، ولم يدخل في الكفر .

(١) سورة الأحقاف ٢٨ .

(٢) سورة المائدة ١٧ .

(٣) سورة الأعراف ٩٩ .



خُلِقَ لِلْآخِرَةِ أَوْ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَبْلُ يُسَلِّبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ ؛  
عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِيَا وَعْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْتَظِرِ مَتْرَكَ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ  
الشَّرِّ مَرْغَبٌ .

عِبَادَ اللَّهِ ، اخْذَرُوا يَوْمًا تُفْجَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ ، وَيَسْكُثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَنْشِبُ  
فِيهِ الْأَطْفَالُ .

اعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ عَنَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَفْنِيكُمْ ، وَغِيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ ،  
وَحُمَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَفْئَاتِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظِلَّةٌ لَيْلٍ دَاجٍ ،  
وَلَا بُكَيْنُكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِنَاجٍ ؛ وَإِنْ عَدَا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ ؛ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ،  
وَيَحْيِي الْمَدَى لِأَحْيَا بِهِ ؛ فَكُنْ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنَزِلَ  
وَحَدِّهِ ، وَتَحَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَأْتِي مِنْ بَيْتٍ وَحَدِّهِ ، وَمَنَزِلٍ وَحَدِّهِ ، وَمَنَزِلٍ وَحَدِّهِ ؛

وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ عَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِقَضَى الْقَصَاءِ ؛  
قَدْ زَاخَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَاصْتَعَلَتْ عَنْكُمْ الْعِلَالُ ، وَاسْتَعَقَتْ بِكُمْ الْخَلَقَاتُ ،  
وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مُصَادِرَهَا ؛ فَانْظُرُوا بِالْمِيرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْمِيرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالذُّرِّ .

\*\*\*

## الْمُنْجِ :

جعل الحمد مفتاحاً ذكره ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ : ﴿ اتَّخَذُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛  
وَالْقُرْآنُ هُوَ الْذِكْرُ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ،

وسبباً للزبد ، لأنه تعالى قال : ﴿ لَيْسَ شُكْرُنُمْ أَزِيدَ نَسْكُمُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والحمد ها هنا هو الشكر ، ومعنى جملة الحمد دليلاً على عظمته وآلائه أنه إذا كان سبباً للزبد ، فقد دل ذلك على عظمة الصانع وآلائه ؛ أما دلالته على عظمته ، فلا أنه دال على أن قدرته لا تنهاى أبداً ؛ بل كلما ازداد الشكر ازدادت العمة . وأما دلالته على آلائه ، فلا أنه لا جود أعظم من جود من يعطى من يحمد ، لا حتماً متطوعاً ، بل حتماً واجباً عليه .

قوله : « يجرى بالباقيين كجره بالماضين » ، من هذا أخذ الشعراء وغيرهم ما نظموا في هذا المعنى ، قال بعضهم :

مات من مات والثريا الثريا      والشياك الشياك      والنسرُ نسرُ  
وبجسوم السماء نضعك ميتاً      كيف تنقى من بدياً ونمراً  
وقال آخر :

والدهرُ إلا كالزمان الذي مضى      ولا عن إلا كالفرون الأوائل  
قوله : « لا يهود ما قد ولّى منه » ، كقول الشاعر :

ما أحسن الأبيام إلا أنها      يا صاحبي إذا مصّت لم ترجع <sup>(٢)</sup>  
قوله : « ولا يبقى سريداً ما فيه » ؛ كلام مطروق للمعنى ، قال عدي :

ليس شيء على النون بقاء      غير وجهه للهمن الخلاق

قوله : « آخر أفعاله كأوله » ، يروى : « كأولها » ، ومن رواه : « كأوله » أعاد الغمير إلى الدهر ، أى آخر أفعال الدهر كأول الدهر ، فعذف للوصف .

متشابهة أموره ؛ لأنه — كما كان من قبل — يرفع ويضع ، وينفى ويفقر ، ويوجد

(١) سورة إبراهيم ٧ .

(٢) الحري ، ديوانه ٢ : ١٠٠ .

ويعدم ، فكذلك هو الآن أفعاله متشابهة . وروى : « منسابقة » أى شيء منها قبل شيء ، كأنها خيلٌ تتسابق في مضمار .

متظاهرة أعلامه ، أى دلالاته على سجيته التى عامل الناس بها قديما وحديثا .  
متظاهرة : يقوى بعضها بعضها . وهذا الكلام جارٍ منه عليه السلام على عادة العرب في ذكر الذم ؛ وإنما الفاعل على الحقيقة ربُّ المهر .

والشَّوْلُ : الشُّوق التى خَفَّ لُبُّها وارتفع ضَرْعُها ، وأتى عليها من متاجها سبعة أشهر أو ثمانية ، الواحدة شائلة ، وهى تجمع على غير القياس . وشَوَات الناقة ، أى صارت شائلة ، فأما الشائلة بغيرها ، فهى الناقة تشوّل بدبها للقاح ولا لبن لها أصلا ، والجمع شَوْل ، مثل راكم وركم ، قال أبو التيجم :

• كَانَتْ فِي أَذْنَانِ الشَّوْلِ <sup>(١)</sup> •

والزاجر : الذى يزجر الإبل يسوقها ، ويقال : حدثت إبل وحديث يابل ، والحدوسوقها ، والعناء لها ، وكذلك الحُداه ، ويقال للشَّيْء : حَدَوَاه ، لأنها تحلوا السحاب ، أى تسوقه ، قال المعاج :

• حَدَوَاهُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادِ الطُّورِ <sup>(٢)</sup> •

ولا يقال للذكر : « أخذى » ، وربما قيل للحمار إذا قدم أنه : حادٍ ، قال ذو الرمة :

• حَادَى ثَلَاثَ مِنْ أَلْقُبِ السَّاحِجِ <sup>(٣)</sup> •

واللغى أن سائق الشَّوْل يصيف بها ، ولا يبتقى سَوْقَهَا ولا يذارك كما يسوق المِشَار <sup>(٤)</sup> .

(١) الشان ( شول ) .

(٢) ديوانه ٢٨ .

(٣) ديوانه ٧٨ ، وصدره :

• كَانَهُ حِينَ يَرْمِي خَلْفَهُنَّ بِهِ •

(٤) المِشَار من الإبل : التى قد آتى عليها عشرة أشهر .

ثم قال عليه السلام : « مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ هَلَكَ » ، وذلك أن من لا يوقى النظر حقه ، ويميل إلى الأهواء ونصرة الأسلاف . والحجاج تحتاربي عليه بين الأهل والأستاذين الذين زرعوا في قلبه العقائد ؛ يكون قد شغل نفسه بغير نفسه ، لأنه لم ينظر لها ، ولا قصد الحق من حيث هو حق ، وإنما قصد نصرة مذهب معين بشق عليه فراقه ، ويصعب عنده الاتصال منه ؛ ويسوءه أن يرد عليه حجة تبطله ، فيسهر عينه ، ويتمب قلبه في تهويس<sup>(١)</sup> تلك الحجة والقدح فيها بالمش والسمين ، لا لأنه يقصد الحق ، بل يقصد نصرة المذهب اللعين ، ونشيد دليله ، لا جرم أنه متعير في ظلمات لا نهاية لها ! والارتباك : الاحتلاط ، ربكت الشيء أربكاً ربكاً ، خلطته فارتبك ، أى اختلط ، وارتبك الرجل في الأمر ، أى تشب فيه ولم يكذب بتفاصيل منه .

قوله : « ومدت به شياطينه في طمأنينه » ، مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْوَيْسُوسِ لَا يُقْصِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وروى : « ومدت له شياطينه » باللام ، ومعناه الإمهال ، مدته في الشيء ، أى طول له ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ فليمدد له الرحمن مدياً ﴾<sup>(٣)</sup> .

قوله : « وزينت له سبى » ، أعماله ، مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

قوله : « التقوى دار حسن عزيز » ، معناه دار حصانة عزيزة ، فأقام الاسم مقام المصدر ، وكذلك في التبحور .

ويحترز من لجأ إليه : يحفظ من اعتصم به .

(١) تهويس الحجة : إضاعها .

(٢) سورة الأعراف ٢٠٢ .

(٣) سورة صريم ٧٥ .

(٤) سورة فاطر ٨ .

وُحَّةً انخطايا : ستمها ، وتقطع الحجة ، كما تقول : قطعت سراًبان السم في بدن للسوء بالبادزهرات والثرىاقات ؛ فكأنه جعل سم الخطايا ساريا في الأبدان ، والتقوى تقطعه ريانته .

قوله : « وباليقين تدرك العاية القصوى » ؛ وذلك لأن أقصى درجات العرفان الكشف ؛ وهو المراد هاهنا بلفظ اليقين .  
وانتصب « الله ، الله » على الإعراء . و « في » متعلقة بالفعل للقدّر ؛ وتقديره : راقبوا . وأعرز الأضس عليهم ، أنفسهم .

قوله : « فيثبوت لازمة » ، مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ؛ تقديره : فمايتسكم ، أو مجراؤكم ، أو فثأسكم ؛ وهذا بدل على منعبدى الوعيد ، لأنه قسم الجراء إلى قسمين ، إما للعذاب أبداً ، أو للسم أبداً ؛ وفي هذا بطلان قول المرحطة : إن ناساً يمحرون من النار فيحلون العنة ، لأن هذا لو صح لكان قسماً ثالثاً .

قوله : « قد دُلِّم على الزاد » ، أى الطاعة .  
وأمرتم بالظن ، أى أمرتم بهجر الدنيا ، وأن تظلموا عنها بقلوبكم . ويجوز : « الظن » بالنسكين .

وحثتم على السير ؛ لأن الليل والنهار سائقان عنيقان .  
قوله : « وإنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالسير » ، السير هاهنا ، هو الخروج من الدنيا إلى الآخرة ؛ بالموت ؛ جعل الناس ومقامهم في الدنيا كركب وقوف لا يدرون متى يقال لهم : سيروا فيسيرون ، لأن الناس لا يدلون الوقت الذى يموتون فيه .  
فإن قلت : كيف متى الموت والمفارقة سيراً ؟

قلت : لأن الأرواح يُفَرَّجُ بها إما إلى عالمها وهم الممّاء ، أو تهوى إلى أسفل

السائلين وهم الأشقياء ؛ وهذا هو السير الحقيقى ، لا حركة الرجل بالمشى ، ومن أثبت  
الأنفس المحرّدة ، قال : سيرها خلوصها من عالم الحس ، واتصالها للعنوى لا الأبدى  
ببازائها ، فهو سير فى المنى لا فى الصورة ؛ ومن لم يقل بهذا ولا بهذا قال : إن الأبدان  
بمذالموت تأخذ فى التحلل والتزابل ، فيموت كل شيء منها إلى عنصره ، فذلك  
هو السير .

و « ما » فى « تحمّا قليل » زائدة . وتبعته : إثمهُ وعقوبته .  
قوله : « إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك » ، أى ليس الثواب فيما ينهى للفرمان  
يتركه ، ولا الشر فيما ينهى أن يرغب المرء فيه .  
وتفحص فيه الأعمال : تكشف . والزّلال ، بالفتح : اسم للحركة الشديدة والاضطراب ،  
والزّلال ؛ بالكسر المصدر ، قال تعالى : ﴿ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ <sup>(١)</sup> .  
قوله : « ويشب فيه الأطفال » كلام جار مجرى للثل ، يقال فى اليوم الشديد : إنه  
ليُشيب حواشى الأطفال ؛ وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَقِفُونَ إِن كُنتُمْ تَكْفُرُونَ يَوْمَ مَا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ  
شِيبًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وليس ذلك على حقيقته ، لأن الأمة مجمعة على أن الأطفال لا تتغير حالهم فى  
الأجرة إلى الشيب ؛ والأصل فى هذا أن الميؤم والأحران إذا توالى على الإنسان شاب  
سريعاً ، قال أبو الطيب :

والمُحْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْلَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ قَرِيحًا <sup>(٣)</sup>  
قوله : « إن عليكم رسداً من أنفسكم ، وحيوتاً من جوارحكم » ، لأن الأعضاء تنطق  
فى القيامة بأعمال الكلفين ، وتشهد عليهم .

(١) سورة الأحزاب ١١ .

(٢) سورة الزمل ١٧ .

(٣) ديوانه ٤ : ١٢٤ .



والزم مع واحد، كالحرس جمع حارس .

قوله : « وحَفَظَ صدق » ؛ بمعنى الملائكة السكاكين ؛ لا يعتصم منهم بستره ولا ظلام ليل ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

إذا ما خلوت الله هربوا فلا تفلُ خَلَوْتُ ؛ وَلَكِنْ قُلْ : هَلْ رَقِيبٌ

قوله : « وإن غدا من اليوم هرب » ، ومنه قول القائل :

• فَإِنْ غَدَا لَنَا ظِرٌّ قَرِيبٌ <sup>(١)</sup> •

منه قوله :

• قَدْ مَاضَ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ •

ومنه قول الله تعالى : « إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » <sup>(٢)</sup> .

والصبحة : فحة المصور

وزاحت الأباطيل : برمت ، واسمعت : تلاشت وذهبت .

قوله : « واسمعت » ، أى حثت ووقعت ، استفعل بمعنى « فعل » ، كقوله :

استمر على باطله ، أى مر عليه .

وصدرت بكم الأمور مصادرها ، كل وارد فله صدر من موده ، وصدر الإنسان من

موارد الدنيا : الموت ثم البعث .

(١) صدره :

• فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِيَّ •

(٢) سورة هود ٨١

(١٥٩)

الأفضل:

ومن خطبة له عليه السلام :

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ حَبْجَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ، وَأُسْتِقَامِ مِنَ الْمَبَرَمِ ؛  
فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالتَّوْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ بِهِ ؛ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْعِلُوهُ ؛  
وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ ...  
أَلَا إِنَّ فِيهِ حِكْمَ مَا بَاقِي ، وَالتَّحْدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ  
مَا بَيْنَكُمْ .



البيان :

المعجزة : التَّوْمَةُ الخفيفة ؛ وقد نستعمل في التَّوْمِ للمستغرق أيضا والبرم : الحبل المقول .  
والذي بين يديه : التَّوْرَةُ والإنجيل .

فإن قلت : التَّوْرَةُ والإنجيل قبله ، فكيف جعلهما بين يديه ؟

قلت : أحد جزأي الصلة محذوف وهو للتبدأ ؛ والتقدير : بتصديق الذي هو بين يديه ؛  
وهو ضمير القرآن ، أي بتصديق الذي للقرآن بين يديه ؛ وحذف أحد جزأي الصلة هاهنا ،  
ثم حذفه في قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، في قراءة من جعله اسما

مرفوعاً، وأيضاً فإن العرب تستعمل « بين يديه » بمعنى « قبل » ، قال تعالى : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى قبله .

• • •

## الأصل :

منها :

فَمِئِدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بُيُوتٌ مَدْرُورًا وَلَا وَبَرٌ إِلَّا وَأَدْحَلُهُ الْعَالَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوَّلُجُوا فِيهِ  
خِصَّةً ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَشْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ مَأْدِرٌ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ مَاصِرٌ .  
أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيِّئْتُمْ أَفْهًا مِنْ طَلَمٍ ؛  
مَا سَكَلًا بِمَا سَكَلُ ؛ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ؛ مِنْ مَطَاعِمِ الْمَنَعَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْقَفْرِ ، وَلِيَّاسٍ  
شِمَاكِرِ الْخُوفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ ؛ وَإِنَّمَا هُمْ مَطَابَا الْخَطِيئَاتِ ، وَرَوَامِلُ الْأَنَامِ .  
فَأَقِمْ نُمْ أَقِمْ ، لَسَفَحَتَهَا أُمِّيَّةٌ مِنْ تَعْدِي سَكَا تُلْعَظُ الدُّخَانَةُ ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا  
وَلَا تَتَطَلَّمُ بِطَعْمِهَا أُنْدَا ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَارِ !

• • •

## الشرح :

التَّرْحَةُ : الحزن ، قال : فحينئذ لا يبقى لهم ، أى يَحْبِقُ بهم العذاب ؛ ويُسَمَّى اللهُ  
عليهم مَنْ يَنْتَقِمُ ، وهذا إخبارٌ عن مُلْكِ نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ بعده ؛ وزوال أمرهم عند تفاقم فسادهم  
في الأرض .

ثم خاطب أولياء هؤلاء الْعَالَمَةُ ، وَمَنْ كَانَ بِؤْرَ مَلَسْكَهُمْ ، فقال ، « أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ

غير أهله ، أخصيتُ فلانا بكذا : خصصته به ، وصفتي الغنم : شيء كان بصطفية الرئيس لنفسه من الغنمية .

وأوردتموه غير وزده : أنزلتموه عند غير مستحقة .

ثم قال : سيبدل الله ما كلمهم الذبذبة الشهية بما كل صبرية عاقبة . والمقر : المرء . وما كلاً منصوب بفعل مقدر أي يأكلون ما كلاً ؛ والباء هاءا للمحاربة الدالة على الصلة ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا تَخْصِيهِمْ مِّيثَاتِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وكقول أبي تمام :

فَبِمَا قَدْ أَرَاهُ رَبِّيَّانَ مَكْسُورَ الْعَصَايِ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ وَطَيِّبٍ <sup>(٢)</sup>

وقال سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَّتْ فَلْيَ قُلْنَ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْجُحْرَمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وحمل سائرهم الخوف ، لأنه باطن في القلوب ، وديثارهم السيف لأنه ظاهر في البدن ؛ كما أن الشعار ما كان إلى الجسد والديثار ما كان فوقه .

ومطايا الخطيات : حوامل القديس . وروامل الآثام : جمع زائلة ، وهي سائر يستظهره

الإنسان يحمل متاعه عليه ، قال الشاعر :

رَوَامِلُ أَشْعَارٍ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ عَمِيْدَهَا إِلَّا كَيْلُ الْأَمْرِ <sup>(٤)</sup>

وتنحمت النعامة : إذا تنحمتها ، والنخامة : النعاعة .

والجديدان : الليل والنهار ؛ وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب الحديثين

أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أن نبي أمية تمتك الخلافة بعده ، مع ذم منه عليه

(١) سورة النساء ١٠٥ .

(٢) ديوانه ١ : ١٢٤ .

(٣) سورة القصص ١٧ .

(٤) بدمه :

لَعَمْرُكَ مَا يَذْرِي السَّعِيرُ إِذَا عَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْفَرَائِرِ

والبيان لرواي بن سليمان بن أبي حمزة ، يهجو قوما من رواة الشعر ( الملاح - زمل ) .

والسلام لهم ، نحو ما روى عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا كَفَنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ لِلْعَوْنَةِ فِي الْقُرْآنِ ﴾ <sup>(١)</sup> فإن للفسرين قالوا : إنه رأى بني أمية ينزون على منبره نزول القردة ، هذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فسر لم الآية به ، فساء ذلك ثم قال : الشجرة للعونة بنو أمية وبني المغيرة ؛ ونحو قوله صلى الله عليه وآله : « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دُولاً وعباده خَوَلًا » ونحو قوله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَذَبَةُ الْقَدْرِ حَبِيرٌ مِنْ أَلْفٍ شَهْرٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> قال : ألف شهر يمكث فيها بنو أمية . وورد عنه صلى الله عليه وآله من ذمهم الكثير المشهور بنحو قوله : « أبيض الأسماء إلى الله الحكم وهشام والوليد » ، وفي خبر آخر : « اسمان يُبغضهما الله : مروان والمنيرة » ؛ ونحو قوله : « إن ربكم يحب ويُبغض ؛ كما يحب أحدكم ويبغض » ، وإياه يبغض بني أمية ويحب بني عبد المطلب » .

فإن قلت : كيف قال : « ثم لا تنفوقها أبداً » وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة ؟

قلت : الاعتبار بملك العراق . والحجاز ؛ وما هداها من الأقاليم لا اعتداد به .

(١) سورة الإسراء ٦٠ .

(٢) سورة القمر ٣ .

( ١٦٠ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ ، وَأَحْطْتُ بِمُجْهِدِي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّقِ  
عَذْلٍ وَحَلَقِي الضِّمِّ ؛ مُسْكِرًا مِنْ لَيْبِ الْقَلِيلِ ، وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَذْرَكُهُ الْبَصَرُ ، وَشَهِدَهُ  
الَّذَنْ مِنَ الْمُسْكَرِ الْكَثِيرِ .

\*\*\*



الشرح :

أحطت بمجهدى من ورائكم وعتقتكم وحصتكم . والجهد ، بالضم الطاقة للربق  
جمع ربة ، وهى الحبل يربق به البهم .

وحلق الضم : جمع حلق ، بالنسكين ، ويجوز : « حلق » بكسر الحاء وحلاق .

فإن قلت : كيف يجوز له أن يطرق ويمضي عن المسكر ؟

قلت : يجوز له ذلك إذا علم أن غلب على ظنه أنه إن نهام عنه لم يرتدعوا ، وأضافوا

إليه مسكراً آخر ، فحينئذ يخرج الإطراق والإغضاء عن حدة الجواز إلى حدة الوجوب ،

لأن النهي عن المسكر يكون والحالة هذه مفسدة .

(١٦١)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمُهُ، وَرِضَاؤُهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.  
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي؛ وَعَلَى مَا تُنْصِي وَتَبْتَلِي؛ حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى  
 الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ؛ وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ؛ حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ  
 مَا أَرَدْتَ؛ حَمْدًا لَا يُجْجِبُ عَنْكَ، وَلَا يُفْصِرُ دُونَكَ؛ حَمْدًا لَا يَنْقُطِعُ عَدَدُهُ،  
 وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَمَّا تَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَدُومٌ؛ لَا تَأْخُذُكَ  
 سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ؛ لَمْ يَدْنِ إِلَيْكَ تَفَكُّرٌ، وَلَمْ يَذْرِكَ تَعَصُّرٌ، يَذَرُكَ الْأَنْصَارُ، وَأُخْصِيَتْ  
 الْأَعْمَالُ، وَأَخْذَتْ بِالتَّوَّاسِي وَالْأَقْدَامِ.

وَمَا أَلَدَى نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَتَعَبُّ لَهْ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصْفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ؛  
 وَمَا تَعَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَتَعَصَّرَتْ أَنْصَارُنَا عَنْهُ، وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَائِرُ  
 الْفُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ - أَعْظَمُ. فَسَنُفَرِّغُ قُلُوبَهُ، وَأَعْمَلُ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقْبَسَتْ  
 عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأَتْ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقَتْ فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدَتْ  
 عَلَى تَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ - رَجَعَ طَرَفُهُ حَيْرًا، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا، وَسَمْعُهُ وَآلِهًا، وَفِكْرُهُ  
 حَائِرًا.

\*\*\*

## الشرح

يجوز أن يكون أمره ما هنا هو الأمر المعلن ، لا الأمر القولي ، كما يقال : أمر فلان مستقيم ، وما أمر كذا ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا وَاحدةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَمَا أُمِرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةً بِالْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فيكون اللفظ أن شأنه تعالى ليس إلا أحد شيئين هما « أن يقول » ، « وأن يفعل » ، فبغير من « أن يقول » بقوله : « قضاء » لأن القضاء الحكم ، وعبر عن « أن يفعل » بقوله : « وحكمة » لأن أفعاله كلها تتبع دواعي الحكمة . ويجوز أن يكون « أمره » هو الأمر القولي ؛ وهو المصدر من « أمره » كذا أمراً « فيكون اللفظ أن أوامره إيجاب وإلزام بما فيه حكمة ومصلحة ؛ وقد جاء القضاء بمعنى الإلزام والإيجاب في القرآن للمرضى في قوله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَسْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أي أوجب وألزم .

قوله : « ورعاه أماناً ورحمة » ؛ لأن من فاز بدرجة الرضا قد أمن وحصلت له الرحمة ؛ لأن الرضا رحمة وزيادة .

قوله : « يقضى بعلم » ، أي يحكم بما يحكم به لأنه عالم بحسن ذلك القضاء ، أو وجوبه في العدل .

قوله : « ويعفو بحلم » ، أي لا يعفو عن مجز وثلة ، كما يعفو الضيف عن القوي ؛ بل هو قادر على الانتقام ولكنه يحلم .

ثم حمده تعالى على الإعطاء والأخذ ، والعافية والبلاء ؛ لأن ذلك كله من عنده المصالح للمكلف ، يعلمها وما <sup>(٤)</sup> يعلمها المكلف ، والحمد على المصالح واجب .

(١) سورة النحل ٧٧ .

(٢) سورة الإسراء ٢٣ .

(٣) سورة القمر ٥٠ .

(٤) سورة الإسراء ٢٣ .



ثم أخذ في تفضيم شأن ذلك الحد وتظيمه والبالغة في وصفه، احتفاء بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « الحد لله زنة عرشه ، الحد لله عدد خلقه ، الحد لله ملء سيئه وأرضه » ، فقال عليه السلام : حتماً يكون أرضي الحد لك ، أي يكون رضاك له أوفى وأعظم من رضاك غيره ، وكذلك القول في : « أحب » و « أفضل » .

قوله : « ويبلغ ما أردت » ، أي هو غاية ما تنتهي إليه الإرادة ؛ وهذا كقول الأعرابي في صفة المطر : غشينا ما شئنا ؛ وهو من صحيح الكلام .

قوله : « لا يحبب عنك » ، لأن الإخلاص يقارنه ، والرياء متنافٍ عنه .

قوله : « ولا يقصرُ دونك » ؛ أي لا يحبس ؛ أي لا مانع عن وصوله إليك ، وهذا من باب التوسع ؛ ومناه : أنه يرى من اللوائح عن إغمار الثواب واقتضائه إياه ، وروى « ولا يقصر » من القصور ، وروى « ولا يقصر » من التقصير .

ثم أخذ في بيان أن القول قاصرة عن إدراك الباري سبحانه والعلم به ، وأنا لا أعالم منه صفات إضافية أو سلبية ؛ كالعالم بأنه حي ، ومعنى ذلك أنه لا يستحيل على ذاته أن يعلم ويقدّر ؛ وأنه فيوم بمعدن ذاته لا يجوز ؛ عليها العدم ما يقيم الأشياء ويمسكها ؛ وكل شيء يقيم الأشياء كلها ويمسكها ، وليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه ؛ وإلا لم يكن مقبلاً ويمسكاً لكل شيء ، وكل من ليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه ؛ فذاته لا يجوز عليها العدم . وأنه تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ؛ لأن هذا من صفات الأجسام ؛ وما لا يجوز عليه العدم لا يكون جسماً ، ولا يوصف بخواص الأجسام ولوازمها ، فإنه لا ينشئ إليه نظر ، لأن انتهاء النظر إليه ؛ يستلزم مقابله وهو تعالى منزّه عن الجهة ، وإلا لم يكن ذاته مستحيلاً عليها العدم ، وأنه لا يدركه بصر ، لأن إحصاء الأشياء بانطباع أمثلتها في الرطوبة الجليدية كانطباع أشباح المرثيات في المرآة ، والباري تعالى لا يمتثل ، ولا يقشع ؛ وإلا لم يكن

غيره ، وأنه يدرك الأنصار ؛ لأنه إما عالم لذاته ، أو لأنه حي لا آفة به ، وأنه يحصى الأعمال لأنه عالم لذاته ، فيعلم كل شيء ، حاصراً وماصياً ومستقبلاً ، وأنه يأخذ بالتواءم والأقدام ، لأنه قادر لذاته ، فهو متمكن من كل مقدور

ثم حرج إلى فن آخر ؛ فقال : وما الذي سمعت لأجله من قدرتك وعظيم ملكك ، والعائب عما من عظمتك أعظم من الحاصر ؛ مثل ذلك أن حرّم الشمس أعظم من حرّم الأرض مائة وسعين مرة ، ولا نسبة لحرّم الشمس إلى فلسكها المائل ، ولا نسبة لفلسكها المائل إلى فلسكها المميل ؛ وذلك تدوير المريح إلى موقها أعظم من بميل الشمس ؛ ولا نسبة لفلك تدوير المريح إلى فلسك المميل ؛ وذلك تدوير المشتري أعظم من بميل المريح ، ولا نسبة لفلك تدوير المشتري إلى فلسك المميل ؛ وذلك تدوير رحل أعظم من بميل المشتري ، ولا نسبة لفلك تدوير رحل إلى بميل رحل ، ولا نسبة لميل رحل إلى كرة الثواب ، ولا نسبة لكرة الثواب إلى الفلك الأطلس الأقصى ؛ فاطر أي نسبة تكون الأرض بكليتها على هذا الترتيب إلى الفلك الأطلس ، وهذا مما تفصّر القول عن فهمه ، ونسبى دونه ، ونحول سوائر الميوس بها وبينه ، كما قال عايه السلام

ثم ذكر أن من أعمل فكره يعلم كيف أقام سبحانه العرش ، وكيف دّرأ الخلق ، وكيف خلق السموات بغير علاقة ولا عمد ، وكيف مدّ الأرض على الماء ، رجّح طوره حسيراً ، وعقله مهوراً . وهذا كله حق ، ومن تأمل كتبنا المقايمة واعتراضنا على الفلاسفة الذين علّقوا هذه الأمور ، ورعّخوا أهم استنبطوا لها أسباباً عقلية ، وادّعوا وفوقهم على كسبها وحفاظها ، علم صحة ما ذكره عايه السلام ، من أن من حاول تقدير ملك الله تعالى ، وعظيم مخلوقاته بمكيال عقله ، فقد صل صلالاً مبيناً .

وروى : « وفكره جاترا » ، بالجيم ، أى عادلا عن العواب والحسير : المتعب .  
واللهور : الملوب . والواله : المتعبير .

• • •

## الأصل :

منها :

يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يُرْجُو اللَّهَ ، كَذَبَ وَالْمَظْمُونُ لَا يَدْعِيَنَّ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ  
فَكُلُّ مَنْ دَجَا هُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ - إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ ، وَكُلُّ خَوْفٍ  
مُحَقَّقٌ - إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ - فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ .

يُرْجُو اللَّهَ فِي الْكِبَرِ ، وَمُزْجُو الْعِبَادِ فِي الصَّغِيرِ ؛ فَيُعْطَى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطَى الرَّبَّ  
فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقْصَرُ بِهِ كَمَا يُصْلَحُ بِهِ لِيُبَادِرَهُ ؟

أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَذِبًا ، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟  
وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ ؛ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطَى رَبَّهُ ؛ فَجَعَلَ  
خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ هَذَا ، وَخَوْفَهُ مِنْ حَاقِقِهِ ضِمَارًا وَرَعْدًا .

وَكَذَلِكَ مَنْ عَطَسَتِ الْهَيْبَةُ فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْضِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ؛ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ ؛  
فَأَغْطَعَ إِلَهَهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا .

• • •

## الشرح :

يجوز « برُعهه » ، بالضم و « برُعهه » بالفتح ، و « يزُعهه » بالكسر ، ثلاث لغات ، أى  
يقوله فأما من « زعت » ، أى كفلت ، فالمصدر « الزعم » بالفتح ، والزعامه .

ثم أقسم على كذب هذا الزاعم ، فقال : « والمظيم » ، ولم يقل : والله العظيم متناً كيداً  
اعظمه للبارئ سبحانه ، لأن الموصوف إذا ألقى وترك واعتيد على الصفة حتى صار  
كلاسم ، كان أحل على تحقق مفهوم الصفة ، كالحارث والمياس .

ثم بين مستند هذا التكذيب ، فقال : ما بال هذا الزاعم ! إنه يرجو ربه ، ولا يظهر  
رجاؤه في عمله ، فإننا نرى من يرجو واحداً من البشر بلازم بابه ؛ ويواظب على خدمته  
ويحسب إليه ، ويتقرب إلى قلبه بأنواع الوسائل والفرب ؛ ليظفر بمراحمه ، ويحقق  
رجاؤه فيه ، وهذا الإنسان الذي يزعم أنه يرجو الله تعالى ، لا يظهر من أعماله الدينية ما يدل  
على صدق دَعْوَاهُ ، ومراحمه عليه السلام هاهنا ليس شعاعاً نبيه ، بل كل إنسان هذه  
صفته ، فالتطاب له والحديث معه .

ثم قال : « كل رجاء إلا رجاء الله فهو مدخول » ، أي معيب ، والدخول ،  
بالسكين : المعيب والريبة ومن كلامهم : « ترى العتيان كالتنخل ، وما يدريك  
ما الدخول »<sup>(١)</sup> ، وجاء « الدخول » بالتحريك أيضاً ، يقال : هذا الأمر فيه دخل  
ودخل ، بمعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ أي مكرراً  
وخديعة ، وهو من هذا الباب أيضاً .

ثم قال : « وكل خوف محقق إلا خوف الله فهو معول » : محقق ، أي ثابت ، أي كل  
خوف حاصل حقيقة فإنه مع هذا الحصول والتحقق معول ليس بالخوف الصريح ؛ إلا خوف  
الله وحده وتقواه ، وهيئته وسلطته وسعته ، ذلك لأن الأمر الذي يُخاف من العبد سرير  
الانقضاء والزوال ، والأمر الذي يُخاف من البارئ تعالى لا غاية له ولا انقضاء لهذوره ،  
كما قيل في الحديث المرفوع : « فضوح الدنيا أهون من فصوص الآخرة » .

(١) مثل ، وأول من فاته غلبة بنت مطرود العجبة . وانظر التاخر ١٥٦ .

(٢) سورة النحل ٩٤ .

ثمّ عاد إلى الرجاء ، فقال : يرجو هذا الإنسان الله في الكثير ، أى يرجو رحمة في الآخرة ، ولا يتعلق رحاؤه بالله تعالى إلا في هذا الموضع ، فأما ما عدا ذلك من أمور الدنيا كالمكاسب والأموال والجاه والسلطان وانقطاع المصارف والتوصل إلى الأعراض بالشفاعات والتوسلات ، فإنه لا يخطر له الله تعالى ببالي ، بل يعتمد في ذلك على السفراء والوسطاء ، ويرجو حصول هذه المنافع ، ودفع هذه المضار من أبناء نوعه من البشر ، فقد أعطى العباد من دجانه ما لم يعطه الخلق سبحانه ، فهو محطى ؛ لأنه إما أن يكون هو في نفسه صالحاً لأن يرجوه سبحانه ، وإما ألا يكون الباري تعالى في نفسه صالحاً لأن يرجي ، فإن كان الثاني فهو كُفْرٌ مُرَاح ، وإن كان الأول فالعبد محطى حيث لم يحمل نفسه مستعداً لعمل الصالحات ، لأن يصلح لرجاء الباري سبحانه .

ثم انتقل عليه السلام إلى الخوف ، فقال : وكذلك إن خاف هذا الإنسان عبداً مثله ؛ خافه أكثر من خوفه للباري سبحانه ؛ لأن كثيراً من الناس يخافون السلطان وسطوته أكثر من خوفهم مؤاحدة الباري سبحانه ؛ وهذا مشاهد ومعلوم من الناس ، فخوف بعضهم من بعض كالنقد المجل ، وخوفهم من حالهم ضياعاً ووعد . والسمار : ما لا يرجي من الموعود والديون . قال الراعي :

تَحِدَنَ مَزَارَهُ وَأَصْبَنَ مِنْهُ عَطَاءٌ لَمْ يَسْكُنْ عِدَّةَ صِيَارًا<sup>(١)</sup>

ثم قال : « وكذلك من عظمت الدنيا في عينه » يختارها على الله ، ويستعبد له بها . ويقال : كبر ، بالضم ، بكبر أى عظم ؛ فهو كبير وكبار بالتخفيف ؛ فإذا أفرط قيل :

(١) السان ٦ : ١٦٤ ، وله :

وَأَنْصَاءُ أَيْمَنَ إِلَى سَعِيدٍ طَرَوْقًا ثُمَّ تَحَلَّنَ أَشْكَارًا

« كِبَار » بالشديد ، فأما كِبَر بالكسر ، فمعناه أَسَن : وللصدر معها كِبَرًا ،  
يفتح اللباء .

• • •

### الأصل :

وَأَقْدَكَ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَافٍ لَكَ فِي الْأَنْوَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ  
عَلَى ذَمِّ الْهَذْيِ وَعَقِيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَارِبِهَا وَمَسَارِبِهَا ؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِئَتْ  
لِغَيْرِهِ أَكْثَافُهَا ، وَفُطِمَ عَنْ رَضَائِعِهَا ، وَرُويَ عَنْ رَحَارِفِهَا .

وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : ( رَبِّ  
إِنِّي لِمَا أُنْزِلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قَبِيرٌ ) أَرَأَيْتَ مَا سَأَلَهُ ( أَلَمْ أَحْزَأْ بِأَسْأَلِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ بِأَسْأَلِ  
نَقْلَةِ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُمْرَةُ الثَّغْلِ تُرَى مِنْ شِمْفِ صِدَاقِ بَطْنِهِ ، وَلَهُ لَهِ  
وَسَدَبٌ نَحِيحٌ .

وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الْمَرَامِيرِ ، وَقَارِي أَهْلِ الْخَنَةِ ،  
فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُلُوصِ بِوَدْيِهِ ، وَيَقُولُ لِحُلَسَائِهِ : أَتُسْكُنُ بِسُكُنِي بَيْتَهَا  
وَبِأَسْأَلِ قُرْصِ الشَّيْرِ مِنْ تَمَرِهَا .


وَإِنْ شِئْتَ فَلَنْتُ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَقْوَسُ الْخَجَرَ ،  
وَيَنْبَسُ الْحِشْنَ ، وَيَأْ سَأَلُ الْخَشَبَ ، وَكَانَ إِذْ هُوَ الْخُرُوعُ ، وَيَبْرَأُ أَخَاهُ بِالْثَّلِيلِ الْقَمَرِ ،  
وَحِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَعَارِبُهَا ، وَهُوَ كَهَيْئَةِ وَرِيحَانَةٍ مَا تَمْنَعُ الْأَرْضُ  
لَهَا نَمْرٌ ؛ وَلَمْ تَسْكُنْ لَهُ رَوْحَةُ تَقْيِيهِ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْرُمُهُ ، وَلَا مَالٌ يَنْفَعُهُ ، وَلَا طِمَعٌ  
يُدْلِيهِ ؛ دَانَتْهُ رَحْلَاهُ ، وَخَدِمَتْهُ دَنَاهُ .

• • •

## البُزْج :

يموز أسوة وإسوة ، وقرى التنزيل بهما ، والساوى : السويب ؛ ساءه كذا يسوء .  
سواء بالفتح ومساواة ومساوية . وسوته سوابة ومساوية ، بالتخفيف ، أى ساءه ما رآه منى .  
وسأل سيبويه الخليل عن « سوائية » ، فقال : هى « فضالية » بمنزلة علامية ، والذين قالوا :  
« سوابية » حذفوا الهمزة تخفيفا ؛ وهى فى الأصل . قال : وسألته عن « مسائية » ، فقال :  
هى مقالوبة وأصلها « مساوئة » فكرهوا المواضع الهمزة ، والذين قالوا : « مساية » حذفوا  
الهمزة أيضا تخفيفا ؛ ومن أمثالهم : « الخليل تجرى فى مساويها » ؛ أى أنها وإن كانت بها  
عيوب وأوصاب ، فإن كرمها يجعلها على الجرى .

والخازى : جمع مخزاة ؛ وهى الأمر يستحق من ذكره اقتضاه .

وأكدافها : حوائها . وروى :  وزخارف : جمع زخرف ؛ وهو الذهب ،  
روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « عُرِضَتْ عَلَى كَنْزِ الْأَرْضِ وَدُفِنَتْ  
إِلَى مَعَاتِيحِ حِرَائِهَا ، فكَرِهْنَاهَا وَاحْتَرَتْ الدَّارُ الْآخِرَةُ » ، وجاء فى الأحبار الصحيحة أنه  
كان يجموع ويشد حجرا على بطنه . وأنه ما شيع آل محمد من نلّم قط ، وأن قاطبة وبطنها  
وبنيها كانوا يأكلون حبر الشير ، وأسم آثروا سائلا بأربعة أفراس منه كانوا أعدوها  
لفطورهم ، وجاتوا جياعا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملك قطعة واسعة من  
الجنة ، فلم يتدنس منها بقليل ولا كثير ؛ ولقد كانت الإبل التى غنمها يوم حنين أكثر  
من عشرة آلاف بعير ؛ فلم يأخذ منها وبرة لنفسه ، وفرقها كلها على الناس ، وهكذا  
كانت شيمته وسيرته فى جميع أحواله إلى أن توى

والصفائق : الجلد الباطن الذى فوقه الجلد الظاهر من البطن . وشفيقه : رقيقه الذى  
يستشف ما وراءه ، والتفسير الذى مر عليه السلام الآية فسرها القسرون ، وقالوا : إن

خضرة البقل كانت تُرعى في بطنه من الهزال ، وإِنَّه مَسَّالَ اللهُ إِلَّا أَكَلَهُ مِنَ الْخُبْزِ . وَمَا  
(لِيَا أَنْزَلْتَ) بِمَعْنَى أَيْ ، أَيْ إِنْ لَمْ يَكُنْ . أَنْزَلْتَ إِلَى - قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ ، غَثٍ  
أَوْ سَمِينٍ - قَبْرٍ .

فَإِنْ قُلْتَ : لَمْ حُدِّى « فَقِيرًا » بِاللَّامِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : « فَقِيرٌ إِلَى كَذَا » ؟  
قُلْتَ : لِأَنَّهُ صَمْتٌ مَعْنَى « سَائِلٌ » وَ « مُطَالِبٌ » وَمِنْ قَسْرِ الْآيَةِ بِغَيْرِ مَا ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى الْجَوَابِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ ، فَإِنَّ قَوْمًا قَالُوا : أَرَادَ : إِنْ فَقِيرٌ مِنَ الدُّنْيَا لِأَجْلِ  
مَا أَنْزَلَتْ إِلَى مَنْ حَرِّ ، أَيْ مِنْ خَيْرِ الدِّينِ وَهُوَ السَّعَادَةُ مِنَ الظَّالِمِينَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ رِضًا بِالْهَدْلِ  
السَّعَادَةِ ، وَفَرَحًا بِهِ وَشُكْرًا لَهُ .  
وَتَشْدِيدُ الْهَمِّ : تَفْرِيقُهُ .

وَالزَّمَامِيرُ : جَمْعُ مَزَامِيرٍ ؛ وَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي يَرْمِي بِهَا ، وَيُقَالُ : زَمَرُ يَرْمِي وَيَزْمُرُ ، وَالضَّمُّ  
وَالكُسْرُ ؛ فَهُوَ رَمَارٌ ، وَلَا يَكَادُ يُقَالُ : زَامِرٌ ؛ وَيُقَالُ لِلرَّأَةِ : زَامِرَةٌ ، وَلَا يُقَالُ رَمَارَةٌ ،  
فَأَمَّا الْحَدِيثُ أَنَّهُ نَهَى عَنْ كَسْبِ الزَّمَارَةِ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا الزَّمَانِيَّةُ هَاهُنَا . وَيُقَالُ : إِنَّ دَاوُدَ  
أَعْطِيَ مِنْ طُيْبِ النَّفْثِ وَفَدَّةَ تَرْجِيمِ الْقِرَاءَةِ مَا كَانَتْ الطُّيُورُ لِأَجْلِهِ تَقَعُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي عَجْرَةٍ ،  
وَالْوَحْشُ تَسْمَعُهُ فَتَدْخُلُ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا تَنْفِرُ مِنْهُمْ لَمَّا قَدْ اسْتَفْرَقَهَا مِنْ طُيْبِ صَوْتِهِ . وَقَالَ  
الْبَيْهَقِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَبِي مُوسَى ، وَقَدْ سَمِعَهُ يَقْرَأُ : « لَقَدْ أُوتِيَتْ زَمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ  
دَاوُدَ » ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى شَجَى الصَّوْتِ إِذَا قَرَأَ . وَوَرَدَ فِي الْخُبْرِ : « دَاوُدُ قَارِئُ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

وَسَفَائِفُ الْخُلُوصِ : جَمْعُ سَفِيفَةٍ ، وَهِيَ السَّيِّئَةُ مِنْهُ ، سَفَفْتُ الْخُلُوصَ وَأَسَفَفْتُهُ بِمَعْنَى .  
وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ دَاوُدَ يَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ شَرَحَ حَالَهُ قَبْلَ أَنْ  
يَمْلِكَ فَإِنَّهُ كَانَ فَقِيرًا ، فَأَمَّا حَيْثُ مَلَكَ فَإِنَّ الْمَعْلُومَ مِنْ سَبْرَتِهِ غَيْرَ ذَلِكَ .  
فَأَمَّا عَيْسَى خَالَهُ كَمَا ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَرْبَبٍ فِي ذَلِكَ ، عَلَى أَنَّهُ أَكَلَ الْإِخْمَ وَشَرِبَ



الحمر ، وركب الحمار وحده النلازمة ؛ ولكن الأعباء من حاله هي الأمور التي عددها أمير المؤمنين عليه السلام .

ويقال : حَرَبِي الشئ ، بحَرَبِي مائعم أو يعور : «أحرسى» بالحمر بحَرَبِي ، وقرئ بهما ، وهو في كلامه عليه السلام في هذا الفصل بهما .  
ويقال : لفته عن كذا ، بلفته بالكسر ، أي مره ولواه .

• • •

### الأصل

فَتَأْسُ بِنَبِيِّكَ الْأَطْلَبِ الْأَطْمَرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَدَ لَبَنٍ تَأْسِي ،  
وَعَرَاءَ لَبَنٍ تَأْسِي وَأَحَبُّ الْمَوَادِّ إِلَى اللَّهِ النَّاسِي بِدِينِهِ ، وَالْمَقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ قَصَمَ الدُّنْيَا  
قَصْمًا ، وَلَمْ يُبْرِهَا طَرَفًا أَحَدُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا كَشْحًا ، وَأَخْصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا نَعْلًا ،  
عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا قَائِي أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَمِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُنْعَصَ شَيْئًا قَائِمَةً ،  
وَحَمَرَ شَيْئًا فَحَقَرَهُ ، وَضَمَرَ شَيْئًا فَصَمَرَهُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُمَا مَا أُنْعَصَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَهْلِيئُنَا مَا صَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،  
لَسَكُنِي بِهِ شِفَاقًا فِيهِ تَعَالَى وَنَحَادَةً عَنْ مُرِّ اللَّهِ تَعَالَى ! وَلَقَدْ كَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بِأَكْلٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَبِجَلْسِ حِلْسَةِ الْعَمْدِ ، وَبِخَصْفِ يَدَيْهِ تَعَالَى ، وَبِرَفْعِ يَدَيْهِ تَوَاتُ ،  
وَبِرَكْبِ الْحِمَارِ الْمَارِي ، وَبُرُودِ حَمَمِهِ ؛ وَبَسْكَوْنِ الشُّرْقَى عَلَى بَابِ يَدَيْهِ فَتَسْكُونُ  
عِيهِ النَّصَاوِيرُ قَيَقُولُ : يَا عَلَانَةُ - لِإِخْدَى رَوَاحِهِ - عَيْبِيهِ عَيٌّ ؛ قَائِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ  
ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَرَحَلَهَا ، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَدِيرِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ  
أَنْ تُصِيبَ زِيْنَتُهَا عَنْ عَيْبِهِ ، إِسْكِيلاً بِتَجِدِّ مِنْهَا رِبَاشًا ، وَلَا يَتَقَفِدَهَا فَرَارًا ، وَلَا يَرْحُو  
فِيهَا مَفَامًا ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَشَدَعَهَا عَنِ الْقَلْبِ ، وَعَيْبَهَا عَنِ الْبَصَرِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْصَرَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذْكَرَ مِنْهُ ؛ وَلَقَدْ كَانَ  
 فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَدَّلَكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا ؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا  
 مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَرُوِيَ عَنْهُ رَحَارِمُهَا مَعَ عَظِيمِ رُفَّتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِلٌ بِقَلْبِهِ : أَسْكَرَمَ اللَّهُ  
 مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ : « أَهَانَهُ » فَقَدْ كَذَبَ وَافَقَ  
 الْعَظِيمَ بِالْإِمَّاكِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : « أَسْكَرَمَهُ » فَلْيَحْتَمِ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ  
 نَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَرَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ ؛ فَنَأْسَى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ ، وَافْتَضَّ أَثَرَهُ ،  
 وَوَاجَعَ مَوْلِيَتَهُ ؛ وَإِلَّا فَلَا يَأْسَى الْهَدْمَ ، فَمَنْ اللَّهُ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 عَلَمًا لِلسَّاعَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُمَدِّدًا بِالتَّقْوَةِ ؛ حَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ، وَوَرَدَ  
 الْآخِرَةَ سَلِيمًا ، لَمْ يَصْعَ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ ؛ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ؛  
 فَمَا أَغْظَمَ مِثْلَهُ اللَّهُ هَذَا مَا حِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِهَذَا سَلَفًا لِنَفْسِهِ ، وَقَائِدًا نَعْلًا حَقِيئَةً ؛ وَاللَّهُ لَقَدْ  
 رَفَعَتْ مِذْرَاقَ هَدْيِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَافِعِهَا ، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْذِيذُهَا  
 عَنْكَ ؟ قُلْتُ : أَتَرُبُّ عَنِّي ؟ فَمِنْذَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الدُّرَى .

• • •

### الْبَيْزُج :

المفتن لأثره : المتبع له ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
 وقَصَمَ الدنيا : تناول منها قدر السكفاف ، وما تدعو إليه الضرورة من خيش العيشة ،  
 وقال أبو ذر رَحِمَهُ اللَّهُ : « يَحْمِدُونَ وَقَصِمَ ، والوعد لله ! » . وأصل القَصْمِ : أكل الشيء .  
 الباس بأطراف الأسنان ، والخصم : أكل بكلِّ الهم للأشياء الرطبة ، وروى : « قَصِمَ »  
 بالصاد ، أي كسر .

قوله : « أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشَعًا » الكَشْعُ : الخاصرة ، ورجل أَهْضَمُ : بينَ الهَضَمِ ؛  
إذا كان خيمًا لِقَلَّةِ الأَكْلِ .

وروى : « وَحَقَّرَ شَيْئًا مَحْقَرًا » بالتخفيف . والشَّفَاقُ : الخلاف .

والمُحَادَّةُ : المُعَادَاةُ . وَخَصَفَ النَّمْلُ : خَرَزَهَا . وَارْيَاشُ : الزينة ، والمِدْرَحَةُ :  
المَدْرَاجَةُ .

وقوله : « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ » ؛ مثل بضرب لِحْتَمِيلِ الشَّقَةِ العَاجِلَةِ <sup>(١)</sup> ،  
رجاء الراحة الآجلة .

\*\*\*

### [ نَبَدٌ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي السُّعْدِ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ]

جاء في الأخبار الصحيحة آية عَابَةِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، قَالَ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكَلُ  
أَكْلَ الْعَبِيدِ ، وَأَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبِيدِ » ؛ وَكَانَ بَاكِلًا عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جُلُوسَ الْعَبِيدِ ،  
يَصْعُقُ صَبْتَهُ سَاقِيَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَعْتَمِدُ عَابِيهَا سَاطِي فَجِدِيهِ ، وَرُكُوبُهُ الْحَارَ الْعَارِي آيَةً  
التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ . وَإِرْدَفُ غَيْرِهِ حَافَةُ آكَدٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ .

وجاء في الأخبار الصحيحة النبوية عن النصارى وعن نصيب السطور التي فيها النصارى ،  
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى سِترًا عليه نصارى أمر أن تقطع رأس  
تلك الصورة .

وجاء في الخبر : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُتِّفَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ ، فَيَذْأَلُ :  
لَا اسْتَطَاعَ ، عُدْبٌ » .

(١) وأول من قاله بنو لوليد ؛ واضر مصره ، وورده في الفاجر ١٩٣ .

قوله : « لم يضع حجراً على حجر » هو عين ما جاء في الأخبار الصحيحة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا ولم يضع حجراً على حجر

وجاء في أخبار علي عليه السلام التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله ، وهو : روي عن قريش بن السبيع بن المهنا الملقب ، عن نقيب الطالبيين أبي عبد الله أحمد بن علي بن النضر ، عن المبارك بن عبد الجبار أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيور ، عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني ، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك القطيعي ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه أبي عبد الله أحمد رحمه الله ، قال : قيل لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، لم ترفع قبضتك ؟ قال : لينشع القلب ، ويتبدى بي المؤمنون .

وروي أحمد رحمه الله أن علياً كان يظوف الأسواق مؤثراً يزار ، مرتدياً برداء ، ومعه الدرّة كأنه أعراي مدوي ، طاف مرّة حتى بلغ سوق السكرابس ، فقال لواحد : يا شيخ ، مني قبضاً تكون قيمته ثلاثة دراهم ، فلما عرفه الشيخ لم يشتريه شيئاً ، ثم أتى آخر ، فلما عرفه لم يشتريه منه شيئاً ، فأتى علامة حديثاً ، فاشترى منه قبضاً بثلاثة دراهم ، فلما جاء أبو العلام ، أحبره ، فأخذ درهماً . ثم جاء إلى علي عليه السلام ليدفعه إليه ، فقال له : ما هذا ؟ أو قال ما شأنه هذا ، فقال : يا مولاي ، إن القميص الذي باعك انتي كان يساوي درهمين ، فلم يأخذ الدرهم ، وقال : باعني رصاي وأخذ رصاء .

وروي أحمد رحمه الله عن أبي السوار بائع الخيام بالكوفة ، قال : جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق ، ومعه غلام له وهو حليعة ، فاشترى مني قميصين ، وقال لعلامة : اخترايها شئت ، فأخذ أحدهما ، وأخذ علي الآخر ، ثم لبسه ومدّ يده ، فوجد كتمه فاضلة ، فقال : اقطع الفاصل . فقطعت ، ثم كفّه وذهب .

وروى أحمد رحمه الله عن الصالح بن عمير ، قال : رأيتُ قبيصَ عليّ عليه السلام الذي أصيب فيه ، وهو كرايس سبيلاني<sup>(١)</sup> ، ورأيتُ دمه قد سال عليه كالهَرْدَى<sup>(٢)</sup>

وروى أحمد رحمه الله قال : لما أرسل عثمانُ إلى عليّ عليه السلام ، وجده مؤثراً<sup>١</sup> بمهابة ، محتجراً<sup>٢</sup> يقال ، وهو يَهْتَأُ بغير له .

والأحبار في هذا المعنى كثيرة ، وفيها ذكرناه كفاية

---

(١) الكرايس : ثياب فارسية من الفرس ؛ وسبيلاني : منسوب إلى سبيلان .  
(٢) الهَرْدَى : ما يسقط من الزيت في أسفل الإناء .

(١٦٢)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَبْتَدَعَهُ بِالنُّورِ لِلْضِيءِ ، وَالْبُرْهَانِ الْخَلِيِّ ، وَالْإِسْهَاجِ الْهَادِي ، وَالْكِتَابِ الْهَادِي .  
أَسْرَتُهُ خَيْرُ أَمْرَةٍ ، وَشَعْرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّةٌ ، وَتِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ ،  
مَوْلِدُهُ بِمَسْكَةٍ ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةٍ ؛ عَلَاهَا دِكْرُهُ ، وَأَمْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ  
كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَاقِيَةٍ . أَظْهَرَ بِهِ الذَّرَائِعَ لِلْعَهْوَةِ ، وَقَطَعَ  
بِهِ الدِّمَعَ لِلدُّخُولَةِ ، وَتَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامُ لِلْفُضُولَةِ . مَنْ يَبْتَغِ فَيْزَ الْإِسْلَامِ دِينًا  
تَقْضَى شِفَاؤُهُ ، وَتَنْفَعِمَ عُرْوَتُهُ ، وَتَعِظُمَ كَنْبُوتُهُ ، مَوْسِكُنْ مَا بُوَ إِلَى الْحَزَنِ الطَّوِيلِ  
وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ ؛ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ الْمُوَدَّبَةَ  
إِلَى جَنَّتِهِ ، الْفَاصِدَةَ إِلَى تَحَلٍّ رَغْبَتِهِ .

• • •

الشرح :

بالنور المضيء ، أى بالدين ، أو بهرآن . وأسرته : أهله . أغصانها معتدلة ، كناية  
عن عدم الاختلاف بينهم فى الأمور الدينية . وتيمارها متهدلة : أى متدلّية ، كناية عن  
سهولة اجتناء العلم منها .

وطيبة اسم المدينة ، كان اسمها يثرب ، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة ،

ومما أكَفَّرَ الناس به يزيد بن معاوية أنه مماها « خبيثة »، مراغمة لرسول الله صلى الله عليه وآله .

علاها ذكره ، لأنه صلى الله عليه وآله إنما اندصر وقهر الأعداء بعد الهجرة .  
« ودعوة متلافية » أى تتلاقى ماصداً للجاهلية من أديان البشر .

قوله : « وبين به الأحكام المفصلة » : ليس بمعنى أنها كانت مفصلة قبل أن يتيها ، بل المراد : بين به الأحكام التى هى الآن مفصلة عدداً وواحدة لنا ؛ لأجل بيانه لها .

« الكبوة » : مصدر كبا الخواد ، إذا عثر موقع إلى الأرض .

والمآب : المرحم . والمداب الويل : دو النوال وهو الهلاك :

والإمابة : الرجوع . والسيل : الطريق . يذكر ويؤث . والقاصدة : ضد الجائرة .  
فإن قلت لم عدى القاصدة به « إلى » ؟

قلت : لأنها لما كانت قاصدة ، تضمنت معنى الإصاء إلى المقصد ، فدأها به « إلى » باعتبار المعنى .

• • •

## الأملة :

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته ، فإنها النجاة غداً ، وللنجاة أبداً ؛ رهب فأبلغ ، ورغب فأسبح ، ووصف لكم الدنيا وأعطاعها ، وزوالها وأنتقالها ؛ فأعرضوا عما يستجيبكم فيها إلهة ما يستجيبكم منها . أقرب دأر من سخط الله ، وأبعد ما من رضوان الله .

تَفُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ عُيُوتَهَا وَأَشْفَايَهَا ، لِمَا أُيَقِّنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَتَصَرُّفِ  
حَالَاتِهَا ؛ فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّقِيقِ النَّاصِحِ ، وَالْمُحَدِّثِ الْكَادِحِ .

وَأَعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْفُرُوقِ قَبْلَكُمْ ؛ قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ ،  
وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَأَخْطَعَ سُورُهُمْ وَنَسِيَهُمْ ،  
فَبَدَّلُوا اقْرَبِ الْأَوْلَادِ قَدَّهَا ، وَبِصُحْنَةِ الْأَرْوَاحِ مُفَارَقَتَهَا ، لَا يَتَفَاخَرُونَ  
وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَتَعَاوَرُونَ .

فَاحْذَرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - حَذَرَ الْعَالِيَةِ لِنَفْسِهِ ، الْمَانِعَةِ لِشَهْوَتِهِ ، النَّاطِرَةِ بِمَقْلِهِ ؛ فَإِنْ  
الْأَمْرَ وَاصْبِحْ ، وَالْعِلْمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدِّدٌ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ .



### الْبَيْتُخُ :

المنجاة : مصدر نجا ينتجو نجاة ومنجاة . والنجاة : الناقة يُنَجَّى عليها ؛ فاستعارها هاهنا  
للطاعة والتقوى ، كأنها كالمطية المركوبة يحلص بها الإنسان من الهلكة .

قوله : « رَهَبٌ فَأَبْلَغُ » ؛ الضمير يرجع إلى الله سبحانه ؛ أى خوف المكلفين فأبلغ  
في التخويف ، ورغبهم فأتى الترغيب وأسنه .

ثم أمر بالإمراض عما يسر ويروى من أمر الدنيا ؛ لفظة ما يصعب الناس  
من ذلك .

ثم قال : إنها أقرب دار من سخط الله ، وهذا نحو قول النبي صلى الله عليه وآله : « حب  
الله نيارأس كل خطيئة » .



قوله : « فَنُضَوِّعْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُرُوبَهَا » ، أى كَفَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمُ النِّمَّ لِأَجْلِهَا وَالِاشْتِمَالِ بِهَا ، يقال : قَضَضْتُ فَلَانًا عَنْ كَذَا أَيْ كَفَفْتُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَغْضَضْنَا مِنْ صَوْتِكَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

قوله : « فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّقِيقِ النَّاصِحِ » ، أى فَاحْذَرُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ كَمَا يَحْذَرُ الشَّقِيقُ النَّاصِحُ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَكَأَيُّ مَحْذَرٍ الْمَجْدُ الْكَادِحُ ؛ أَيْ السَّامِيُّ مِنْ حَبِيبَةِ سَمْعِيهِ .

وَالْأَوْصَالُ : الْأَعْضَاءُ ، وَالْمُحَاوَرَةُ : الْمُخَاطَبَةُ وَالْمُنَاجَاةُ ، وَرَوَى : « وَلَا يَتَعَاوَرُونَ » بِالْحَمِيمِ .

وَالْتَمَّ : مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْمُنَازَعَةِ .

وَمَطَرِيقٌ جَدَّدٌ ، أَيْ سَهْلٌ وَاضِعٌ . وَالسَّبِيلُ قَصْدٌ ، أَيْ مُسْتَقِيمٌ .

(١٦٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه ، وقد سأله : كيف دفعكم قومكم  
عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال عليه السلام :

يا أخا بني أسد ! إنك تفتق الوحيين ؛ تُزِيلُ في غير مدد ؛ ولكَ بعد ذِمَّة  
المهرِ وَحقُّ المسألة ؛ وقد استمكنت فاعلم .

أما الاستدعاء عنيما بهذا الكلام ، ونحن الأعْلُونَ نسباً ، والأشدُّون بالرُّسُولِ  
صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنها كانت أثرية شاعت عندهم خصوص قوم ، وسخت عنها  
مفوس آخرين ؛ والحكمُ الله ، والعمود<sup>(١)</sup> إليه يوم القيامة .

ودع عنك نهماً صريحاً وحجراً<sup>(٢)</sup> ؛ ولكن حديثاً ما حديث الرُّواحلِ  
وهلمَّ انقلب في ابن أبي سفيان ، فقد أضحكك الدهرُ نَدَّ إنكائه ؛ ولا غور  
والله ؛ فإله خطباً يستفزعُ المحب ، ويكثرُ الأودا

حاول القومُ إطفاء نورِ الله من مصباحه ، وسدَّ قواريره من بدويعه ؛ وجدَّحوا  
بذي وتيهم شيرتاً وبيتاً ، فإن ترتفع عما وعينهم يحنُّ النوى ، أحلمهم من الحق  
على تحويه ، وإن تسكن الأخرى ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم  
بما يصنعون<sup>(٣)</sup>

(١) العمود ، يكون الجب ووج الواد ؛ كد سطح في الماء . وفي النهاية لاس الأثير : حكما .  
العمود ، على الأصل ؛ وهو « يعمل » ، من عاد بعود ، ومن حق أمثاله أن تعاد وادوه ألقا ، كالقلم  
والدراج ، ولكنه استعمله على الأصل .

(٢) سورة فاطر ٨ .

## الشرح :

الوضين : بطلان القتب<sup>(١)</sup> ، وحزام السرج ؛ ويقال للرجل المضطرب في أموره :  
إنه لقلق الوضين ؛ وذلك أن الوضين إذا قلق ، اضطرب القتب أو الهودج ، أو السرج  
ومن عليه .

ويرسل في غير سد ، أى يعكلم في غير قصد وفي غير صواب ، والسدد والاستداد :  
الاستقامة والصواب ، والسديد : الذى يصيب السدد ، وكذلك اللبد . واستد الشيء ،  
أى استقام .

وذمامة الصهر ، بالكسر ؛ أى حرمة ، هو الذمام ، قال ذو الرمة :

نَكُنْ عَوَاجَةً يَحْزِيكِهَا اللَّهُ هِنْدُهُ      بِهَا الْأَجْرُ أَوْ تُقْضَى ذِمَامَةُ صَاحِبِ<sup>(٢)</sup>

ويروى : « مائة الصهر » أى حرمة ووسيلة ، مت إليه بكذا ، وإنما قال  
عليه السلام له : « ذلك بعد ذمامة الصهر » لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله  
صلى الله عليه وآله كانت أَسَدِيَّةً ؛ وهى زينب بنت جحش من رباب بن عبد بن صبرة  
ابن مرة بن كثير بن غنم بن حودان بن أسد بن خزاعة . وأما أمية بنت عبد المطلب بن هاشم  
ابن عبد مناف ، فهى بنت عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمصاهرة المشار إليها ، هى هذه .

ولم يفهم القطب الراوى ذلك ، فقال فى الشرح : « كان أمير المؤمنين عليه السلام  
قد تزوج فى بنى أسد » ولم يصيب ، لأن عليا عليه السلام لم يتزوج فى بنى أسد البتة .  
ومن نذكر أولاده : أمّا الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، فأمهم  
فاطمة بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٣)</sup> . وأما عمدة غامه خولة بنت إياس<sup>(٤)</sup>  
ابن جعفر ، من بنى حنيفة ، وأمّا أبو بكر وعبد الله ، فأمهما لولى بنت مسعود التمشلية ،

(١) البطلان : حزام القتب ؛ وهو الذى يحبل تحت بطن الدابة ، والقتب : رجل صغير على قد السام .

(٢) ديوانه ٥٤ .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « ويذكر أنه كان لها من ابن آخر يسمى محمداً ، تولى صغيراً » .

(٤) فى نسب قريش : « خولة بنت جعفر بن قيس » .

من نعيم وأما عمر ورقية فأمهما سبيبة من بني تغلب ، يقال لها : الصهباء ، سُبيبت في خلافة أبي بكر وإمارة خالد بن الوليد بعين التمر . وأما يحيى وعون فأمهما أمعاء بنت عُمَيْس الخثعمية<sup>(١)</sup> . وأما جعفر والعباس وعبد الله وعبد الرحمن<sup>(٢)</sup> فأمهم أم البنين بنت حزام ابن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كلاب . وأما رمة وأم الحسن فأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ، وأما أم كلثوم المصرية وزينب المصرية وجُحانة وهيمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلفة وأم أبيها<sup>(٣)</sup> وأمامة بنت علي عليه السلام فهن لأمهات أولاد شقي ؛ فهؤلاء أولاده ، وليس فيهم أحد من أسديّة ، ولا بأنفا أنه تزوج في بني أسد ، ولم يولد له ، وانسكن الراوندي يقول ما يحيطر له ولا يحقق .

وأما حق المسألة ، فلأن السائل على المسئول حقاً حيث أهله لأن يستفيد منه . والاستبداد بالشيء : التفرد به . والنوط : الالتصاق . وكانت أثرّة ، أي استتاراً بالأمر واستبداداً به ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله **لِلْأَنْصَلِ** : « ستلقون بعدى أثرّة » . وشعّت : بجلت . وسحّت : جاءت ؛ وبمعنى **بِالْأَنْفُسِ** التي سحّت نفسه ، وبالنفس التي شعّت ؛ أما على قولنا فإنه بمعنى نفوس أهل الشورى بعد مقتل عمر ، وأما على قول الإمامية ، فنفس أهل السقيفة . وليس في الخبر ما يقتضي صرف ذلك إليهم ، فالأولى أن يحتمل على ما ظهر عنه من تأله من عبد الرحمن بن عوف وميله إلى عثمان . ثم قال : إن الحكم هو الله ، وإن الوقت الذي يعود الناس كلهم إليه هو يوم القيامة . وروى : « يوم » بالنصب على أنه ظرف والمامل فيه « الممّود » ، على أن يكون مصدرًا .

وأما البيت فهو لامرئ القيس بن حنظل الكندي ، وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يستشهد إلا بصدره فقط وأنه الرواة .

(١) في إحدى روايات الطبري أنه أعقب منها يحيى وعبد الأمر .

(٢) في الطبري ونسب قرش : « وعبد » .

(٣) كذا في الأصول ، ولم تذكر في المصري ، وراد : « أم ماني » ورملة المصرية .

### [ حديث عن امرئ القيس ]

وكان من قصة هذا الشعر أن امرأ القيس ، لما تنقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه ، نزل على رجل من جذيلة طي ، يقال له طريف<sup>(١)</sup> بن مل ، فأجاره وأكرمه ، وأحسن إليه ، فدحه وأقام عنده . ثم إنه لم يوليه نصيباً في الجليلين : أجاً وسكس ، فخاف ألا يكون له ممة ، فتحول ونزل على خالد بن سدوس بن أصمغ النعماني ، فأغارت بنو جذيلة على امرئ القيس وهو في حواري خالد بن سدوس ، فذهبوا بإله ، وكان الذي أعار عليه منهم ناعث بن حوص ، فلما أتى امرأ القيس الخبر ، ذكر ذلك لخاره ، فقال له : أعطى وأهلك ألقى عابها القوم ، فأردت صيبك إياك ، ففعل . فركب خالد في إثر القوم حتى أدركهم ، فقال : يا بني جذيلة ، أنخرتم على إبل حاري ! فقالوا : ما هو لك بحار ، قال : بلى والله وهذه ريوأله ، قالوا : كذلك ! قال : نعم ، فرجعوا إليه فأزلوه عنهن ، وذهبوا بهن والإبل . وقيل : نزل الطوي خالد على الإبل فذهب بها ، فقال امرؤ القيس :

دَعَّ عَيْكَ سَهْباً صَبِيحاً فِي حَقَرٍ	ولكن حديثاً ما حديث الزواجل <sup>(٢)</sup>
كَأَنَّ دِنَاراً حَاقَتْ بِبُيُوتِهِ	عقاب تنووني لأعقاب العواجل <sup>(٣)</sup>
تَلَمَّتْ مَاءً بِدَيْفٍ حَالِدٍ	وأودى ديناراً في الخطوب الأوائل <sup>(٤)</sup>
وَأَمْسَى مَشَى الْخُرْقَةَ حَالِدٍ	كشي أتان خلت بالمساهر
أَتَا أَحَا أَنْ تُسَلِّمَ الْعَامَ حَارَةً	فمن شاء فليهم لها من مقيل
تَبَيْتَ لَوِي بِالْقُرْبَةِ أُمَّا	وأمرحها عما بأ كدف حائل

(١) في الديوان ١٢٢ . طريف بن مالك .

(٢) الشعر والحار في الديوان ٩٤ - ٩٦ . والحجرات : الزواجل .

(٣) القوم : التي لها ألبان

(٤) مائة : رجل من طي ؟ وهو ممن أعار عليه .

بنو ثعل جيرانها وُحَّانَهَا وَتَمَّعُ مِنْ رُمَاقٍ مَعْدِرٍ وَنَائِلٍ  
تَلَايْتُ أَوْلَادَ الْوُعُولِ رِبَاعُهَا دُورَيْنَ السَّمَاءِ فِي رُءُوسِ الْحَادِلِ  
مَكَلَّةٌ حَرَاءُ ذَاتَ أَيْسَرَةٍ لَهَا حُبْكٌ كَأَنَّهَا مِنْ وَصَائِلِ

دِثَارٍ : اسم رابع كان لامرئ القيس . وتَنَوَّفَ والقَوَاعِلُ جبال . والحَزَقَةُ : القصير  
الضخم البطن ، والآبُونَ : لأبل دوات لألبان . والقُرْبَةُ : موضع معروف بين الجسكين . وحائل  
اسم موضع أيضا . وسعد ونائل حيان من طي . والرَّبَاعُ : جمع رُبْع ، وهو ما يتبع في الربيع .  
والجَادِلُ : القصور . ومَكَلَّةٌ ، يرحم إلى الحادل مَكَلَّةٌ بالصعر . والأسْرَةُ : الطريق وكذلك  
الحُكُّ . والوصائل : جمع وَصِيلَةٍ ، وهو ثوب أَمْرٌ <sup>(١)</sup> القُرْلُ ، فيه خطوط . والشَّهْبُ : العنينة ،  
والجمع الشَّهَابُ ، والانتهاج مصدر انتهت المال ، إذا أُنْحَتَ بأحذه من شاء ، والشَّهْيُ : اسم  
ما أمهت . وحَجَرَاتِهِ : بواحيه ، الواحدة حَجْرَةٌ ، مثل حَرَاتٍ وحَمْرَةٍ . وصيحه في حَجَرَاتِهِ  
صباح العارة والرواحل : جمع راحلة ، وهي <sup>(٢)</sup> لافقة التي لصاح أن تَرَحَّلَ ، أي يَشْدُو رَحْلًا  
على ظهرها ، ويقال للبعير . راحلة <sup>(٣)</sup> والتعجب « حَدِيثًا » بإظهار فعل ، أي هات حديثًا  
أو حَدِيثِي حَدِيثًا وروى : « ولكن حديث » ، أي ولكن مرادى أو عرصى حديث  
لحذف المبتدأ ، وما هاهنا ، يحتمل أن تكون إبهامية : وهي التي إذا اقترنت باسم مكرة  
رادته إبهامًا وشياعًا ، كقولك : أعطيت كتابًا ما ، تريد أي كتاب كان ، ويحتمل أن تكون  
صلة مؤكدة كالتي في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَقْصِبُمْ وَيَبْقِيَهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
فأما « حديث » الثاني فقد ينصب وقد يرفع ، فن نصب أبدله من « حديث » الأول ،  
ومن رفع جاز أن يجعل « ما » موصولة بمعنى « لذي » ، وصلتها الجملة ، أي الذي هو  
حديث الرواحل ، ثم حذف صدر الجملة كما حذف في ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ <sup>(٥)</sup>  
ويجوز أن تجعل « ما » استفهامية بمعنى « أي »

(١) المرأة : لون يصبغ إلى الحمرة .

(٢) سورة النساء ١٥٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٥٤ .

ثم قال : « وهلم الخطب » ، هذا بقوى رواية من روى عنه أنه عليه السلام لم يستشهد إلا بصدر البيت ، كأنه قال : دع عنك ماضى وهلم مانحن الآن فيه من أمر معاوية ، فجعل ، « هلم » مانحن فيه من أمر معاوية قائما مقام قول امرئ القيس .

• ولكن حديثا واحدا •

وهلم ، افط يستعمل لازما ومتعديا ، فاللزم معنى « تعال » ، قال الخليل : أصله « لم » من قولهم : لم الله شئت « أى جمعه ، كأنه أراد « لم نفسك إلينا » أى اجتمعوا واقرب منا ، وجاءت « ها » للتنبيه قهرا ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة ؛ يستوى فيها الواحد والاثنا والجمع والمؤنث والمذكر فاختار أهل المجاز ، قال سيبويه : « وألقائين لإخوانهم غلبت إلينا » <sup>(١)</sup> ، وأهل نجد يصرّونها فيقولون للثنين : « هلتا » وللجمع : « هلتوا » <sup>(٢)</sup> . وقد يوصل إذا كان لارما باللام ، فيقال : هلم لك ، وهلم لكما ، كما قالوا : هيت لك ، وإذا قيل لك : هلم إلى كذا أى تعال إليه ، قلت : لا أهلم مفتوحة الألف والهاء ، مصومة الهمزة ، فأما المندمية فهي بمعنى « هات » ، تقول : هلم كذا وكذا ، قال الله تعالى : « هلم شهداءكم » <sup>(٣)</sup> ، وتقول لمن قال لك ذلك : لا أهله ، أى لا أعطيك ، يأتى بالهاء ضمير المفعول ليميز من الأولى .

يقول عليه السلام : ولكن هات ذكر الخطب ، فحذف المضاف . والخطب : الحادث الجليل ؛ يعنى الأحوال التى أدت إلى إن صار معاوية منازعا فى الرئاسة ، قائما عند كثير من الناس مقامه ، صالحا لأن يقع فى مقابلته ، وأن يكون ندا له .

ثم قال : « فلقد أضعفك الدهر بعد إنكائه » ، يشير إلى ما كان عنده من السكابة لتقدم من سلف عليه ؛ فلم يقع الدهر بـ « بذاك » ، حتى جعل معاوية نظيرا له ؛ فضعفك عليه

(١) سورة الأحزاب ١٨ .

(٢) سورة الأمام ١٥٠ .

السلام بما تحكم به الأوقات ، ويقتضيه تصرف الدهر وتقلبه ؛ وذلك ضحك تمجيد واعتبار .

ثم قال : « ولا غرور والله » ، أى ولا عجب والله .

ثم فسر ذلك فقال : ياله خطبا يستفرغ العجب ! أى يستنفذه ويغنيه ، يقول : قد صار المعجب لا عجب لأن هذا الخطب استفرق التعجب ؛ فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب ؛ وهذا من باب الإعراق واللباقة في اللبالة ، كما قال أبو الطيب :

أتيت على أسنى الذى دلتهى من حله فيه على خفاء<sup>(١)</sup>  
وشكيتي فقد للقام لأنه قد كان لما كان لي أخصاء

وقال ابن هاني الغربي :

قد سرت في الميدان يوم طرادهم [ فجب ] حتى كدت ألا أغيبها<sup>(٢)</sup>  
والأود : الموج .

ثم ذكر تماثؤ قريش عليه ، فقال : حارل القوم إطفاء نور الله من مصباحه ، يعنى ما تقدم من منازعة طلحة والزبير وأصحابهما له ، وما شفع ذلك من معاوية وعمر و شيعتهما . وهو ار الهنبوع : قصب البئر .

قوله : « وجدحوا بيني وبينهم شرابا<sup>(٣)</sup> » ، أى خلطوه ومرجوه وأفسدوه .  
والوى : ذو الوباء والمرض ؛ وهذا استعارة كأنه جعل الحال التي كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم ، وجعلوها مظنة الوباء والسقم ، كما شرب الذى يخلط بالسّم أو بالصبر فيفسد ويرى .

(١) ديوانه ١ : ١٤٤ .

(٢) ديوانه ٨١ ( طبعة المطبع ) .

(٣) الشرب : النصيب من الماء .



ثم قال : فإن كشف الله تعالى هذه الحنّ التي يحصل منها ابتلاء الصابرين والمجاهدين ، وحصل لى التمكن من الأمر ، حملهم على الحقّ المحض الذى لا يمارجه باطل ، كاللبن المحض الذى لا يخالطه شيء من الماء ، وإن تكّن الأحرى ، أى وإن لم يكشف الله تعالى هذه الفتنة وميت أو قتلت - والأمور على ما هي عليه من الفتنة ودولة الصلال - فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ والآية من القرآن العزيز <sup>(١)</sup> .

وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوىّ غيب البصرة ، وقت قرائتى عليه ، عن هذا الكلام ، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل ، ومات له : مَنْ يعنى عليه السلام بقوله : « كانت أثرة شجعت عليها نفوس قوم ، وسجّت عنها نفوس آخرين ؟ » ومن القوم الذين عدم الأسدىّ بقوله : « كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ » هل المراد يوم القيامة أو يوم الشورى ؟ فقال : يوم القيامة ، فقلت إن نفسى لا تسامحنى أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع الدس . فقال : وأنا فلا تسامحنى أيضاً نفسى أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله إلى بهال أمر الإمامة ، وأن يترك الناس قومى سدىّ مملين ، وقد كان لا يبيت عن المدسة إلا ويؤثر عليها أميراً وهو حىّ ليس بالجيد عنها ، فكيف لا يؤثر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث ؟

ثم قال : ليس يشكّ أحد من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كاملاً العقل ، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ؛ وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة فيعمون أنه حكيم تامّ الحكمة ، شديد الرأى ، أقام ملة ، وشرع شريعة ، واستحدث ملكاً عظيماً بعقله وتدييره ؛ وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وعرائزم وطلبيهاً بالنارات والدحول ؛ ولو بعد الأزمان المتطاولة . وبقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر ،

فلا يزل أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطهون الله تل لهقتلوه ؛ حتى يدركوا ثأرهم منه ؛ فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه ، وأهل ، ومن يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رحمة الأديب ، والإسلام لم يُحِلْ طلبهم ، ولا غدرهده السحبة المركوزة في أخلاقهم ، والفرائض بحلف ، فكيف بتوهم ليبب أن هذا العاقل الكامل وتر العرب ، وعلى الخصوص قرشاً ، وساعة على سلك الدماء وإرهاق الأنفس وتقد للصمائن ابن عمه الأدي وصهره ، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ، ويتركه بعده وعنده الله ، وله منها ابشان بحرمان عنده تخرى الدين من طمعه خلوا عليهم ، ومحنة لهم ، ويعدل عنه في الأمر بعده ، ولا ينص عليه ولا يستدلفه ، فيحقق دمه ودم بنيته وأهله . استدلفه الأيظم هذا العاقل الكامل ؛ أنه إذا تركه وترك بنه وأهله سوقاً ورعيه ؛ فقد عرض دماءهم الإراثة بعده ؛ بل يكون هو عليه السلام هو الذي قتله ، وأشاط<sup>(١)</sup> دماءهم ، لأنهم لا يتصمون بدمهم بغير مجرمهم ؛ وإنما يكونون مصفة للآكل ، وفريسة للمفترس ، يتحفظهم الناس ، وتسلع فيهم الأغراض ؛ أما إذا جمل الساطل فيهم ، والأسر إليهم ؛ فبأنه يكون قد عصمهم وحقق دماءهم بالرياسة التي يصلون بها ، ويرتدع الناس عنهم لأجلها . ومثل هذا ما يوم بالتحريفة . ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من الملاد لو قتل الناس ووترهم ، وأبق في موسمهم الأحقاد العظيمة عليه ، ثم أهل أسر ولده وذريته من بعده ، وفشح فئس أن يقيموا مديناً من عرضهم ، وواحداً منهم ، وجمل بديه سوقاً كمحض العامة ، لسكان سوه بعده قليلاً غاؤهم ، سريعاً هلاكهم ، ولؤشب عالمهم الناس دوو الأحقاد والتراث من كل حبة ، بقتلهم وبشردونهم كل مشرد . ولو أنه عيّن ولدًا من أولاده لذلك ، وقام حواصه وخدمه وحوله بأمره بعده ، خلقت دماء أهل

(١) أشاط دماءهم : أهدرها أو عمل على هلاكها .

بيته ، ولم نطل يد أحد من الناس إليهم لنأموس لآلئك ، وأبهة السلطنة ، وقوة الرياسة ،  
وحرمة الإمارة !

أفتري ذهب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى ؛ أم أحب أن يستأصل  
أهله وفريقته من بعده ! وابن موصع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة  
إلى قلبه !

أقول : إنه أحب أن يحملها كواحدة من هناء المدينة ، تكشف الناس ، وأن يجعل  
عليها ، المكرم المعظم عنده ، الذي كانت حاله معه معلومة ، كأبي هريرة الدؤيبى وأنس  
ابن مالك الأنصارى ، يحكم الأمراء فى دمه وعرضه ونفسه وولده ، فلا يستطيع الامتناع ،  
وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول ؛ تنطلق أكاد أصحابها عليه ، ويوذنون أن يشربوا دمه  
بأنفوسهم ، وبأكلوا لحمه بألسنتهم ؛ قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم ، والعهد  
لم يطل ، والمقروح لم تنقرف<sup>(١)</sup> ، والجروح لم تندمل !

قلت له : لقد أحسنت فيما قلت ، إلا أن لفظه عليه السلام يدل على أنه لم يكن  
مصر عليه ، ألا تراه يقول : « وعن الأعلون سباً ، والأشدون بالرسول نوطاً » ، فجعل  
الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ؛ فلو كان عليه نص ، لقال يوحى ذلك : « وأما النصوص  
على ، المخطوب باسمي » .

فقال رحمه الله : إنما أتاه من حيث يعلم ، لامن حيث يحفل ؛ ألا ترى أنه سأل ،  
فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحق به ؟ فهو إنما سأل عن دفعهم عنه ؛ وهم  
أحق به من جهة اللحمة والعنزة ؛ ولم يكن الأسدى بتصور النص ولا يعتقد ، ولا يحظر  
ببالة ، لأنه لو كان هذا فى نفسه ، لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام ، وقد نص عليك  
رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ولم يقل له هذا ، وإنما قال كلاماً لئلا يبنى هاشم كافة :

(١) تنقرف الجرح : طلعت فوقه قشرة . أى شرب البيرة .

كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به ألى باعتبار الهاشمية والقرى . فأجابه بجواب  
أعاد قلبه المعنى الذى تعلق به الأسدى بعينه ؛ تمهيدا للجواب ، فقال : إنما فعلوا ذلك مع  
أنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ، ولو قال له :  
أنا المنصوص على ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لمسا كان  
قد أجابه ، لأنه ماسأله : هل أنت منصوب عليك أم لا ؟ ولا هل بمن رسول الله صلى الله عليه  
وآله بالخلافة على أحد أم لا ؟ وإنما قال : لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى  
يهرعه ومعدنه منهم ؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً ، فلو أخذ بصريح له  
بالصريح ، ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لتقرعه ، واتهمه ولم يقبل قوله ، ولم يستدب إلى  
نصديقه ؛ فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس ؛ أن يجيب بما لا نفرة منه ،  
ولا ملحن عليه فيه .

(١٦٤)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْمَبَادِ ، وَسَاطِحِ الْمَهَادِ ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ ، مُخَصِّبِ النُّعَادِ ؛  
لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَرْثِيَّتِهِ انْقِصَاءٌ ؛ هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَكُنْ بَرَكٌ ، وَالذَّاقُ بِلَا أُحَلٍ .  
خَرَّتْ لَهُ الْحَبَاءُ ، وَوَحَّدَتْهُ الشُّعَاءُ . خَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ حَلْفِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَهْبِهَا ،  
لَا تُقَدَّرُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدْوَاتِ ؛ لَا يُقَالُ لَهُ : « مَتَى ؟ »  
وَلَا يُصْرَبُ لَهُ أَمَدٌ ؛ « حَتَّى » ؛ الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ : « مَهْ » ؟ وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ : « مِمَّ » ؟

لَا شَيْعٌ فَيَنْقُصُ ، وَلَا تَحْجُوبٌ فَيُحْدِثُ لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ  
يَبْعُدْ عَنْهَا بِالْفَرَقِ ، وَلَا يَحْسُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُحُوصٌ لُطْفَةٍ ، وَلَا « رُورٌ » لَهْفَةٍ ،  
وَلَا أَرْذَالٌ رَنُوقٍ ، وَلَا انْبِسَاطٌ حُطَاوَةٍ فِي كَبَلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٌ سَاجٍ ، بَتَمِيمًا  
عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُبِيرُ ، وَتَهْقِنُهُ الشَّمْسُ دَاتُ الثَّوْرِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْكَرُورِ ، وَتَقَابِلُ الْأَرْمَنَةِ  
وَالذُّهُورِ ؛ مِنْ إِقْبَالِ كَيْلٍ مُقِيلٍ ، وَإِذْبَارِ سَهَرٍ مُذِيرٍ .

قَبْلَ كُلِّ عَابَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَى عَمَّا يَنْتَعِلُهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ  
صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَسَيَّاتِ الْأَفْطَارِ ، وَتَنَائِلِ الْمَسَاكِينِ ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِينِ . قَالَهُ خَلْقُهُ  
مَصْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ أَرَلِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ أَدَلِيَّةٍ ؛ بَلْ خَلَقَ مَا حَاقَ مَا قَامَ

حَدُّهُ ، وَصَوْرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ .

لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ أَمْتِمَاعٌ ، وَلَا لَهُ بَطْأَةٌ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ ؛ عَلَيْهِ بِالْأَمْوَاتِ لِلْكَافِرِينَ  
كَذِبُهُ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا ، كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

• • •

### الْبَرْخ :

المهاد هنا : هو الأرض ؛ وأصله العراش : وساطعته باسطه ؛ ومنه تسطيع القهور  
خلاف تشبيها ؛ ومنه أيضا المِطْلَع ؛ للدومع لدى يسقط فيه التمر ليخفف .  
والبرهاد : جمع وَهْدَةٍ ؛ وهي المكان المظلم . ومسيلها : مجرى السيل فيها . والبرجاد :  
جمع بَحْد ، وهو ما ارتفع من الأرض [ ونخصها ] موزعها وجاعلها ذوات خصب .

• • •

### [ مباحث كلامية ]

واعلم أنه عليه السلام أورد في هذه الخطة صروباً من علم التوحيد ، وكلها مبنية  
على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : أنه تعالى واجب الوجود لذاته ، وببفرض على هذا الأصل فروع :  
أولها : أنه ليس لأوليته ابتداء ، لأنه لو كان لأوليته ابتداء لكان محدثاً ، ولا شيء  
من المحدث بواجب الوجود ، لأن معنى واجب الوجود ، أن ذاته لا تقبل المدّم ،  
وبسببها لا تجمع بين قولنا : هذه الذات محدثة ، أي كانت معدومة من قبل ، وهي في  
حقيقتها لا تقبل المدّم .

وثانيها : أنه ليس لأزليته انقضاء ، لأنه لو صحَّ عليه العدمُ لكان لعدمه سبب ، فكان وجوه موقوفة على انقضاء سبب عدمه ، وللتوقف على غيره ، يكون ممكن الذات ، فلا يكون واجب الوجود . وقوله عليه السلام : « هو الأول لم يزل » ، والباقي بلا محل . تكرار لذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد ، ويدخل فيه أيضا قوله : « لا يقال له متى ، ولا يضرب له أمد محتمى » ؛ لأن « متى » للزمان وواجب الوجود يرتفع عن الزمان ، و « حتى » للعادة وواجب الوجود لا غاية له . ويدخل أيضا فيه قوله : « قبل كل غاية ومدة ، وكل احصاء وعدة » .

وثالثها : أنه لا يشبه الأشياء البتة ، لأن ما عداه إما جسم أو عرض أو مجرد ، وهو أشبه الجسم أو العرض لكان إما جسما أو عرضا ؛ ضرورة تساوى للتشابهين المتماثلين في حقائقهما . ولو شابه غيره من المجردات لم يمتزج أن كل مجرد غير ممكن - لكان ممكنا ، وليس واجب الوجود ممكنا ، ويدخل في هذا المعنى قوله عليه السلام : « حد الأشياء عند خلقها ، إبانة له من شبيهها » ، أى جعل المخلوقات دوات حدود لتمييزه هو سبحانه عنها ، إذ لا حد له ، فبطل أن يشبه شيء منها . ويدخل فيه قوله عليه السلام : « لا تقدّرهُ الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالخوارج » . والأدوات : جمع أداة وهي ما يعتمد به ، ويدخل فيه قوله : « الظاهر فلا يقال : م » ؟ أى لا يقال : من أى شيء ظهر ، « والباطن فلا يقال : ميم » ، أى لا يقال فيما داطن ؟ ويدخل فيه قوله : « لا شبح فيتممى » والشبح : الشخص ويتقضى بطلب انقضاء . ويدخل فيه قوله : « ولا يحجب فيعوى » وقوله : « لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، ولم يبعد عنها بافتراق » ؛ لأن هذه الأمور كلها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها . ويدخل فيه قوله عليه السلام : « تعالى عما يتحدّه المحدودون من صفات الأقدار » ؛ أى عما ينسب إليه المشبهة والمجتمعة من صفات التقادير ، وذوات المقادير .

ونهايات الأقطار ، أى الجوانب ، وتائل للساكن ، مجد مؤئل ، أى أصيل ، ويبت مؤئل ، أى معمر ؛ وكان أصل الكلمة أن تبنى الدار بالأئل ، وهو شجر معروف . وتمكن الأماكن : ثبوتها واستقرارها . وقوله : « فالحذ خلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب » ، وقوله : « ولله بطاعة شيء انخفاض » ، لأنه إنما ينضع الجسم الذى يصح عليه الشهوة والنفرة ؛ كل هذا داخل تحت هذا الوجه .



الأصل الثانى : أنه تعالى عالم لذاته ، فيعلم كل معلوم ، ويدخل تحت هذا الأصل قوله عليه السلام : « لا تخفى عليه من عباده شئ من لحظة » ؛ أن نكن العين فلا تتحرك . ولا « كرور لفظة » ، أى رجوعها « ولا ازدلاف ربوة » ، صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض ، وهى الموضع المرتفع « ولا انبساط خطوة » فى ليل داج « أى مظلم . « ولا عسق ساج » ، أى ساكن .

ثم قال : « يفتياً عليه القمر للير » ، هذا من صفات العسق ، ومن تمة نعتة : ومعنى : « يفتياً عليه » يفتلب ذاهباً وجائها فى حاتئ أخذنى الضوء إلى التبذر ، وأخذنى النفس إلى الحاق .

وقوله : « وتمقبه » ، أى وتمقبه ، لحذف إحدى التاءين ، كما قال سبعمه : « للدين تتوفاهم الملائكة »<sup>(١)</sup> ؛ أى « تتوفاهم » ، والماء فى « وتمقبه » ترجع إلى القمر ، أى وتسير الشمس عقبه فى كروره . وأقوله ، أى غيبوته ، وفى تقيب الأزمنة والدهور ، من إقبال ليل وإدبار نهار .



فإن قلت : إذا كانت قوله : « ينبغي عليه القمر المنير » في موضع حرّ ، لأنه صفة « غسق » ، فكيف تعقب الشمس القمر مع وجود الغسق ؟ وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق ؟

قلت : لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق ؛ بل قد يصدق تعقبها له ويكون الغسق معدوماً ، كأنه عليه السلام قال : « لا ينبغي على الله حركة في سهار ولا ليل ، ينبغي عليه القمر ، وتعقبه الشمس » ، أي تظهر عقيبها ، فيزول الغسق بظهورها .

وهذا التفسير الذي فسره به يقتضي أن يكون حرف الجر وهو « و » التي في قوله : « في الكرور » متعلقاً بمعدوف ، ويكون موصفاً لصباح على الحال ، أي وبقائه كالأحرار وآفلا . ويدخل تحته أيضاً قوله عليه السلام : « علمه بالأموات الماصين ، كعلمه بالأحياء الماتين ، وعلمه بما في السموات العللى ، كعلمه بما في الأرضين السفلى » .

• • •

الأصل الثالث : أنه تعالى قادر لذاته ، فكان قادراً على كل الممكنات ، ويدخل تحته قوله : « لم يحلق الأشياء من أصول أرضية ، ولا من أوائل أبدية ، بل خلق ما خلق وأقام حده ، وصوّره ما صوّره أحسن صورته » ، والردف هذا على أصحاب المبدؤى والطائفة التي يزعمون قدمها . ويدخل تحته قوله : « ليس لشيء امتناع » ، لأنه متى أراد إيجاد شيء ، أوجده ، ويدخل تحته قوله : « حرّت له عباءة » ، أي سجدت . و « وحدته اشياءه » ، أي الأفواه ، فمهر بالجرء عن الكل مجازاً ؛ وذلك لأنّ القادر لذاته هو المستحقّ للمعبودية بخلافه أصول النعم . كالحياة والقدرة والشهوة

• • •

واعلم أن هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه طاعة

واستحق به التقدم والفصل عليهم أجمعين ؛ وذلك لأن الخاصة التي يتميز بها الإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى أنه يشارك غيره من الحيوانات في الغنصية والدموية والقوة والقدرة، والحركة السكائنة على سبيل الإرادة والاختيار، فليس الامتياز إلا بالقوة اللطيفة، أي العاطفة المائلة ؛ فكلما كان الإنسان أكثر حظاً منها، كانت إنسانيته أتم؛ ومعلوم أن هذا الرجل اغرد بهذا الفن، وهو أشرف العلوم، لأن معلومته أشرف المعلومات، ولم يُنقل عن أحدي من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت أذهابهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو<sup>(١)</sup> منفرد فيه، وغيره من الفنون سوى العلوم الشرعية... مشارك لهم، وراجع<sup>(٢)</sup> عليهم ؛ فكان أكل منهم، لأننا قد بينا أن الأهم أدخل في صورة الإنسانية ؛ وهذا هو معنى الأفضلية .



الأصل :

منها :

أَيُّهَا الْخَلْقُ السَّوِيُّ ، وَالنَّشَأُ لِلرَّيْءِ ؛ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَمُصَاعَفَاتِ الْأَشْرَارِ .  
بُدِثَتْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، وَوُضِعَتْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ؛ إِلَى قَدَرٍ مَقْلُوبٍ ، وَأَحَالٍ  
مَقْسُومٍ ؛ تَوَرَّى فِي ظِلِّ أُمِّكَ جَنِينًا لَا يُخِيرُ دُعَاءُ ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءُ . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ  
مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ؛ وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَسَافِعِهَا ؛ فَتَنَ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْإِدَاءِ مِنْ  
قَدَى أُمِّكَ ، وَحَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِزَادَتِكَ ؛  
هَبَّاتٍ إِنَّ مَنْ يَمُجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْبَةِ وَالْأَدَوَاتِ ؛ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَائِفِهِ  
أَعْبَزُ ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِمُحْذَرِ الْخُلُوقِ أَبَدُ .



(١) ساقطة من ب

(٢) ١ ، ٢ ، ٣ : ٤ وأرجع ٥ ، ٦ وأما البقية من ج ، د ، هـ .

(٧١) ص ١٠٠

## الإنزج

التوى : المتوى الخلفة غير نافس ، قال سبحانه : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ <sup>(١)</sup> .  
 والنشأ ، مفعول من « أشأ » أى خُيِّق وأوجِد . والمرعى : المحوط المحفوظ .  
 وظلمات الأرحام ، ومضاعفات الأستار : مستقر الشطاف ، والرحم موضوعة فيما بين  
 الشاة والممى المستقيم ؛ وهى مربوطة برباط على هيئة السلسلة ، وجسمها عصى ؛ ليمكن  
 امتدادها واتساعها وقت الحاجة إلى ذلك عند الولادة ، وتنضم وتنقص إذا استغنى عن  
 ذلك ؛ ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد ، وزائدتان يسميان قريبي الرحم ؛ وخلف هاتين  
 الزائدتين بيصتا المرأة ؛ وهما أصغر من بيصتي الرجل ، وأشد تعرجاً ، ومنها ينصب مئ  
 المرأة إلى تجويف الرحم ؛ والرحم رقيقة منبهة إلى فرج المرأة ، وتلك الرقيقة من المرأة  
 بمنزلة الذكرك من الرجل ؛ فإذا انترج مئ الرجل عنى المرأة تجويف الرحم كان العلوق ،  
 ثم ينمى ويريد من دم الطئ ، ويتصل بالحدين عروق مائى إلى الرحم فتدوء ، حتى يتم  
 ويكمل ، فإذا تم لم يكثف بما تحته من تلك العروق فيتحرك حركات قوية ، طلباً لمداء ،  
 فهذه تلك أرسطة الرحم التى قننا إنها على هيئة السلسلة ؛ وتكون منها الولادة .

قوله : « بدئت من سلة من طين » ، أى كان ابتداء خلقك من سلة ؛ وهى  
 خلاصة الطين ، لأنها سلت من بين الكدر ، و « مالة » بناء للقة ، كالقلامة والقمامة .  
 وقال الحسن : هى ما بين ظهراى الطين .

ثم قال : « ووضعت فى قرار مكين » ، الكلام الأول لآدم الذى هو أصل البشر ،  
 والثانى لذريته ، والقرار المكين : الرحم متمكنة فى موضعها برباطها ، لأنها لو كانت متحركة  
 لتعذر العلوق .

ثم قال : « إلى قدر معلوم ، وأجل مقسوم » ، إلى : متممة بمحذوف ، كأنه قال : « منهيًا إلى قدر معلوم » ، أي مقداراً طوله وشكله إلى أجل مقسوم مدته حياته .

ثم قال : « تموري بطن أمك » ، أي تنعرك . لا تحبر ، أي لا ترجع جواباً ، أحر بغير .

إلى دار لم تشهدها ؛ يعني الدنيا ؛ ويقال : أشبه شيء بحال الانتقال من الدنيا إلى الأحوال التي بعد الموت ؛ انتقال الجنين من طلبة الرحم إلى فضاء الدنيا ؛ فلو كان الجنين بمقل وبصور كان بظن أنه لا دار له إلا الدار التي هو فيها ، ولا يشمر بما وراءها ، ولا يحسن نفسه إلا وقد حصل في دار لم يعرفها ، ولا يحطربها ، فبقي هو كالحائر للبهوت ؛ وهكذا حالنا في الدنيا إذا شاهدنا ما بعد الموت .

ولقد أحسن ابن الرومي في حصة حطوب الدنيا وصروفها بقوله :

لياً تؤدِّنُ للدُّنيا به من صُروفها      يكونُ بكاءُ الطُّفْلِ ساعةً بولداً<sup>(١)</sup>  
وإلا فما يُبكيه منها وإياها      لأوسع مما كان فيه وأزهداً  
إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه      مما سوف يلقى من أذاها يهددُ

قال : « فمن هذاك إلى اجترار العذاب من نذري أمك ؟ » ، اجترار : امتصاص الابن من الثدي ؛ وذلك بالإلهام الإلهي .

قال : « وعرفتك عند الحاجة » ، أي أمك بموضع الحلمة عند طلبك الرضاع فالتفتها بفمك .

ثم قال : « هيات » ، أى بُد أن يحيط علما بالخالق من هجز عن معرفة المخلوق !

قال الشاعر :

رَأَيْتُ الْوَرَى بَدَّهُونَ الْهَدَى	وَكَمْ يَدَّيْ الْحَقِّ خَلَقَ كَثِيرَ
وما في الجواهر امرؤٌ عَسَدُهُ	من العلم بالحق إلا اليسيرُ
خَفِيَ فَمَا نَالَهُ فَظَرُ	وما إن أشار إليه مشرُ
ولا شيء أظهرُ من ذاته	وكيف يرى الشمسُ أعمى ضريرُ !

(١٦٥)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لعثمان بن عفان : قالوا : لما اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وشكوا إليه ما مضوه على عثمان ، وسألوه محاطة واستعتابه لهم ، فدخل عليه السلام على عثمان ، فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَأَيْي وَقَدْ اسْتَفْرُؤِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَهْرَفُ شَيْئًا تَحْمِلُهُ ، وَلَا أَذُكُّ عَلَى أَمْرٍ لَا تَرْفَعُهُ !

إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ ؛ مَا سَبَّحْنَاكَ إِلَى قَوْلِهِ فَنُغَيِّرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُكَلِّمُكَ ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَتَسَمَّيْتَ كَمَا تَسْمَعُ ، وَصَحَّيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَحَّيْنَا . وَمَا أَبْنَى أَبِي قُحَافَةٍ وَلَا أَبْنَى الْخَطَّابِ بِأُولَى بِمَثَلِ الظُّلْمِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَيْعَةِ رَحِمٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا ؛ فَالْقَدْ أَفْهَى اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ، فَمِنْكَ وَاللَّهِ مَا تُبْصِرُ مِنْ حَقِّي ، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلِي ؛ وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاصِحَةً ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الَّذِينَ لَقَائِمَةٌ .

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ؛ هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَطْلُومَةٍ ، وَأَمَاتَ بِذَعَةٍ مَجْهُولَةٍ ؛ وَإِنَّ الشَّيْءَ لَتَبْرَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْيَدَّ لَتَظَاهِيرَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ؛ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ صَلَّ وَصَلَّ بِهِ ؛ فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ ، وَأَحْيَا بِذَعَةٍ مَتْرُوكَةٍ ؛ وَإِنِّي تَسَمَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَوْلٍ : بُوَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ؛ ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَمَرِهَا .

وَأِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِلْقَوْلِ ! فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَنْدِسُ أُمُورُهَا عَذِيهَا ، وَيَبْثُ الْفِتَنَ فِيهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ أَمْلَقَ مِنَ الْبَاطِلِ ؛ يَمْوجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَمْزُجُونَ فِيهَا مَرَجًا . فَلَا تَكُونَنَّ إِمْرَأَاتِ سَهْقَةٍ بِسُوقِكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جُلَالِ السَّنِّ ، وَتَقْصِي الْعُرَى .

فقال له عثمان رضي الله عنه :

كَلِمَ النَّاسِ فِي أَنْ يُؤْجَلُوا ، حَتَّى أُخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَغَالِيهِمْ .

فقال عليه السلام :

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَحَدٍ فِيهِ ، وَمَا كَانَ قَاجِلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

\*\*\*

الْبَزْخُ :

نَقِمْتُ عَلَى زَيْدٍ ، بِالْمَنْعِ ، أَنْ يَمَّ قَانَا بِنَا ، إِذَا عَدَّتْ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْكِسَائِيُّ : نَقِمْتُ بِالْكَسْرِ أَيْضًا ، أَنْ يَمَّ لَمَةً ؛ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ نَحْيٌ . لِأَزْمَةٍ وَمُتَعَدِّيَّةٌ ، قَالُوا : نَقِمْتُ الْأَمْرَ أَيْ كَرِهْتُهُ .

وَاسْتَعْتَبْتُ فُلَانًا ؛ طَلَبْتُ مِنْهُ الْعُقْبَى وَهِيَ الرِّصَا ، وَاسْتَعْتَبْتُهُمْ عُمَانٌ ؛ طَلَبْتُهُمْ مِنْهُ مَا يَرْضِيهِمْ بِهِ .

وَاسْتَسْمَرُوا : حَمَلُوا سَعِيرًا وَوَسِيطًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ وَأَقْسَمُ عَلَى ذَلِكَ . إِنَّهُ لَا يَدْرِي مَاذَا يَقُولُ لَهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَمْرًا يَجْهَلُهُ ، أَيْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ خَاصَّةً . وَهَذَا حَقٌّ ، لِأَنَّهُ عَلِيمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْهَا مَا يَجْهَلُهُ

عثمان ، بل كان أحداث الصبيان فضلاً عن العقلاء المميزين ، يعلمون وجهي الصوت  
واخطأ فيها .

ثم شرع معه في مثلك اللاطعة والقول الثمين ، فقال : ماسبقنا إلى الصحبة ، ولا  
انفردنا بالرّسول دونك ، وأنت مثلاً ونحن مثلك .

ثم خرج إلى ذكر الشيخين ، فقال قولاً معناه أنّهما إماماً حبراً منك ، فإنك مخصوص  
دونهما بقرب النسب ، بمعنى للنافية بالصبر ؛ وهذا كلام هو موضع المثل : « يُسِيرُ حَسَواً  
في ارتقاء » ، ومراده تفصيل ضمه عليه السلام عليهما ، لأنّ العلة التي باعتبارها فصل  
عثمان عليهما محققة فيه وريادة ؛ لأنّ له مع للنافية الهاشمية ، وهو أقرب .

والوشحة : عروق الشجرة . ثم حذرّه جانب الله تعالى وبته على أن الطريق واضحة ،  
وأعلام الهدى قائمة ، وأن الإمام العادل أفضل الناس عند الله ، وأن الإمام الجائر شر الناس  
عند الله .

ثم روى له الخبر المذكور ، وروى : « ثم يرتبك في قصرها » ، أي ينشب .  
وحوّفه أن يكون الإمام المقتول الذي يفتح العين بقتله ؛ وقد كان رسول الله صلى  
الله عليه وآله قال كلاماً هو هذا ، أو يشبه هذا .

ومرّج الدين ، أي فسد . والسّيقة : ما استقره المدوّ من الدواب ، مثل الوسيقة ،  
قال الشاعر :

فأنا أبا إلا مثلُ سَيْقَةٍ لَمِيدَةٍ    إن استقدّمتْ نحرّوين جَبَّاتٍ عَفْرٍ (١)  
والجلال ، بالصم : الخليل ، كالطوال والطويل ؛ أي سد السِّنّ الجليل ؛ أي  
العمر الطويل .

(١) اللسان ١٢ : ٣٣ من غير نسخة .



وفوه: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه؛ وما غلب فاجله وصول أمرك إليه»، كلام شريف فصيح، لأن الحاضر أى معنى لتأجيله أو لغائب فلا حذر بعد وصول الأمر في تأخيره؛ لأن السلطان لا يؤخر أمره.

وقد ذكرنا من الأحداث التي نعت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية، وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في «التاريخ الكبير»<sup>(١)</sup> هذا الكلام، فقال: إن قرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تكانبوا، فكتب بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، وإن الجهاد بالمدينة لا يروم؛ واستطال الناس على عثمان، ونالوا منه؛ وذلك في سنة أربع وثلاثين؛ ولم يكن أحد من الصعابة يذنب عنه ولا ينهى؛ إلا نفر، منهم ريد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت؛ فاجتمع الناس، فكلّموا على بن أبي طالب عليه السلام، وسألوه أن يكلم عثمان، فدخل عليه، وقال له إن الناس... وروى السيكلام إلى آخره بالعاطفة، فقال عثمان: وقد علمت أنك تقول<sup>(٢)</sup> ما قلت! أما والله لو كنت مكاني ما عفتك، ولا عشت عليك<sup>(٣)</sup>. ولم أت مسكراً، إنما وصلت رجلاً، وسددت حلة، وآويت ضائعاً، ووليت خبيثاً بمن كان عمر بوليه؛ أشدك الله يا علي، ألا تعلم<sup>(٤)</sup> أن للميرة بن شعبة ليس هناك! قال: بلى، قال: أفلا تعلم أن عمر ولده! قال: بلى، قال: فلم تلومني أن وليت عامر في رحمه وفراجه! فقال على عليه السلام: إن عمر كان يظأ على صاحب من بوليه، ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة، وأنت فلا تفعل؛ ضفت ورقفت على أقرائك.

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٧ ، وما بعدها .

(٢-٣) الطبري : « قد والله علمت ليقول القى قلت » .

(٣) الطبري : « ما عفتك ولا أسفك » .

(٤) الطبري : « هل تعلم » .

[ قال عثمان : هم أقرأؤك أيضاً ، قال علي : لعمري إن رجعهم منى قريية ؛ ولكن الفضل في غيرهم ] <sup>(١)</sup> .

فقال عثمان : أفلا تعلم أن عمر ولي معاوية ا فقد وليته . قال علي : أشدك الله ألا تعلم أن معاوية كان أحرف لعمري من يرفأ غلامه له ؛ قال : بلى ، قال : فإن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس : هذا بأسر عثمان ، وأنت تعلم ذلك فلا تميز عليه !

ثم قام علي ، فخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر ، فخطب الناس ، وقال : أما بعد ؛ فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاقبة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعامة هذه الأمة عيائون طعائون برؤوسكم ما نخشون ، وبسرؤن عكم ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ؛ أمثل الطعام ينبع أول باعق ، أحب مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلا نضفاً ، ولا يردون إلا هكراً . أما والله لقد عظم علي ما أفردتم لابن الخطاب بمنه ؛ ولكنه وطنكم برحله ، وصربكم بيد من ربه وقبضكم بلسانه ؛ قد تم له على ما أحببتم وكرهتم ولينت لكم ، وأوطأتكم كتيبي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي . أما والله لأنا أقرب ناصراً ، وأعز قرأ ؛ وأكثر عدداً ؛ وأحرى إن قلت : علم أن يحجب صوتي . ولقد أعددت لكم أقرأماً ؛ وكشرت لكم من مابي ؛ وأخرجتم منى حلقاً لم أكن أحسنه ؛ ومنطقاً لم أكن أبلغ به . فكفوا عي استنكم وطعنكم وصيبكم قلى ولا نكم ؛ فواللهي تعقدون من حقكم ؛ والله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلي [ يبلغ ] <sup>(٢)</sup> ؛ وما وجدنكم تحتفون عليه ؛ فإياكم !

فقام مروان بن الحكم ، فقال : وإن شئتم حكمتنا بيننا وبينكم السيف .

فقال عثمان : اسكت لا سكت ؛ دعني وأصحابي ، ما منطقتك في هذا ؛ ألم أنتقدم <sup>(٣)</sup> إليك ألا تنطق ؛

فسكت مروان ، ونزل عثمان .

(٢) تقدم إليه : أمره .

(٣) من الطاري .

(١٦٦)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقه الطاوس :

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانَ وَتَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ، وَأَقَامَ مِنْ  
شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا أَقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ،  
وَمُسَلِّمَةً لَهُ ، وَآمَنَتْ فِي أَتْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ  
الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوفَ بِحَارِهَا ، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا ؛ مِنْ دَابَّاتٍ  
أَحْيَا بِهَا مُخْتَلِفَةً ؛ وَهَيْئَاتٍ مُتَنَادِيَةً بِمَصْرِفِهِ فِي زِمَامِ الْفَتْخِيرِ ، وَمُرُفَرَفَةٍ بِأَجْنِحَتَيْهَا فِي  
مَحَارِقِ أَلْوَانِ الْمَنَسِّجِ . وَالْفَصْلُ الْمُبْتَدِئُ .

كَوْنُهَا أَمَّا إِذَا لَمْ تَكُنْ ، فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَتِهِ ، وَرَكَّتْهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ  
مُخْتَصِبَتِهِ ، وَمَنْعَ تَمَعُهَا بِمِثَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَشُمُوهُ فِي الْمَوَاتِ حُقُوفًا ؛ وَجَمَلُهُ بِدِفْءٍ دَقِيقًا ؛  
وَسَقَمُهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ بِدَقِيقِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ صُنْعَتِهِ ؛ فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي  
قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَائِيسٍ فِيهِ ، وَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوقَ  
بِخِلَافٍ مَائِيسٍ بِهِ .

\*\*\*

الْبَيْزُ :

الموات ، بالفتح : ما لا حياة فيه وأرض موات ، أى قفر ، والساكن ها هنا كالأرض  
والجبال . وذو الحركات : كالنار والاء الحارم والحیوان .

ونفقت في اسماعنا دلائله ، أى صاحت دلائله ؛ نظورها كالأصوات للسموعة التي نعلم بقياسها .

وأحاديد الأرض . شقوقها ، جمع أحذود . ومخاحها : جمع فحج ؛ وهو الطريق بين الجبلين . ورواسي أعلامها : أنفال جبالها

مصرفة في رمام التفسير ، أى هي مسخرة تحت القدرة الإلهية .

وحقائق المفاصل جمع حق ؛ وهو جمع المفصلين من الأعضاء كالركبة ؛ وحماها محتعبة لأنها مستورة بالجلد واللبم .

وعبالة الحيوان : كثافة حده . والحفوف : سرعة الحركة . والنفيف للطائر : طيرانه فوق الأرض ؛ يقال : غتاب دقوف قال امرؤ القيس يصف فرسه ويشتمها بالمقاب :

كأني بفتحاء المحابين لقسموي دقوف من المقبان طأطأت شملالي<sup>(١)</sup>

وسبقها : رتبها . والأصابع : جمع أصبع ، وأصابع جمع صبع

والشموس الأول : هو ذو اللون الواحد كالأسود والأحمر . والشموس الثاني : ذو اللونين ، نحو أن يكون أحمر وعنقه خضراء .

وروى : « قد طورق لون » أى لون على لون ، كما تقول : طارقت بين الثوبين . فإن قلت : ماهده الطيور التي يسكن بعضها الأحاديد وبعضها الفجاج ، وبعضها رعوس الجبال ؟

قلت : أما الأول فكالقطا والصدا<sup>(٢)</sup> ، والثاني كالتبج<sup>(٣)</sup> والطيهوج<sup>(٤)</sup> ، والثالث كالصقر والمقاب .

\*\*\*

(١) ديوانه ٢٨ . الصحاء : الية المحابين . والقنوة : السريعة من المقبان . وطأطأت : دابت ونحست . والشملال : الخبيطة السريعة

(٢) الصدا : ذكر البوم .

(٣) التبج ، واحد التبجة ؛ وهي أترى المحل .

(٤) الطيهوج . طائر شبيه بالمحل الصغير ، غير أن عنقه أحمر ومنقاره ورجلاه حمراء .

## الأنثى :

وَمِنْ أَغْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائِسُ ؛ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْسَنِ تَعْدِيلٍ ، وَنَصَدَّ أَلْوَانَهُ فِي  
أَحْسَنِ تَنْصِيدٍ ، مَحْتَاكِ أَشْرَجِ قَصَبِهِ ، وَذَنَبِ أَطَالِ مَسْحَبِهِ ؛ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى  
نَشْرَهُ مِنْ طَلَبِهِ ، وَهَمَّ بِمُطْلَاقِ رَأْسِهِ ؛ كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِي عَنَقِهِ نُوتِيَّةٌ . يَخْتَالُ  
بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِرَبَاعِيهِ . يُفِيضُ كِهْمَاءَ الدُّبُكَةِ ، وَبُورُ بِمَلَاقِعِهِ أَرَا الْعُحُولِ  
الْمُتَلِمَةِ الْعَرَابِ . أَحْبَبْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَتِهِ ، لَا كُنْتُ بِحِيلٍ عَلَى ضَعْفِ إِسْنَادِهِ .  
وَلَوْ كَانَ كَرَّهٍ مَنْ بَزَّغُمْ أَنَّهُ يُبْلَغُ بِدَمْعَةٍ تَسْمَعُهَا مَذَائِمُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَقٍ جُغُونِهِ ،  
وَأَنْ أُنْشَاءَ نَطْعُهُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ تَبِيسُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سَوَى الدَّمْعِ الْمُنْحَسِرِ ؛ لَمَّا كَانَ  
ذَلِكَ بِأَغْجَبٍ مِنْ مُطَاعَةِ الْعَرَابِ !



## الشرح :

الطاويس : طيور ، كالحماضوم ، والكائوس ، وترخمه : طويس ؛ ونصد : رتب .  
قوله : « أشرج قصبه » ، القصب : هنا : عروق الجناح . وعصاريفه : عظامه الصغار ،  
وأشرجها : رتب بمصها في بعض كاشرج العيبة ، أي بداخل بين أشراجها وهي عراها  
واحدتها ؛ شرج ، بالتعريك .

ثم ذكر ذنب الطائوس ، وأنه طويل المسحب ، وأن الطائوس إذا درج إلى الأنثى  
للسعاد نشر ذنبه من طلبه ، وعلا به مرتفعا على رأسه . والقلع : شراع السفينة ، وجمعه  
قلاع . والداري : جالب المطر في البحر من دارين ؛ وهي فرصة بالبحرين ، فيها  
سوق يحمل إليها للسك من الهند ، وفي الحديث : « المجلس الصالح كالداري » ، إن لم يحدك  
من عطره حلقك من ريحه » (١) . قال الشاعر :

(١) نهاية ابن الأثير ١ : ٢١١ . لم يحدك : لم يطقك .

إذا التاجر الذي جاء بفأري من السك راحت في مفارقهم تجرى  
والثوئي : اللاح ؛ وحده نواتي

وعتقه : عطفه ، وعنتجت خطام البعير ، رددته على رجله ، أعنتجه بالضم ، والاسم  
المعج ؛ بالتعريف ؛ وفي التل « عود بعلم المعج »<sup>(١)</sup> بضرب مثلا لتعليم الحاذق .

ويحتال ، من الخيلاء وهي العصب . ويمبس : يتبعثر .  
وزيفانه : تبخره ، زاف يزيف ، ومنه ناقة زبافة ، أي مختالة ، قال عنترة :

• زبافة مثل العنق الكدم<sup>(٢)</sup> •

وكذلك ذكر الحمام عند الحمامة إذا جرت له ناتي ، ودفع مقدمته بؤخره واستدار عليها .  
ويغضى : يسفد ، والله يسفد جمع دبك ، فالقرطة والحفرة جمع قرط وجطر .  
ويؤز : يسفد ؛ والأز : الجماع ؛ ودرجل أز كثير الجماع ، ومتلاصحه : أدوات القلاح  
وأعضاؤه ؛ وهي آلات التناسل .

قوله : « أر الفعول » ، أي أرا مثل أر الفعول ذات العلة والشبق .

ثم ذكر أنه لم يقل ذلك من إسناد قد يستف ويبداهه الطمن ، بل قال ذلك عن  
عيان ومشاهدة .

(١) العود : البحر السن ، وانظر بمع الأمثال ٦ : ١٢ .

(٢) من الملقبة - بفتح التبريزي ، وصدره :

• ينياع من ذفرى عسوب جسرة •

ينياع : ينسل من باع يبيع ؛ إذا صرنا لبنا . وقدران : الميدان الناطق بين الأفق ومنتهى القمر .  
والجسرة : الفحصة . والزبافة : السرعة . والعنق : القمل ، والكدم ، من الكدم وهو الض .  
( من شرح التبريزي ) .

فإن قلت : من أين للمدينة طواويس ؟ وأين العرب وهذا الطائر حتى يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « أحبك من ذلك على معاينة » ؛ لا سيما وهو يعني السفاد ، ورؤية ذلك لمن تكثر الطواويس في داره ويطول مكثها عنده نادرة !

قلت : لم يشاهد أمير المؤمنين عليه السلام الطواويس بالمدينة بل بالسكوفة ، وكانت يومئذ تجبى إليها ثمرات كل شيء ، وتأتي إليها هدايا الملوك من الآفاق ، ورؤية المسافدة مع وجود الله كالأشياء غير مستبعدة .



واعلم أن قوما زعموا أن الله كبر تدمع عينه ، فتفتت الدمة بين أجنافه ، فتأتى الأنثى فتطمسها فتلفح من تلك الدمة ، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يجعل ذلك ، ولكنه قال : ليس بأعجب من مطامحة الغراب ، والغراب يزعم أن الغراب لا يسفد ؛ ومن أمثالهم : « أحق من سيفاد الغراب » ؛ فيزعمون أن القحاح من مطامحة الله كبر والأشياء منها ، وانتقال جزء من الماء الذي في قاصته إليها من منقاره . وأما الحكماء قتل أن يصدقوا بذلك ؛ على أنهم قد قالوا في كثرتهم ما يقرب من هذا ، قلوا في السمك البيضاء : إن سفاده حفي جدا ، وإنه لم يظهر ظهورا مبتدأ به ويحكم بسبه .

هذا لفظ ابن سينا في كتاب " الشفاء " ، ثم قال : والباق يقولون : إن الإناث تأخذ زرع القور في أفواهها إلى بطونها ، ثم قال : وقد شوهدت الإناث منها تنبع القور مبتلعة للزرع ، وأما عند الولادة فإن القور تنبع الإناث مبتلعة بيصها .

قال ابن سينا : والقبيجة نحبها ريح نهب من ماحية الحجل الذكر ؛ ومن مباح صوته . قال : والدوع المسمى مالاخيا ، تتلاصق بأفواهها ، ثم تتشابك ، فذاك سيفادها ؛ وسمعت

أَنَّ الْعَرَابَ يَسْفِدُ وَأَنَّهُ قَدْ شُوهِدَ سِفَادُهُ ؛ وَيَقُولُ النَّاسُ : إِنَّ مَنْ شَاهَدَ سِفَادَ الْعَرَابِ  
يُتْرَى وَلَا يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ كَثِيرُ الْمَالِ مُوسِرٌ .

وَالصَّفْقَانِ ، مَفْتَحُ الصَّادِ : الْجَانِبَانِ ، وَهِيَ صَفْقَتَا النَّهْرِ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ بِالْكَسْرِ أَيْضًا ،  
وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ .

وَالْمَنْبَعُ : الْمَنْفَعُ وَيُسْفَعُهَا : يَصْبَاهُ ، وَرَوَى : « تَنْشَعُهَا مَدَامَعُهُ » ؛ مِنَ النَّشِيجِ ، وَهُوَ  
صَوْتُ الْمَاءِ وَغَلِيَانُهُ مِنْ زَيْقٍ أَوْ حُبٍّ أَوْ قِدْرِ .

### الأصل

نَحَالُ قَصَّةَ مَذَارِيٍّ مِنْ فِصَّةٍ ، وَمَا أُثْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ تَحْيٍ دَارَاتِهِ وَتُخْمُومِهِ حَائِصِ  
الْعِيقَانِ وَوَيْلَدِ الرُّبُوحِ . فَإِنْ شَبَّهَتْهُ بِمَا أُثْبِتَتْ الْأَرْضُ قُلْتُ : حَيٌّ حَيٌّ مِنْ زَهْرَةٍ  
كُلِّ رَيْعٍ ، وَإِنْ ضَاهَيْتُهُ بِالتَّلَاحِلِ فَهُوَ كَمَوْنِيٍّ الْخَلَلِ ، أَوْ كَمَوْنِيٍّ حَصْبِ التَّمَنِ .  
وَإِنْ شَاكَتَهُ بِالْحَلِيِّ فَهُوَ كَمُصْرٍ دَانِ الْوَانِ قَدْ نَطَقَتْ بِاللَّجَيْنِ الْمُسْكَالِ .  
يَمْشِي مَشَى لِّلرَّيحِ الْمُحْتَالِ ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَاهَهُ ؛ فَيَقِفُهُ ضَاكِعًا لِّجَمَالِ مِرْبَاهٍ ،  
وَأَصَابِيغٍ وَشَاحِهِ ؛ فَيَدَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوَلًا ، صَوْتٍ بِكَادٍ يُبِينُ عَنِ  
أَسْتَفَائِهِ ، وَبَشْهَدٍ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ تُخَشُّ كَقَوَائِمِ الدَّهْكَةِ الْخِلَائِيَّةِ .



### البنج :

قَصَبُهُ : عِظَامُ أَجْنَعَتِهِ ، وَلِلْمَذَارِيِّ جَمْعُ مِذْرَى ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْقَرْنُ ؛ قَالَ الدَّائِمَةُ  
يَصِفُ الثَّوْرَ وَالسَّكْلَابَ :

شَكَّ الْعَرَبِيَّةَ بِالْمِذْرَى فَأَخَذَهَا شَكًّا لِلْبَيْطْرِ إِذْ يَشُقُّ مِنَ الْعَصَدِ <sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٢٠ . شك : أخذ . العربية : بضمة في مرجع الكيف إلى الحاصرة . وللبطر : الدمار  
والضد . ماء يأخذ في الضد .



وكذلك المِذْرَأة ؛ ويقال المِذْرَى لشيء كالسِّبْطِ تصليحُ بها الماشطة شعور النساء ؛ قال الشاعر :

نَهَيْكَ الْمِذْرَأةَ فِي أَصْغَانِهِ وَإِذَا مَا أَرْسَلَتْهُ يَنْتَهَرُ<sup>(١)</sup>

ونعذرت المرأة ، أى سَرَحَتْ شعرَها . شبه نظام أجنحة الطاووس بمدارَى من فضة ليأمنها ؛ وشبه ما أنبت الله عليها من تلك الدارات والشموس التى فى الرِّيش بحالِصِ العِثْيَانِ ؛ وهو الذهب .

وَقِيلَ الزُّبْرُ جَدٌ : جمع فِلْدَةٍ ، وهى القطعة والزُّبْرُ جَدٌ : هذا الجوهر الذى نُسِّبُهُ الناس الباطش .

ثم قال : إن شئتَ بنات الأرض قلت . إنه قد حُيِّىَ من دهرة كل ربيع فى الأرض ، لاختلاف ألوانه وأصباغه . وإن ضاحيته بالملاس ، الضاحية : الشاكلة ، يُهْر ولا يُهْر ، وقرئ :  
(بُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا)<sup>(٢)</sup> ، (وَبُضَاهُونَ)<sup>(٣)</sup> ؛ وهذا صهي هذا ، على « قَيْل » ، أى شبيهه .

ومَوْشَى الخَلَل : ما دُبِجَ بالونى ؛ وهو الأرقم اللون . والمَصْب : رُود اليمن . والخَلَل : جمع خَلَى ؛ وهو ما تابسه المرأة من الذهب والفضة ، مثل ثُدَى وثُدَى ، ووزنه « فَمُول » ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء ، مثل « عِمَى » . وقرئ : (مِنْ حُلِيِّمِ)<sup>(٤)</sup> بالضم والكسر .

وَنَطَقَتْ بِالْقَبِيحِ ؛ جعلت القصة كالنطاق لها . والكَتَل : ذو الإكليل .

(١) الدان ١٨ : ٢٨٠ (من غير نسخة) .

(٢) سورة التوبة ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٨ .

وَزَقًا : صَوْتٌ ، يَزُقُّ زَقًّا وَزَقًا ، وَكُلُّ صَانِعٍ زَاقٍ . وَالزَّقِيَّةُ : الصَّهْبَةُ ؛ وَهُوَ أَثْقَلُ مِنَ الزَّوَانِي ؛ أَيْ الدَّبِيكَةِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُرُونَ ؛ فَإِذَا صَاحَتِ الدَّبِيكَةُ تَفَرَّقُوا .

وَمُعْوِلًا : صَارِخًا ، أَهْوَلَتِ الْفَرَسَ صَوْنَتٌ ، وَمِنْهُ التَّوْبِلُ وَالْمَوَّةُ .  
وَقَوَائِمُهُ نَحْشٌ : دِفَاقٌ ؛ وَهُوَ أَحْسَنُ السَّاقِينَ وَخَشَنُ السَّاقِينَ بِالنَّسَكِينَ ؛ وَقَدْ حِشَّتْ قَوَائِمُهُ ، أَيْ دَكَّتْ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِلْعَلَامِ إِذَا كَانَتْ أُمُّهُ بَيْضَاءَ وَأَبُوهُ عَرِييَا : آدَمَ ، لِحَاثِ لَوْنِهِ بَيْنَ ثَوْنَيْهِمَا .

خِلَاسِيَّ : بِالْكَسْرِ وَالْأَنفِ خِلَاسِيَّةٌ وَقَالَ الْبَيْتُ : الدَّبِيكَةُ خِلَاسِيَّةٌ ، هِيَ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ الدَّجَاجِ الْهِنْدِيِّ وَالْعَارِسِيِّ .

يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ الطَّائِوسَ يَزُفُ مَنُفَهُ ؛ وَجَنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِي أَعْطَافِهِ ، وَرَأَى الْوَانَةَ الْخُفْلَةَ ؛ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى سَاقِيهِ وَجَمَّ لَدَيْكَ وَالْكَسْرُ نِكَاطُهُ وَزَهْوُهُ ، فَصَاحَ صِيَاحَ التَّوْبِلِ لِحَزَنِهِ ؛ وَذَلِكَ لِذِقَّةِ سَاقِيهِ وَتَوُّوهُ عُرْقُوبِيَّةً .

• • •

### الأصل :

وَقَدْ تَجَمَّعَتْ مِنْ غُلُوبٍ سَاقِيهِ صِبْغِيَّةٌ خَمِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْمَرْفِ قُرْعَةٌ خَضِرَاءُ مُوشَاةٌ ، وَتَخْرُجُ عَنْهُ كَالْإِبْرَةِ ، وَتَمُزُّهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَسْمَةِ الْبَلْبَانِيَّةِ ، أَوْ كَعَرِيْرَةٍ مُنَابِتَةٍ مِرْآةِ ذَاتِ صِفَالٍ ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِغْصَرِ أُسْجَمٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُحْمَلُ لِكثَرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْفِهِ ، أَنَّ الْخَضِرَةَ الْمَاضِرَةَ تُمَزِّجُهُ بِهِ ، وَمَعَ فَتْنِي تَمِيحِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَفْعُوَانِ ، أَبْيَضُ بَقِيٍّ ؛ فَهُوَ بَيْضَاضُهُ فِي سَوَادِ

مَا هُنَاكَ يَا نَتِيقُ ، وَقَلَّ صِنْعُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِيسَطٍ ؛ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِّيقِهِ ،  
وَبَصِيصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْقِهِ ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ اللَّبْنُونَةِ ، لَمْ تُرَبِّهَا أَنْطَارُ رَبِيعٍ ،  
وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ .

• • •

### التَّسْنِجُ :

تَجَمَّتْ : ظهرت . والطَّبُوب : حَرَفُ السَّاقِ ؛ وهو هذا العظم الياس .  
وَالصَّبِيصَةُ فِي الْأَصْلِ : شَوْكَةُ الْحَائِكِ الَّتِي يَسُوِي بِهَا السَّدَاةَ وَالْأَعْمَةَ ،  
وَمِنْهُ قَوْلُهُ <sup>(١)</sup> :

• كَوْنُفَرِ الصَّبَا مِ فِي التَّسْنِجِ الْمَدْدُ •

وَنَقَلَ إِلَى صِبْعِيَّةِ الدِّبَكِ خَلَّتْ الْمِثْلَةُ الَّتِي فِي رِجْلِهِ .  
وَالْمَرْفُفُ : الشَّعْرُ الْمُرْتَفِعُ مِنْ عُنُقِهِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَالْقَنْزُوعَةُ ، وَاحِدَةُ الْقَنْزَارِ ؛ وَهِيَ الشَّعْرُ  
حَوْلَ الرَّأْسِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « غَطَّى عَنَّا قَنْزَارُكَ يَا أَمَّ أَيْمَن » <sup>(٢)</sup> .  
وَمَوْشَاةٌ : ذَاتُ وَشَى .

وَالْوِجْمَةُ ، بِكَسْرِ الْوِجْنِ : الْعِظِيمُ الَّذِي يُخَضَّبُ بِهِ ؛ وَيَحْمُوزُ تَسْكِينُ السَّيْنِ .  
وَالْأَسْمُ : الْأَسْوَدُ ، وَالْمُتَلَفَعُ : الْمُتَعَفِّفُ ، وَيُرْوَى : « مُتَقَنِّعٌ بِمُجْتَرٍ » ؛ وَهُوَ مَا تَشْدُوهُ  
الْمَرَاةُ عَلَى رَأْسِهَا كَالرُّدَاةِ .

وَالْأَقْعَوَانُ : الْبَابُوحُ الْأَبْيَضُ ؛ وَجَمْعُهُ أَقْحَاحٌ .

(١) لأبيد بن الصمة ، وصدره :

• فَجَنَّتْ إِبْنَهُ وَالرَّيْمَاحُ قَنُوشُهُ •

مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ فِي دِيْوَانِ الْحَاسَةِ ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٩ بِشَرْحِ التَّوْبَرُزِيِّ .

(٢) النِّهَايَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٣ : ٢٧٩ ؛ وَاصْبَحَ مَاكَ : « أَنَّهُ قَالَ لِأُمِّ سَلَمَ : خَصِّلِي قَنْزَارُكَ » .

وأبيض يَبْقُ : خالص البياض ، وحاء : « يَبْقُ » بالكسر . وبألق : يلعب .  
والبصيص : البريق ، وبعث الشيء : لَمَعَ .  
وتربها الأمطار : ترببها وتجمعها .

يقول عليه السلام : كَانَ هذا الطائرَ ملتجئاً ملتجئاً سوداء ، إلا أنها لكثرة رؤيتها  
بجوفهم أنه قد امتزج بها حضرة ناضرة ، وقل أن يكون لون إلا وقد أخذ هذا الطائر منه  
بنصيب ، فهو كراهير الربيع ، إلا أن الأرهاط ترببها الأمطار والشموس ؛ وهذا يستمن  
من ذلك .

• • •

### الأصل :

وَقَدْ يَنْتَحِيرُ مِنْ رِيَشِهِ ، وَتَمْرِي لِيْنِ لَهَا حَيْثُ قَيْسَقُ تَنْزِي ؛ وَبَنِيَتْ نَبَاً ؛  
فِيَنْتَحَتْ مِنْ قَصَبِهِ أَعْمَاتَ أَوْزَاقِ الْأَعْمَانِ ، ثُمَّ بَطَلَتْ حَقُّ نَامِيَا حَتَّى يَمُودَ كَهَيْئَتِهِ قَلْبُ  
سُوطِهِ . لَا يَحَالِفُ سَائِبَ الْوَاوِي ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَسْكَائِهِ ؛ وَإِذَا تَصَفَّحَتْ  
شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ ، أَرْتَكَ خُضْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَنَارَةً حُضْرَةً وَرَبْرَجْدِيَّةً ، وَأَخْيَا  
صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً ؛ فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَانِ الْفِطَانِ ، أَوْ تَمْلُكُهُ قَوَائِمُ  
الْقَوْلِ ، أَوْ تَسْتَقْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِيينَ ؛ وَقُلْ أَجْرَانِي قَدْ أَعْجَرَ الْأَوْهَامَ أَنْ  
تُذَرِّكُهُ ؛ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ !

فَسُبْحَانَ الَّذِي هَرَّ الْقَوْلَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَاءَ لِلْمُيُونِ ؛ فَأَذَرَكْنَاهُ مَخْدُوداً  
مُكْوَناً ، وَمُؤَلَّفاً مَوْلُوداً ، وَأَعَجَرَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْجِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ  
تَأْدِيَةِ تَعْنِيهِ !

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الدَّرَّةِ وَانْتَهَجَهُ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْفِيلَةِ !

وَوَإِى عَلَى قَلْبِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَيْعٌ يَمَّا أُولَاجَ فِيهِ الرُّوحُ ؛ إِلَّا وَجَمَلُ الْحَيَامِ مَوْجِدَهُ ،  
وَالْفَنَاءُ غَابَتُ .

• • •

## الهنج :

يحصر من ريشه : ينكشف فيسقط ، ويروى : « يحصر » .

تتري ، أى شيئاً بعد شيء وبينهما فترة ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا  
تَتْرَى ﴾<sup>(١)</sup> ؛ لأنه لم يرسلهم على تراسل ، بل بعد فترات ؛ وهذا مما يلاحظ فيه قوم ،  
فيستفدون أن « تتري » للمواصلة والاتصاف . وأصلها الواو من « الوتر » وهو الفرد وفيها  
لعتان ، فتون ولا فتون ، فمن ترك حرفة المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث ، ومن نوتها  
جعل ألفها للإلحاق .

قال عليه السلام : « وينبت تهاها » أى لافتات بينهما ، وكذلك حال الريش  
الساقط ، يسقط شيئاً بعد شيء ، وينبت جميعاً .

وينبت : ينساقط ، وانمحات الورق : تنافرها . وناميا : زائلاً . يقول عليه السلام :  
إذا عاد ريشه عاد مكان كل ريشة ريشة ملونة بلون الريشة الأولى ، فلا يتخالف الأوائل  
والأواخر .

والخضرة الزبرجدية : منسوبة إلى الزمرّد<sup>(٢)</sup> ، ولغظة « الزبرجد » نارة تستعمل ،  
وتلوة لهذا الحجر الأحمر المسمى « باخش » . والمعجد : الذهب . وعائق الفطن :

(١) سورة المؤمنين ٤٤ .

(٢) و المسان : « الزبرجد والزبرجد » الزمرّد .

للهمدة القعر . والقريحة : الخاطر والذهن وبهر : غلب ، وجلاء : أظهره ؛ ويروى بالتخفيف . وأدمج القوائم : أحكمها ؛ كالحبل المدمج الشديد الفتل .  
والذرة : النملة الصغيرة . والهجمة ، واحدة الهجج ؛ وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه النعم والحمر وأعينها .  
ووأى : وعد ، والوأى : الوعد .

• • •

وأعلم أن الحكماء ذكروا في الطاوس أموراً ، قالوا : إنه يبش خماً وعشرين سنة<sup>(١)</sup> ، وهي أقصى عمره ، ويبيض في السنة الثالثة من عمره عندما يفتش لونه ، ويتم ريشه . ويبيض في السنة سبعة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلاثة أيام ، ويحضنها ثلاثين يوماً ، فيفرخ ويلقى ريشه مع سقوط ورق الشجر ، ويقبض مع ابتداء نبات الورق . والدجاج قد يحضن بيض الطاوس ؛ وإنما يختار الدجاج لحضنته ؛ وإن وجدت الطاوسة ، لأن الطاوس الذكر يمش بالأنثى ، ويشعلها عن الحضنة ، وربما افقص البيض من تحتها ؛ ولهذا العلة يخبأ كثير من الإناث محاضنها عن ذكرائها ، ولانقوى الدجاجة على أكثر من بيض طاروس . وينبغي أن يتمدد الدجاجة حينئذ بقرب العلف منها . وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله في كتاب " الحيوان " : إن الطاوسة قد تبيض من الريح ؛ بأن يكون في سفانة الريح وفوقها طاروس ذكر ، فيعمل ريحه فتبيض منه ، وكذلك القبجة .

قال : ويبض الريح قل أن يفرخ .

• • •

## الأصل :

منها في صفة الجنة :

قُلُوبٌ رَمَتْ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا ؛ لَمَزَتْ نَفْسُكَ هُنَّ بِدَائِعِ  
مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ  
أَصْطِطَافِ أَشْجَارِ عُيُتِ عُرُوفِهَا فِي كُنْهَانِ الْيَسَنِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيْقِ  
كَبَائِسِ اللُّوْلُؤِ الرُّطْبِ فِي حَسَائِمِهَا وَأَنْفَاسِهَا ، وَطُلُوعِ نَلَكِ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ  
أَكْمَامِهَا ، نَحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ قَتَانِي عَلَى مُنْتَبِهٍ مُجْتَنِبِهَا ، وَيَطَافُ عَلَى نَزْلِهَا فِي  
أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَصَالِ الْمُصَنَّفَةِ ، وَالْخُورِ الْمُرَوِّقَةِ .

قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تُتِمِّدُ بِهِمْ حَقِّ حُلُوقِ دَارِ الْفَرَارِ ، وَأَمِنُوا قُلَّةَ الْأَسْفَارِ ؛  
قُلُوبٌ شَقَلَتْ قَلْبَكَ أَبْهًا أَلَمْ تُشْفَعْ بِالْوُضُوءِ إِلَى مَا يَهْتَمُّ قَلْبُكَ مِنْ نَلَكِ الْمَنَاطِرِ الْمُرَوِّقَةِ ؛  
لَرَحِمَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَلَقَعَمَلَتْ مِنْ تَجَلُّسٍ هَذَا إِلَى مُحَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُصُورِ أَسْتِجَالًا  
بِهَا ؛ جَعَلَهَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَمُنُّ بِسْمِ يَقْبَرِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال الرضي رحمه الله تعالى :

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَوْزُ عَمَلَيْهِ » الْأَوْ : كِنَايَةٌ عَنْ التَّكَايَحِ ؛ يُقَالُ :  
أَوْ الرَّجُلُ الْمَرْأَةُ يَوْزُهَا ، إِذَا نَسَّجَهَا .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كَانَهُ قَنَعُ دَارِي عَنَجَهُ نُوتِيَّةٌ » ؛ الْقَنَعُ : شِرَاعُ السَّفِينَةِ .  
وَدَارِي : مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ ؛ وَهِيَ الدَّاءُ عَلَى الْبَحْرِ يُجْتَلَبُ مِنْهَا الطَّيْبُ . وَعَنَجَهُ ، أَيْ  
عَطَفَهُ ؛ يُقَالُ : عَنَجْتُ الدَّافَةَ ، أَعْجَبْتُهَا عَنَجًا إِذَا عَطَفْتُهَا . وَالنُّوتِيَّةُ : الْمَلَأُ .

وقوله عليه السلام : « ضَعَّقْتُ جُنُونَهُ » ، أراد جَانَنِي جُنُونَهُ ، وَالضَّفَّتَانِ :  
الْجَانِبَانِ .

وقوله : « وَفَلَذَ الرَّبُّ رَجْدِي » ، أَلَمَلَدَ : جمع مِلْدَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ .  
وقوله عليه السلام : « كَبَّائِسُ الثَّلَاثِ أَرْطَابٍ » الْكِبَاسَةُ : الْمِدْقُ . وَالْمَسَالِيجُ :  
الْمَعْصُونُ ، وَاحِدَهَا عُشْلُوجٌ .

\*\*\*

### الْمِنْخُ :

وَمِيتَ بِيَصْرِ قَلْبِكَ ، أَيْ أَفَكَّرْتَ وَتَأَمَّلْتَ وَعَزَّفْتَ نَعْمَكَ : كَرِهْتَ وَزَهَدْتَ .  
وَالزُّخَارِفُ : جمع زُخْرَفٍ ؛ وَهُوَ الْقَدْحُ وَكُلُّ مَمُوتَةٍ .  
وَاصْطَفَا فِي الْأَشْجَارِ : انتَظَمَهَا صَفْلًا ، وَيُرْوَى : « فِي اصْطِفَاقِ أَغْصَانِ » أَيْ  
اصْطَرَابِهَا .

وَيَأْتِي عَلَى مُنْيَةٍ مَحْتَبِهَا : لَا يَذْكُرُ مُنْيَةَ أَصْلًا ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ بَلَغَ نَهَايَةَ  
الْأَمَانِ .

وَالْمَسِلُ الْمَصْفَقُ : الْمَصْفَى مَحْوِيلاً مِنْ إِمَاءٍ إِلَى إِمَاءٍ . وَالْمَوْقَةُ : لِلْمَجْبَةِ . وَزَهَقَتْ  
نَفْسُهُ : مَاتَ .

\*\*\*

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَزِيدَ فِي النِّشْوِيقِ إِلَى الْجَمَّةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ؛ فَكُلُّ  
الْمَصِيدِ فِي جَانِبِ الْفَرَا<sup>(١)</sup> .

(١) الْفَرَا : حِمَارُ الْوَحْشِ ؛ وَأَصْلُ الْمَثَلِ : « كُلُّ الْمَصِيدِ فِي حَوَافِ الْفَرَا » ، وَفِي الْقَامُوسِ بِفَتْحِ هَمْزِ لَآءِهِ  
مَثَلٌ ؛ وَالْأَمْتَالُ مَوْصُوعَةٌ عَلَى الْوَقْفِ .



وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك أخبار صحيحة ، فروى أسامة بن زيد ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الجنة فقال : « ألا مشير لها هي ورب الكعبة ريحانة تهتز ، ونور يتلألأ ، ونهر يطارد ، وزوجة لا تموت ؛ مع جود ونعيم ، ومقام الأبد » .

وروى أبو سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله : « إن الله سبحانه لما حوط حائط الجنة ؛ لبننة من ذهب ولبننة من فضة ، وغرس غرسها ، قال لها : تسكمني ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقال : طوبى لك منزل لئلك ! »

وروى جابر بن عبد الله عنه عليه الصلاة والسلام : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال لهم ربهم تعالى : آمحبون أن أزيدكم ؟ فيقولون : وهل خير مما أعطيتنا ؟ فيقول : نعم ، رضوانى أكبر » .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن أحدهم ليمطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب » ، فيقول له : فهل يكون منهم حدث أو قل خبث ؟ قال : « عرق يفيض من أعراضهم كريح المسك بضرب منه البطن » .

وروى الزمخشري في " ربيع الأبرار " — ومذهبه في الاعتزال وبصرة أصحابنا معلوم ؛ وكذلك في انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم — أن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، قال : « لما أسرى بي ، أخذني جبرئيل ، فأمسكنى على درنوك من درانيك الجنة ، ثم ناوانى سفرجلة ، فبينما أنا أقلبها انقلقت ، فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها ، فسكنت ، فقلت : من أنتِ ، قالت : أنا الراضية للراضية ، خلقتي الجبار من ثلاثة أصناف : أعلى من عذير ،

وأوسطى من كافور ، وأسفل من مسك . ثم عجنى عاء الحيوان ، وقال لى : كوفى كذا ،  
فكفت . خلقى لأحيك وابن عثك على بن أى طالب .

قلت : الدر نوك : ضرب من البسط ذو جمل ، ويشبه به قرؤة البعير ، قال الراجز :  
• حمد الله رايشرف الأجلاد<sup>(١)</sup> •

---

(١) اللسان ١٢ : ٣٠٦ ، ونسبه إلى رؤبة ، وجمده .

• كأنه محتضب في أجساد •

(١٦٧)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام:

لَيْتَنَاسُ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ ، وَلَيَزَافُ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛ وَلَا تَكُونُوا  
كَجُعَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ؛ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَقُولُونَ ؛ كَقَتَيْبٍ بَيَّضَ فِي  
أَدَايِحِ ، يَكُونُ كَسْرُهَا وَزَرًا ، وَيُخْرِجُ حِمَايَهَا شَرًّا .

\*\*\*

الشرح

أمرهم عليه السلام أن يتأسى الصغير منهم بالكبير في أخلاقه وآدابه ؛ فإن الكبير  
لكثرة التجربة أحرم وأكيس ، وأن يرأف الكبير بالصغير . والرأفة: الرحمة ؛ لأن الصغير  
مظنة الصنف والرفقة .

ثم نهىهم عن خُلُقِ الجاهلية في الجماء والفتوة ، وقال : إِيَهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ فِي دِينِ  
وَلَا يَقُولُونَ عَنِ اللَّهِ مَا يَأْمُرُهُمْ ؛ وَهَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ مِمَّنْ لَّا يُكْمِلُ اللَّهُ لَهُمْ  
لَا يَقُولُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وروى : « يَتَفَقَّهُونَ » جاء الخطاب .

ثم شبههم ببعض الأفاعي في الأعشاش ، بظن بيض القمل فلا يحمل لمن رآه أن يكسره .  
لأنه يظنه بيض القمل ، وحصاه يخرج شرًّا ؛ لأنه يفتقر من أفعى .

واستعمار لفظة الأدهى « بلا عثش مجازاً لأن الأدهى لا تكون إلا للنعام تدحوها بأرجلها وتبيض فيها ، ودحوها : توسيعها ، من دحوت الأرض .  
والقيض : الكسر والعلق ، قصت الفارورة والبيضة ، وانقاست هي ، وانقاض الجدار انقياضاً ، أى نصدع من غير أن يقطع ؛ فإن سقط قبل : تقيص تقيضاً ، وتقوض تقوضاً ؛ وقوته أما . وتقول للبيضة إذا تكسرت فبقاً : تقيصت تقيصاً ، فإن نصدعت ولم تنعلق ، قلت : انقاضت ، فهي منقاضة ، والفارورة منه .

• • •

الأصل :

منها :

افترقوا بعد ألفتهم ، وتشتتوا عن أصيهم ؛ فبينهم أخذ بضن ؛ أينما مال مال ممة ؛ على أن الله تعالى سيجتهم لشراً يوم ربي أمية ؛ كما يجتمع قرع الخربق ، يؤلف الله بينهم ثم يحدهم ركناً كركام السحاب ، ثم يفتح الله لهم أبواباً . يسيلون من مستنارهم كسيل الجنين ؛ حيث لم تسلم عابرة ، ولم تثبت حائيه أكمة ، ولم يرد سقته رص طود ، ولا حيداب أرض ؛ بدعدهم الله في بطون أوديته ، ثم بلسكهم بنابيع في الأرض ، بأحذيرهم من قوم حقوق قوم ، ويمكن أقوم في ديار قوم .

وأيهم الله ليدوبن مافي أبتيرهم بعد نعوو والتسكين ، كما تدوب الألية على النار .

أيها الناس ، لو لم تتخذوا عن نصر الحق ، لو لم تهتوا عن توهين الباطل ، لم

يَقْلَعُ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ بِمِثْلِكُمْ ، وَتَمَّ بَقْوَا مَنْ قَوِيَ عَيْنُكُمْ ، لَكِنَّكُمْ تَهْتَمُّونَ  
بِأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ .

وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِمُضْعَفَيْنِ لَكُمْ فَتَبَّيْتُ مِنْ تَعْدِي أَصْحَابًا ؛ بِمَا خَافْتُمْ الْحَقَّ وَرَأَوْا ظُهُورَكُمْ ،  
وَقَطَّعْتُمُ الْأُذُنَى ، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْقَدَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَّكَ بِكُمْ مِنْهَا جُزْءًا ، وَكَفَيْتُمْ مَثْوَاهُ  
الْإِعْتِسَابَ ، وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْعَادِيحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ .

• • •

### الْبَرْخ :

هو عليه السلام : يدكر حال أصحابه وضوئته بعده ، فيقول : افترقوا بعد ألفتهم : أى  
بعد اجتماعهم .

وَنَشْتَتُوا عَنْ أَصْحَابِهِمْ ، أَيْ عَنِ تِلْكَ مَفَارِقِي ؛ فَفِيهِمْ آخِذٌ بِنَفْسٍ ؛ أَيْ يَكُونُ مِنْهُمْ مَنْ  
يَتَمَسَّكُ بِمَنْ أَحْلَفَهُ بِمَدِيٍّ مِنْ ذُرِّيَةِ الرَّسُولِ ، أَيْ مَا سَلَكَوا سُلُوكًا مَعَهُمْ ؛ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ :  
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَكُونُ هَذِهِ حَالُهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، اِكْتِفَاءً بِذِكْرِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ  
لأنه دالٌّ عَلَى الْقِسْمِ الثَّانِي .

ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ؛ مَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى عَقِيدَتِهِ فِينَا وَمَنْ لَمْ يَثْبُتْ ؛ لَا يَدْرِي  
يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَشَرِّ يَوْمٍ لَيْسَ <sup>(١)</sup> أُمِّيَّةً ، وَكَذَا كَانَ ، فَإِنَّ الشَّيْخَةَ الْهَاشِمِيَّةَ اجْتَمَعَتْ عَلَى إِزَالَةِ  
هَذَلِكَ بَنِي مَرْوَانَ ؛ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ثَابِتًا عَلَى وِلَاةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَنْ  
حَادَّ مِنْهُمْ عَنْ ذَلِكَ ؛ وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ مَرْوَانَ الْهَارِ ، عِنْدَ ظُهُورِ الدَّعْوَةِ  
الْهَاشِمِيَّةِ .

وَقَرْعُ الْخَرْبِ : جَمْعُ قَرْعَةٍ ، وَهِيَ سَعْبٌ صَعَارٌ يَجْتَمِعُ فَصِيرٌ رَكَاةً ، وَهُوَ مَا كَثُفَ

من السحاب . وركت الشئ أركمه ، إذا جمته وأقيت بعضه على بعض .

ومستارهم : موضع ثورتهم .

والجنتان : هما اللتان قال الله تعالى فيهما : ﴿ أَقَدْ كَانَ لِمَنَ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ <sup>(١)</sup> . وسلط الله عليهم السيل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَغْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ <sup>(٢)</sup> . فشبه عليه السلام سيلان الجيوش إلى بني أمية بالسيل المسلط على تينك الجنتين .

فإنه لم تسلم عليه قارة ؛ وهي الجبل الصير . ولم تثبت له أكمة ، وهي التلعة من الأرض .

ولم يرد سفة ، أى طريقه . طود مرصوص ، أى جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض . ولا حذاب أرض . جمع جذبة <sup>(٣)</sup> . وهي الروابي والتجاذ .

ثم قال : « يذعذعهم الله ؛ الذعذعة بالذال المعجمة مرتين : التفريق ، وذعذعة الشر : إذاعته .

ثم يسلكهم ينابيع في الأرض ، من ألماط القرآن <sup>(٤)</sup> ، والمراد أنه كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيستكن في أعماق الأرض ، ثم يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها ، كذلك هؤلاء القوم ، يفرقهم الله تعالى في بطون الأدوية وغوامض الأخوار ، ثم

(١) سورة ساء ١٥ .

(٢) سورة ساء ١٦ .

(٣) في اللسان : المسحة ، يفتحان : ما أشرف من الأرض وغلط وارضع . ولا تكون المسحة إلا في ثقب أو غلط من الأرض .

(٤) وهو قوله تعالى في سورة الزمر ٢١ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

يظهرهم بعد الاحتفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ، ويمكن منهم قوما من ملك قوم وديارهم .

ثم أقسم ليدؤن ماى أبدي بنى امية بعد عتوهم ونسكينهم ، كما تذوب الآلية على النار ؛ وهمة « الآلية » مفتوحة ، وجمعها آليات ، بالتحريك ؛ والثنية أليان بغير تاء ؛ قال الرازي :

• ترنج آليه ارنجاج الوطى <sup>(١)</sup> •

وجمع الآلية ألاء على « قبال » وكش آلى على « أفل » ونجدة « ألباء » والجمع ألى على « قمل » ، ويقال أيضا : كبش أليان بالتحريك ، وكاش أليانات ، ورجل أليا ، أى عظيم الآلية ، وامراء عجرا ولا تفل : « ألباء » وقد قاله مضمهم وقد ألى الرخل بالكسر يالى : عظمته أليته

ثم قال : لولا تمذاكم لم يطمع فيكم من هو دوسكم .

وتهنوا ، مصارع وهن ، أى ضعف ، وهو من ألعط للقرآن <sup>(٢)</sup> أيضا .

وتهنتم متاء بنى إسرائيل : حيرتم وصلتم الطريق ، وقد جاء فى السابيد للصحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : « لئن كُنَّ سَنَنٌ مِّنْ كَانَ قَباسكم حذو النمل النمل ، والقدّة بالقدّة ؛ حتى لو دخلوا جحر صَبَّ لَخاتمونه » ، فقول : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فن إذا اومن الأخبار الصحيحة أيضا : « أمتهم كون أنتم كاتهم كُت اليهود والنصارى ا » <sup>(٣)</sup> .

وف صحبى البخارى ومسلم رحمهما الله أنه سيحيا يوم القيامة بأناس من أمتى ،

(١) الصحاح ( ألى ) من غير نية .

(٢) وهو قوله تعالى فى سورة آل عمران ١٣٩ : « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » .

(٣) النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٥٨ ؛ قال : « ليهوك كالتهور » وهو الوقوع فى الأمر بغير روية أو القى يقع فى كل أمر ؛ وقيل : هو التحيرة .

فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فإذا رأيتهم اختاروا ديني ، قلت : أي رب ، أصحابي ! فيقال لي : إنك لا تدري ما عملوا بعدك ؟ فأقول ما قال العبد الصالح : ﴿ وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ : الإسناد في هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه .

وفي الصحيحين أيضا ، عن زينب بنت جحش قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من نومه محررا وجهه ؛ وهو يقول : « لا إله إلا الله . ويل للعرب من شرٍ قد اقترَبَ ! » ، فقلت : يا رسول الله ، أهلك ، وفيينا الصالحون ! فقال : « نعم ، إذا كثرت الخبث » .

وفي الصحيحين أيضا : « هُلك أمتي هذا الحق من قريش » ، قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : « لو أن الناس اعترفوا بكم » ، رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله . ثم قال عليه السلام : « أَيُصَافِقُ لِسَكُمْ لَتِيهٍ مِنْ بَدِي » . يعني الصلال ، بصممه لكم الشيطان وأمعسكم بما حلفتكم الحق وراء ظهوركم ، أي لأجل ترككم الحق . وقطعكم الأدي - يعني نفسه . ووصلكم الأسد ، يعني معاوية . وروى : « إن اتبعتم للراعي لكم » ، بالراء .

والاعتساف : سارك غير الطريق . والفادح : النقل ، فدحه الدين : أنقله .



(١٦٨)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافته :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُبْعَثُهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ  
تَهْتَدُوا ، وَأَصْدِقُوا مَنْ تَمَّتِ الشَّرُّ تَقَعِيدُوا .

الْعَرَائِصَ الْفَرَائِصَ ! أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تَوَدُّكُمْ إِلَى الْخَيْرِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا عَظِيمًا  
مَحْمُولًا ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَذْحُولٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ السُّلَيْمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ  
بِالْإِخْلَاصِ وَالْقَوَاعِدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَايِدِهَا فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ لِسَانِهِ  
وَيَدِهِ إِلَّا بِإِلْحَاقٍ ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا سَبْعًا تَجِبُ .

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَحَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنْ  
السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَائِفِكُمْ .

تَحَفَّقُوا نَلَحَقُوا ؛ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ ؛  
اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَقًّا عَنِ الْبَقَايِعِ وَالْبَهَائِمِ ،  
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَمُصُّوهُ ؛ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ  
فَاعْرِضُوا عَنْهُ .

• • •

## السير

واصدفوا من تمت الشر، أى أمرضوا عن طريقه . تقصّدوا، أى تعلّوا،  
واقصد : العدل .

ثم أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها ؛ كالصلاة والزكاة ؛ واعتصب  
ذلك على الإغراء .

ثم ذكر أن الحرام غير مجهول للكلف بل معلوم ، والخلال غير مدخول ، أى لا يجب  
ولا قص فيه ؛ وأن حرمة السلم أفضل من جميع الحرمات . وهذا لفظ الخبر النبوى :  
« حرمة السلم فوق كل حرمة ، دمه وعرضه وماله » .

قال عليه السلام : « وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في مسألتها » ؛ لأن  
الإخلاص والتوحيد داعيان إلى المحافظة على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم .  
قل : « قال سلم بن سالم الناس » ؛ وهذا لفظ الخبر النبوى بضمينه .

قوله : « ولا يحمل أذى السلم إلا بما يجب » ، أى إلا بحق ؛ وهو الكلام الأول ،  
وإنما أعاده تأكيداً .

ثم أمر بمبادرة الموت ، وسماه الواقعة العامة ، لأنه بمن الحيوان كله ، ثم سمّاه خاصة  
أحدكم ؛ لأنه وإن كان عاماً إلا أنه مع كل إنسان بيّنه خصوصية زائدة على ذلك العموم .  
قوله : « فإن ألدس أمامكم » ؛ أى قد سبقوكم . والساعة تسوقكم من خلفكم .

ثم أمر بالتخفيف<sup>(١)</sup> ؛ وهو القناعة من الدنيا باليسير ، وترك الحرص عليها ، فإن للمسافر  
التخفيف أخرى بالنجاة ولحاق أصحابه وبلوغ المنزل ، من التقليل .

(١) أ ، ب « بالتخفيف » ، وما أتت به من د .

وقوله : « فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ » ؛ أى إِنَّمَا يُنْتَظَرُ يَمُوتُ الْمَوْتِ الْمُتَقَدِّمِينَ  
أَنْ يَمُوتَ الْآخِرُ أَيْضًا ، فَيَمُوتُ لِلْكَلِّ جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَقٌّ عَنْ الْبَقَاعِ : لَمْ اسْتَوْطِنْتُمْ هَذِهِ ، وَرَهْدْتُمْ  
فِي هَذِهِ ؟ وَلَمْ أَخْرِبْتُمْ هَذِهِ الدَّارَ وَعَسَرْتُمْ هَذِهِ الدَّارَ ؟ وَحَقٌّ عَنِ الْبَهَائِمِ ؛ لَمْ ضَرْبُوهَا ؟  
لَمْ أَجْعَلُوهَا ؟

وَرَوَى : « فَإِنَّ النَّاسَ <sup>(١)</sup> أَمَامَكُمْ » بِمَنْ الْفِتْنَةِ ، وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَظْهَرَ . وَقَدْ وَرَدَ  
فِي الْأَحْبَارِ النَّبَوِيَّةِ « لِيَتَصَفَّنَ الْعَجَمَاءُ مِنَ الْقُرْنَاءِ » ، وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ : « إِنَّ  
اللَّهَ تَعَالَى عَذَّبَ إِنْسَانًا بَهْرًا ، حَبَسَهُ فِي بَيْتٍ وَأَجَاعَهُ حَتَّى هَلَكَ » .

(١) به : « الناس » تعريب ؛ وما أئتمته من باقي الأصول ،

(١٦٩)

ومن كلام له عليه السلام بعد ما يبيع له بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت فوما بمن أجلب على عثمان ا فقال عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْمَلُونَ ؛ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا تَمْلِكُهُمْ أَوْهَامُهُمْ هَؤُلَاءِ . قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ ، وَالتَفَتَ إِلَيْهِمْ أَغْرَابُكُمْ ؛ وَهُمْ خِلَالَكُمْ بِسُوءِ وَنَسِكُمْ مَا شَاءُوا ؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعًا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ ؟  
إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيٌّ ؛ وَإِنْ لَمْ يَهْلِكُوا الْقَوْمَ مَادَّةً . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا هَذَا . فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَى النَّاسُ وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوفُ مُسْتَحَقَّةً .

فَاهْدَمُوا عَنِّي وَأَنْظَرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ؛ وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضْمِضُ قُوَّةً ، وَتُقِطُّ مُنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً . وَسَأَمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَتُ ؛ وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا ؛ فَأَخِيرُ الدَّوَاءَ أَلَسْكَى .

• • •

**الشرح :**

أجلب عليه : أعان عليه ؛ وأجابه : أعانه . والألف في « يا إخوتاه » بدل من باء الإضافة ، والماء للمسكت .

وعلى حدّ شوكتهم . شدّتهم ؛ أى لم تنكسر صورتهم .

والعبدان جمع عبد ، بالكسر : مثل جعش وجعشان ، وجاء عبدان بالضم ، مثل تمر وتمران ، وجاء عبيد ، مثل كلب وكليب ؛ وهو جمع عزيز ، وجاء أعبد وعباد وعبدان ، مشددة الدال ، وعبداء بالمد ، وعبدى بالقصر ، ومعبوداء بالمد ، وعُبد بالضم ، مثل سقف وسُقف ، وأنشدوا :

أَنسِبَ الْعَبْدَ إِلَى آيَاتِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ هَبْدٍ<sup>(١)</sup>

ومنه قرأ بعضهم : ﴿ وَهَبْدَ الطَّافُوتِ ﴾<sup>(٢)</sup> وأضافه .

قوله : « وَالتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ » : انضمت واختلطت بهم .

ومحلالكم ، أى يبتكم بسومونكم ماشاءوا : يكلفونكم ، قل تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وتؤخذ الحقوق مُسَجَّةً ، من أسمع ؛ أى ذلّ وانقاد .

فأهدوا عني ، أى فاسكنوا<sup>(٤)</sup> . هَدَأَ الرَّجُلَ هَدَاءً وَهَدَوْنًا ، أى سكن ؛ وأهداه غيره .

وتضعف قوة : تضعيف وتهذ : ضمنت البناء : هددته . والمنة : القوة . والوهن :

الضعف . وآخر الدواء السكى ، مثل مشهور ؛ ويقال : « آخر الطب » وبفيل في العامة

فتقول : « آخر الدواء » ، والسكى ليس من الدواء ليكون آخره .

• • •

(١) اللسان ٤ : ٢٦٠ .

(٢) سورة المائدة ٦٠ : وهى قراءة عن ابن عباس ، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٢٣٥ .

(٣) سورة البقرة ٤٩ .

(٤) في الأصل : « فاسكنوا » .

## [ موقف علي من قتلة عثمان ]

واعلم أن هذا الكلام يدل على أنه عليه السلام كان في نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله ، إن كان بقي ممن باشر قتله أحد ؛ ولهذا قال : إني لستُ أَجْهَلُ ما تملكون ؛ فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك ، واعتذر بعدم التمكن كما ينبغي ؛ وصدق عليه السلام ؛ فإن أكثر أهل المدينة أُجلبوا عليه ، وكان من أهل مصر ومن الكوفة عالم عظيم حضروا من بلادهم ، وطووا المسالك البعيدة لذلك ، وانضم إليهم أعراب أجلاف من البادية ، وكان الأمرُ أمرَ جاهلية ، كما قال عليه السلام ، ولو حرك ساكناً لاختلف الناس واضطربوا ، فتقوم يقولون : أصاب ، وقوم يقولون : أخطأ ، وقوم لا يحكمون بصواب ولا خطأ . بل يتوقفون ، ولا يأمن - لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم - من تجد فتنة أخرى كالأول وأعظم ؛ فكان الأصوب في التدبير ، والذي يوجب الشرع والعقل الإمام إلى حين سكون الفتنة ، وتفرق تلك الشعوب وعود كل قوم إلى بلادهم ؛ وكان عليه السلام يؤمل أن يطيعه معاوية وغيره ، وأن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ، ويمسئون قوماً بأعيانهم ، بعضهم لقتل ، وبعضهم للحصار ، وبعضهم للتسور ، كما جرت عادة المتظلمين إلى الإمام والقاضي ؛ فينثذرون من العمل بحكم الله تعالى ؛ فلم يقع الأمر بموجب ذلك ، وعصى معاوية وأهل الشام ، والتجأ ورثة عثمان إليه ، وفارقوا حوزة أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يطلبوا الاقتصار طلباً شرعياً ، وإنما طلبوه مغالبة ، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية ، ولم يأت أحدٌ منهم الأمر من بابهِ ؛ وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزبير ، ونقضهما البيعة ، ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلها الصالحين من أهلها ؛ وجرت أمور كلها تمتع الإمام عن التصدي للاقتصاص ، واعتماد ما يجب اعتماده ؛ لو كان الأمر وقع على القاعدة

الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه الكون والحكومة ، وقد قال هو عليه السلام لماوية : « فأما طلبك قتلة عثمان ، فادخل في الطاعة ، وعاكم القوم إلى ، أحلك وإياهم على كتاب الله وسنة رسوله » .

قال أصحابنا للعزلة رحمهم الله : وهذا عين الحق ، ومحض الصواب ، لأنه يجب دخول الناس في طاعة الإمام ، ثم تقع المحاكمة إليه ، فإن حَكَمَ بالحق استديمت إمامته ، وإن حَكَمَ بالجور انتقض أمره ، وتبين خلمه .

فإن قلت : فما معنى قوله : « وسأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بداً فآخر النواء الكى » .

قلت : ليس معناه : وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر ، فإذا لم أجد بداً عاقبتهم ، ولكنه كلام قاله أول مسجد طاعة والوزير إلى البصرة ، فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاينة المجليين ، فاعتذر بما قد ذكر ، ثم قال : « وسأمسك الأمر ما استمسك » ؛ أى أمسك نفسى عن محاربة هؤلاء الناكثين للبيعة ما أمكننى ، وأدفع الأيام براسلتهم ونخويفهم وإنذارهم ، واجتهد فى ردهم إلى الطاعة بالترغيب والترهيب ، فإذا لم أجد بداً من الحرب ، فآخر النواء الكى ، أى احرب ، لأنها النهاية التى ينتهى أمر العصاة إليها .